سلسلة رسائل وكتب علماء نجد الأعلام -٧-

# الصواعق المرسلة الشهابية

على

## الشبه الداحضة الشامية

تأليف

العلامة الجليل المحقق النبيل

سليمان بن سحمان النجدي الحنبلي

١٢٦٦هـ - ١٣٤٩هـ

حققها الفقير إلى ربه القدير

عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

## مُقَدِّمَةُ المُحَقِّق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن كتاب «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» للشيخ سليمان بن سحمان من أجَلِّ الكتب التي نافحت عن العقيدة السلفية، ودرأت الشبهات الشيطانية التي أثيرت حولها.

ومؤلف هذا الكتاب عَلَمٌ من أعلام أهل السنة النبوية، وصارم مسلول على أعداء الدعوة السلفية النجدية، له صولات وجولات في مضمار الردود نظماً ونثراً، مما جعل لردوده قيمة علمية، ومكانة مرموقة عند العلماء وطلبة العلم.

ونظراً لأفول شمس هذا الكتاب القيم عن المكتبات منذ أكثر من ثلاثين سنة تقريباً، ومطالبة كثيرٍ من العلماء الأجلاء وطلبة العلم النبغاء بإخراجه، وجعله في متناول الأيدي سارعت بإخراجه في هذه الصورة التي أرجو من الله أن تكون خالصة له، مرضيةً للجميع.

هذا وقد أخرجت هذه الطبعة بعد مقابلتها على نسختين:

الأولى: النسخة الحجرية التي طبعت ببمبي في الهند سنة ١٣٣٥ هـ

على عهد المؤلف رحمه الله تعالى. والإشارة إلى هذه النسخة بـ «الأصل».

الثانية: النسخة المطبوعة في الرياض بأمر الملك سعود بن عبد العزيز ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٣٧٦ هـ.

ولم أثبت كثيراً من الفروق لعدم الفائدة في ذلك ـ عندي ـ هذا وقد اجتهدت في توثيق أغلب النصوص المنقولة، وتخريج بعض الأحاديث الواردة في ثنايا الكتاب، ووضع فهارس تكشف أسرار الكتاب، وتبين للقارىء محتواه.

والله تعالى أسأل أن يصلح نياتنا، وأن يستر عن الأعين خلّاتنا، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه الفقير إلى ربه القدير

عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم

الرياض ١٤٠٨/١٢/٥ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي وفقنا لسلوك صراطه المستقيم، وجنبنا بفضله ورحمته طريق أصحاب الجحيم، ومنّ علينا بمتابعة نبيِّه الكريم، فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له العزيز الحكيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وأصحابه الذين هم نجوم الهداية والدراية والتعليم.

أما بعد: فإني وقفت على أوراق كتبها رجل من أهل الشام يقال له «محمد عطا الكسم»[1]، وكان ممن تجانف للعدوان والإثم، جمع فيها من التّرهات والأكاذيب الموضوعات ما يمج سماعه أولو العقول السليمة، والألباب الزاكية المستقيمة، وسماها «الأقوال المرضية في الرد على الوهابية»، ورتبها على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، وقد اشتملت مقدمته الكاذبة الخاطئة على ألفاظ مبتدعة، ومعانٍ وإشارات مخترعة، وأقوال مختلقة مفترعة، ليست من أقوال أهل الإسلام، ولم يقل بها أحد من الأئمة

(1) هو: محمد عطاء الله بن إبراهيم بن ياسين الكسم، فقيه حنفي، ولد بمدينة دمشق وتوفي بها في ١٠/جمادى الثانية/سنة ١٣٥٧ هـ وهو في عشر التسعين، كان مفتياً عاماً للجمهورية السورية (ينظر: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله ١٠/٢٩٣).

الاعلام، وإنما هي أوضاع الفلاسفة ومن وافقهم من أهل الكلام، وأهل الاتحاد الطغاة اللئام، ومن وافقهم على أصولهم ممن يزعم أن معاني هذه الألفاظ حصلت له بطريق المشاهدة والمكاشفة التي هي عند التحقيق مكاشفة، وأن ذلك من الفتوحات الربانية والمواهب اللدنية، وفي الحقيقة إنما هي خيالات شيطانية، واصطلاحات وأوضاع فلسفية، وخلف من بعدهم خلف على طريقتهم عبّروا عن هذه المعاني الفلسفية بعبارات إسلامية، يخاطبون بها من لا يعرف معاني هذه الأوضاع، ويجعلون مراد الله ورسوله من الآيات والأحاديث على ما أرادوا من معاني هذه الأوضاع التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله وأقوال سلف الأمة وأئمتها، كما يذكر أبو حامد الغزالي في مواضع من الفرق بين عالم الملك والملكوت والجبروت، وفي مواضع آخر قال فيها: إن أشرف أفعال الله وأعجبها وأدلها على جلالة صانعها ما لا يظهر للحس بل هو من عالم الملكوت، وهي الملائكة الروحانية والروح والقلب، أعني العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدمي فإنها أيضاً من جملة عالم الغيب والملكوت وخارج عن عالم الملك والشهادة.

قال شيخ الإسلام: ومعلوم أن ما جاء في الكتاب والسنة من لفظ الملكوت، كقوله: ﴿ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[ المؤمنون: ٨٨ ]، وقوله ﷺ في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة»[(١)]، لم يرد به هذا باتفاق المسلمين، ولا دل كلام أحد من

(١) أخرجه أبو داود في سننه - كتاب الصلاة - [٣/١٢٥ - العون]، والنسائي في سننه - كتاب الصلاة - [ ٢/١٩١ ] كلاهما من طريق معاوية بن صالح عن أبي قيس الكندي عمرو بن قيس قال: سمعت عاصم بن حميد قال: سمعت عوف بن مالك يقول: قمت مع رسول الله ﷺ ليلة فلما ركع مكث قدر سورة البقرة يقول في ركوعه: «سبحان ذي الجبروت والملكوت»

السلف والأئمة على التقسيم الذي يذكرونه بهذه الألفاظ، وهم يعبرون بهذه العبارات المعروفة عند المسلمين عن تلك المعاني التي تلقوها عن الفلاسفة وضعاً وضعوه، ثم يريدون أن ينزلوا كلام الله تعالى ورسوله ﷺ على ما وضعوه من اللغة والاصطلاح. انتهى.

وهذه المعاني التي ذكرها الفلاسفة يفسرون عالم الملك بعالم الأجسام، وعالم الملكوت بعالم النفوس، لأنها باطن للأجسام، وعالم الجبروت بالعقول، لأنها غير متصلة بالأجسام ولا متعلقة بها، ومنهم من يعكس، وقد يجعلون الإسلام والإيمان والإحسان مطابقاً لهذه الأمور.

والمقصود بهذا أن ما ذكره هذا الملحد فيما يأتي من كلام القسطلاني وما بعده هو من هذا النمط المأخوذ عن الفلاسفة ومن وافقهم، فلما لم يكن هذا من كلام أهل الإسلام ولم يذكره أحد من الأئمة الأعلام، وشبّه به هؤلاء الغلاة على الطغام من العوام، ومن لا معرفة له بمدارك الأحكام ومعاني الكلام استعنت الله تعالى على التنبيه على بعض ما في هذه

---

=والكبرياء والعظمة».

هذا لفظ النسائي. وزاد أبو داود: [ ... لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف فتعوذ. قال: ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه..... ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة سورة].

تنبيه: عزا الشوكاني في نيل الأوطار ٢٧٦/٢ ـ ط المنيرية ـ الحديثَ للترمذي، فأوهم أنه في السنن.

وقد نسبه المزي في التحفة إلى الشمائل فقط انظر التحفة (٢١٣/٨ - ٢١٤).

وانظر الشمائل للترمذي ص ٢٢٦/ط الهند.

الأوراق من المخرفة والشقاق، وعلى كشف ما موه به من جواز الاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين، والتوسل بهم على اصطلاح هؤلاء الغلاة، وما ذكر من الأحاديث في ذلك وأقوال أهل العلم، مما هو موضوع مكذوب، أو ضعيف لا يحتج به ولا تثبت به الحجة الشرعية، وتركت كثيرا من كلامه مما هو متضمن للغلو والإطراء في حق نبينا ﷺ مما يزعم أنه من تعظيمه وتوقيره، وكذلك ما ذكره عن السبكي في كتابه: «تعظيم المنة»، وما ذكره من المفاضلة بين الأنبياء وبين نبينا ﷺ مما قد نهى عنه ﷺ[1]، وأعقبت ذلك بذكر خاتمة في الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وأقوال بعض العلماء في معنى لا إله إلاّ الله، وسميت هذا الجواب: «الصواعق المرسلة الوهابية على الشبهات الداحضة الشامية»[2] وأسأل الله تعالى أن يلهمنا الصواب، وأن يجزل لنا الأجر والثواب، بمنه وكرمه.

---

(١) وذلك فيما رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب أحاديث الأنبياء [ ٦/ ٤٥٠ ]، ومسلم ـ كتاب الفضائل ـ [ ٤/ ١٨٤٤ ] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تفضلوا بين أنبياء الله. . .» هذا لفظ مسلم.

وروى البخاري في صحيحه [ ٦/ ٤٢٨ ـ ٤٥٠ ـ ٤٥١، ٨/ ٢٩٤ ]. ومسلم في صحيحه [ ٤/ ١٨٤٦ ]. عن أبي هريرة، وابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خير من يونس بن متى». وفي بعض ألفاظ البخاري عن ابن عباس عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه قال: فذكره. وفي لفظ مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: قال ـ يعني الله تبارك وتعالى ـ . . . . الحديث ورواه البخاري عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ. . . فذكره.

(٢) كذا ذكر الشيخ اسم مؤلّفه هذا. وقد طبع في الهند باسم «الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية» وكذا في طبعة الرياض.

# فصــل

(قال الملحد أما بعد: فيقول خويدم طلبة العلم الفقير إلى الله محمد عطا الكسم: إنه قد أخبرني بعض الإخوان أنه قد اجتمع برجل من الوهابية، يوسوس لأهل السنة المحمدية، بتحريم التوسل بخير البرية، عليه أفضل الصلاة وأتم التحية إلى آخر ما قال).

والجواب وبالله التوفيق أن أقول: قد سبق هذا الملحد إلى تسمية عبّاد القبور: أهل السنة المحمدية من أعمى الله بصيرةَ قلبِه طاغية العراق داود بن جرجيس العراقي، وأجابه على ذلك الإمام وعلم الهداة الأعلام الشيخ عبد اللطيف، فنذكر من جوابه ما يبطل تسمية هذا الملحد عبادَ القبور أهلَ السنة المحمدية، قال رحمه الله تعالى[1]:

والجواب أن يقال أولاً: تسمية عباد القبور أهل سنة وجماعة جهل عظيم بحدود ما أنزل الله على رسوله، وقلب

(١) في كتابه: «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبه داود بن جرجيس» ص ٩.

للمسميات الشرعية، وما يراد من الإسلام والإيمان والشرك والكفر، قال تعالى: ﴿ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ ﴾ [ التوبة: آية ٩٧ ]. وهذا وأمثاله أجدر من أولئك بالجهل وعدم العلم بالحدود لغربة الإسلام، وبُعْد العهد بآثار النبوة.

وأهلُ السنة والجماعة أهل الإسلام والتوحيد، المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول الله ﷺ في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة، الذين لم يشوبوها ببدع أهل الأهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات، ولم يخرجوا عنها في باب العمل والإرادات، كما عليه جهال أهل الطرائق والعبادات، فإن السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول الله ﷺ وما سنّه أو أمر به من أصول الدين وفروعه حتى الهدى والسمت، ثم خصت في بعض الإطلاقات بما كان عليه أهل السنة من إثبات الأسماء والصفات خلافاً للجهمية المعطلة النفاة، وخصت بإثبات القدر وبنفي الجبر خلافاً للقدرية النفاة وللقدرية الجبرية العُصاة، وتطلق أيضاً على ما كان عليه السلف الصالح في مسائل الإمامة والتفضيل والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا من إطلاق الاسم على بعض مسمياته لأنهم يريدون بمثل هذا الإطلاق التنبيه على أن المسمى ركن أعظم وشرط أكبر كقوله «الحج عرفة»(١)، ولأنه الوصف الفارق بينهم وبين غيرهم،

(١) أخرجه أبو داود في سننه [ ٢/٤٨٥ - ٤٨٦ ]، والترمذي في سننه =

ولذلك سمى العلماء كتبهم في هذه الأصول كتب السنة ككتاب السنة للالكائي والسنة لأبي بكر الأثرم، والسنة للخلال، والسنة لابن خزيمة والسنة لعبد الله بن أحمد ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم. انتهى.

وهذا الملحد يرى أن أهل السنة المحمدية هم الذين يتوسلون ويدعون الأنبياء والأولياء والصالحين ويلتجؤون إليهم ويستغيثون بهم ويستعينون بهم في الشدائد والمهمات، ويرجونهم لكشف الكربات وإغاثة اللهفات، ويتقربون إليهم بأنواع القربات من الذبح لهم والنذر والخوف والتعظيم والدعاء والإنابة إليهم والتوكل عليهم والخضوع لهم. ومن عجيب أمر هؤلاء الغلاة ما ذكره حسين بن محمد النعيمي اليمني في بعض رسائله أن امرأة كف بصرها فنادت وليها: أما الله فقد صنع ما ترى، ولم يبق إلاّ حسبك.

= [ ٢٢٨/٣ ]، والنسائي في سننه [ ٢٦٤/٥ ]، وابن ماجه في سننه [ ١٠٣/٢ ] عن عبد الرحمن بن يعمر قال: شهدت رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة وأتاه ناس من أهل نجد فقالوا: يا رسول الله كيف الحج؟ فقال: «الحج عرفة...» الحديث. قال الترمذي: قال سفيان بن عيينة: هذا أجود حديث رواه سفيان الثوري اهـ. وقال ابن ماجه: قال محمد بن يحيى: ما أرى للثوري حديثاً أشرف منه اهـ. وقال الحاكم في مستدركه [ ٢٧٨/٢ ]: حديث صحيح. وأقرّه الذهبي. ينظر نصب الراية للزيلعي [ ٩٢/٣ ].

قال الشيخ عبد اللطيف رحمه الله[1]: وحدثني سعد بن عبد الله بن سرور الهاشمي رحمه الله، أن بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحج فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين رضي الله عنه بالقاهرة فاستقبلوا القبر وأحرموا ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر، حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: هذا محبة في سيدنا الحسين.

وذكر بعض المؤلفين من أهل اليمن أن مثل هذا وقع عندهم.

وقد حدثني الشيخ خليل الرشيدي بالجامع الأزهر أن بعض أعيان المدرسين هناك قال: لا يدق وتد بالقاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي. قال فقلت له: هذا لا يكون إلا لله أو كلاماً نحو هذا، فقال: حبي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا.

وحكى أن رجلاً سأل الآخر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أر أكثر منه إلاّ في جبال عرفات، إلا أني لم أرهم سجدوا لله سجدة قط، ولا صلوا مدة ثلاثة أيام، فقال السائل: قد تحملها الشيخ، قال بعض الأفاضل: وباب تحمل الشيخ مصراعاه ما بين بصرى وعدن،

---

(١) في الكتاب السابق ص ٣٩.

قد اتسع خرقه، وتتابع فتقه، ونال رشاش زقومه الزائر والمعتقد وساكن البلد. انتهى.

ولو ذهبنا نذكر ما يفعله عباد القبور والأولياء والصالحين لطال الكلام. فهؤلاء عند هذا الملحد أهل السنة والجماعة فنعوذ بالله من رين الذنوب وانتكاس القلوب.

إذا تحققت هذا وعرفته فنقول هذا الملحد: إنه قد اجتمع برجل من الوهابية يوسوس لأهل السنة المحمدية بتحريم التوسل بخير البرية). مراده بالتوسل هنا: أن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به والالتجاء إليه فيما لا يقدر عليه إلا الله يسمى توسلاً وتشفعاً، وهذا فرار منه أن يسمى شركاً وكفراً، ومن المعلوم عند ذوي العلوم والفهوم أن لفظ التوسل بالشخص والتوجه به والسؤال به فيه إجمال واشتراك بحسب الاصطلاح، فمعناه في لغة الصحابة رضي الله عنهم وعرفهم أن يطلب منه الدعاء والشفاعة فيكون التوسل به والتوجه به في الحقيقة بدعائه وشفاعته وذلك لا محذور فيه، والتوسل له أقسام، فقسم مشروع، وهو التوسل بالأعمال الصالحة وبدعاء النبي ﷺ في حياته وطلب الاستغفار منه وبدعاء الصالحين وأهل الفضل والعلم كما استسقى عمر رضي الله عنه بدعاء العباس[1] ومعاوية رضي الله عنهما بدعاء يزيد بن الأسود

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

الجرشي[1]، وكذلك بالأعمال الصالحة؛ وقسم محرم وبدعة مذمومة وهو التوسل بحق العبد وجاهه وحرمته نبياً كان ذلك أو ولياً أو صالحاً، كأن يقول الإنسان: اللهم إني أسألك بجاه نبيك محمد ﷺ أو بجاه عباد الله الصالحين أو بحقهم أو بحرمتهم، ونحو ذلك لأن ذلك لم يرد به نص عن رسول الله ﷺ ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين رضي الله عنهم، فإذا عرفت أن معنى التوسل في لغة الصحابة طلب الدعاء، وأن هذا هو الشرع، وأن ما عداه إما شرك أو محرم أو مكروه مبتدع، عرفت أن قصد هؤلاء بالتوسل هو دعاء الأنبياء والأولياء، والصالحين، وصرف خالص حق الله تعالى لهم بجميع أنواع العبادات من الدعاء والخوف والرجاء والنذر والتوكل والاستغاثة والاستعانة والاستشفاع بهم وطلب الحوائج من الولائج في المهمات والملمات وكشف الكربات وإغاثة اللهفات ومعافاة أولي العاهات والبليات، إلى غير ذلك من الأمور التي صرفها المشركون لغير فاطر الأرض والسماوات، نعوذ بالله من موجبات غضبه وأليم عقابه، فمن صرف من هذه الأنواع شيئاً لغير الله، فهو كافر مشرك بإجماع المسلمين، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام وغيره من العلماء.

---

(١) سيأتي الكلام عليه في هذا الكتاب إن شاء الله.

## فصــل

**(ثم قال الملحد: ولكن من فرط المحبة لهذا المحبوب** الذي هو صفوة علاّم الغيوب الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب).

**والجواب أن يقال:** إن قول هذا الملحد: (الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب) كلام متضمن لغاية الغلو والإطراء الذي وقعت فيه النصارى وأمثالهم وهو مناف لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾ [الانفطار: آية ١٧ ـ ١٩ ] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴾ [ الجن: آية ٢١ ] وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [ يونس: آية ٤٩ ] وللحديث الصحيح حيث قال لابنته فاطمة وأحب الناس إليه: «يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»[١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب التفسير ـ [ ٥٠١/٨ ]، وفي الوصايا [ ٣٨٢/٥ ]، وفي المناقب [ ٥٥١/٦ ]، ومسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ [ ١٩٢/١ ] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما أنزلت هذه =

فتأمل ما بين هذه النصوص وبين قول هذا الملحد من التضاد والتباين ثم المصادمة منه لما ذكره الله تعالى وذكره رسوله ﷺ كقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [ آل عمران: آية ١٢٨ ] وتأمل ما ذكره العلماء في سبب نزولها[(١)] وأمثال هذه الآية كثير لم ينسخ حكمها ولم يغير؛ ومن ادعى ذلك فقد افترى على الله كذباً وأضلّ الناس بغير علم.

---

الآية: ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا فعمّ وخص. فقال: «يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني مرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار. يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار. يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئاً. غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها» هذا لفظ مسلم. وللحديث ألفاظ عندهما.

وأخرجه مسلم من حديث عائشة ولفظه: «يا فاطمة بنت محمد. يا صفية بنت عبد المطلب. يا بني عبد المطلب لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم».

(١) قال السيوطي في الدر المنثور [٣١١/٢]: أخرج ابن أبي شيبة وأحمد وعبد بن حميد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس في ناسخه والبيهقي في الدلائل عن أنس أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال: «كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم؟» فأنزل الله: ﴿ ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ﴾.

وفي سبب نزول هذه الآية أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد.

## فصــل

(**ثم قال الملحد**: قـال القسـطلاني في «المـواهب اللّدنية»: اعلم يا ذا العقل السليم، والمتصف بأوصاف الكمال والتتميم، وفقني الله وإياك لهداية الصراط المستقيم، أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه، أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها على صورة حكمه، كما سبق في سابق إرادته وعلمه، ثم أعلمه تعالى بنبوته، وبشّره برسالته، هذا وآدم لم يكن إلا كما قال: بين الروح والجسد ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح.

قال الشارح الإمام الزرقاني: أي تفجرت منه ﷺ عيون الأرواح. أي: خالصها كأرواح الأنبياء، والمراد بالعيـون الكمالات المفرغة من نوره على أرواح الأنبياء، عبّر عنها بالعيون مجازاً لمشابهتها لعيون الإنسان للكمال).

**والجواب ومن الله أستمد الصواب** أن نقول: هذا كلام مخترع مبتدع، لم يقل به أحد ممن يعتد بقوله من أهل

الإسلام، ولم ينقله أحد من العلماء الأمناء عن الأئمة الأعلام، وليس هو في شيء من الكتب المعروفة المشهورة، كالصحاح والسنن والمساند وغيرها من الكتب المعتمدة، بل هو من الترهات التي يحكيها هؤلاء الغلاة المتهوكون، الحيارى المفتونون، الذين ليس لهم قدم صدق في العالمين، وليسوا من حملة سنة سيد المرسلين، ولا لهم معرفة بمدارك الأحكام، ولا أقوال أهل السنة أئمة الإسلام، وإنما ينقلون مثل هذه الحكايات التي لا أصل لها في الكتاب والسنة عن مثل القسطلاني وغيره، ويغترون بها فضلّوا وأضلّوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل، إذ ليس لهم في ذلك مستند ولا حجة من البرهان والدليل، بل هذا مقتبس من أقوال الفلاسفة ومن نحا نحوهم من المتكلمين.

ومن المعلوم بالضرورة أن ما حكاه هذا الملحد عن القسطلاني إن كان صحيحاً لا يدرك معرفة ذلك على التحقيق إلا من مشكاة النبوة، بنقل حملة السنة والقرآن، أهل المعرفة والحفظ والإتقان. ولا خبر بذلك بنقل صحيح عن رسول الله ﷺ يجب المصير إليه، فما كان هذا سبيله فهو مطرح ساقط لا يلتفت إليه، ولا يعول في الحكم عليه، إذ هو من الترهات الواهية، التي هي عن الدليل عارية، بل هو مصادم لصريح الكتاب والسنة كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾

[ الحجرات: آية ١٣ ] وهذا خطاب للإنسان الذي هو روح وبدن، فدل على أن جملته مخلوقة بعد خلق الأبوين، وأصرح منه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [ النساء: آية ١ ] وهذا صريح في أن خلق جملة النوع الإنساني بعد خلق أصله.

وفي الموطأ: حدثنا زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل عن هذه الآية: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [ الأعراف: آية ١٧٢ ] فقال: سمعت رسول الله ﷺ سئل عنها فقال: «خلق الله آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته، فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون، وخلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون» فقال رجل: يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الله إذا خلق الرجل للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال الجنة فيدخل به الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال النار فيدخل به النار»(١) قال الحاكم: هذا حديث على شرط

---

(١) أخرج الإمام مالك في الموطأ [ ٨٩٨/٢ ] وأحمد في مسنده [ ٤٤/١، ٤٥ ] وأبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ [ ٧٩/٥، ٨٠ ]، والترمذي في =

= سننه - كتاب التفسير - [ ٢٦٦/٥ ].

قال الإمام ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره [ ٢٦٢/٢ ] بعد أن ساق سند الإمام أحمد لهذا الحديث وهو: «حدثنا روح حدثنا مالك. وحدثنا إسحاق حدثنا مالك عن زيد بن أبي أنيسة أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أخبره عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب . . .».

قال ابن كثير: وهكذا رواه أبو داود عن القعنبي، والنسائي عن قتيبة، والترمذي في تفسيرها عن إسحاق بن موسى عن معن وابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب، وابن جرير عن روح بن عبادة وسعيد بن عبد الحميد بن جعفر، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من رواية أبي مصعب الزبيري كلهم عن الإمام مالك بن أنس. . به قال الترمذي: هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر. قاله أبو حاتم، وأبو زرعة. . زاد أبو حاتم بينهما (نعيم بن ربيعة) وهذا الذي قاله أبو حاتم رواه أبو داود في سننه عن محمد بن مصفى عن بقية عن عمر بن جعثم القرشي عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن مسلم بن يسار الجهني عن نعيم بن ربيعة قال: كنت عند عمر بن الخطاب وسئل عن هذه الآية . . فذكره. اهـ كلام ابن كثير.

قال الإمام الحافظ الدارقطني - رحمه الله - في كتابه «العلل» [ ٢٢١/٢ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ] وقد سئل عن هذا الحديث:

يرويه زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر. . حدّث عنه كذلك يزيد بن سنان أبو فروة الرهاوي، وجود إسناده ووصله.

وخالفه مالك بن أنس فرواه عن زيد بن أبي أنيسة ولم يذكر في الإسناد (نعيم بن ربيعة) وأرسله عن مسلم بن يسار عن عمر.

وحديث يزيد بن سنان متصل وهو أولى بالصواب. وقد تابعه عمر بن جعثم فرواه عن زيد بن أبي أنيسة كذلك قاله بقية بن الوليد عنه اهـ. =

مسلم، وروى الحاكم أيضاً من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً: «لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خلقها إلى يوم القيامة أمثال الذر، ثم جعل بين عيني كل إنسان منهم

---

* قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في الموضع السابق من تفسيره: قلت الظاهر أن الإمام مالكاً إنما أسقط ذكر نعيم بن ربيعة عمداً كما جهل حال نعيم ولم يعرفه، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث. ولذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم، ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات ويقطع كثيراً من الموصولات والله أعلم اهـ.

كذا قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ خلافاً لابن عبد البر فإنه قال في التمهيد [ ٥/٦ ]: زيادة من زاد في هذا الحديث (نعيم بن ربيعة) ليست حجة لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن اهـ.

قال محققه ـ عفا الله عنه ـ: وسواء رجحنا رواية مالك أو من خالفه فكلا الإسنادين ضعيف. أما رواية مالك فهي منقطعة لأن مسلم بن يسار الجهني لم يسمع من عمر كما قاله الترمذي. انظر [ جامع التحصيل ـ ٣٤٤ ] وقد قال الحافظ ابن حجر عن مسلم هذا إنه (مقبول). انظر التقريب [ ٢٤٨/٢ ].

وأما رواية من زاد بين مسلم بن يسار وعمر بن الخطاب (نعيم بن ربيعة) فعلتها نعيم هذا قال عنه الحافظ في التقريب [ ٣٠٥/٢ ]: مقبول.

قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر ـ رحمه الله ـ في الموضع السابق من التمهيد: (وجملة القول في هذا الحديث أنه حديث ليس إسناده بالقائم، لأن مسلم بن يسار ونعيم بن ربيعة جميعاً غير معروفين بحمل العلم. ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها... إلخ).

وبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: من هؤلاء يا رب؟ فقال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلاً منهم أعجبه وبيص ما بين عينيه فقال: يا رب من هذا؟ فقال: هذا ابنك داود يكون في آخر الأمم، قال آدم(١): كم جعلت له من العمر؟ قال: ستين سنة، قال: يا رب زده من عمري أربعين سنة (حتى يكون عمره مائة سنة)(٢) فقال الله: إذا يكتب ويختم فلا يبدَّل، فلما انقضى عمر آدم جاءه ملك الموت (لقبض روحه)(٢) قال آدم: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ فقال (له ملك الموت)(٢): أو لم تجعلها لابنك داود. قال: فجحد فجحدت ذريته، ونسي فنسيت ذريته، وخطأ فخطئت ذريته» قال: هذا على شرط مسلم(٣). وفي صحيح الحاكم من حديث أبي جعفر الرازي حدثنا الربيع بن أنس(٤) عن أبي العالية عن أبي بن

---

(١) «آدم» ليست في الأصل، وأثبتها من المستدرك.

(٢) ما بين الأقواس من المستدرك.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه [ ٣٢٥/٢ ]، والترمذي في سننه - كتاب التفسير - [ ٢٦٧/٥ ] وقال: حسن صحيح. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قال كاتبه: - وفي إسناده: هشام بن سعد. قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق يخطىء ا هـ. ولكن لا ضرر لهذا على السند لأن شيخ هشام في هذا الحديث زيد بن أسلم وقد قال الآجري - كما في تهذيب التهذيب [ ٤/١١ ] - قال أبو داود: هشام بن سعد أثبت الناس في زيد بن أسلم ا هـ.

(٤) في الأصل (أنيس) وما أثبته من المستدرك.

كعب في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [ الآية ] قال: جمعهم له يومئذ جميعاً[1] ما هو كائن إلى يوم القيامة فجعلهم أرواحاً ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا وأخذوا عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم؟ قالوا: بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين (أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون)[2] قال: فإني أشهد عليكم السماوات السبع والأرضين السبع، وأشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا يوم القيامة (لم نعلم أو تقولوا)[2] إنا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئاً، فإني أرسل إليكم رسلي يذكرونكم عهدي وميثاقي، وأنزل عليكم كتبي، فقالوا: نشهد أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك (ولا إله لنا غيرك)[2] ورفع لهم أبوهم آدم (فنظر إليهم)[2] فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة وغير ذلك، فقال: يا رب لو سويت بين عبادك؛ فقال: إني أحب أن أشكر. ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج، وخصوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة[3] فذلك قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ

---

(١) في الأصل (جمعاً) وما أثبته من المستدرك.

(٢) ما بين الأقواس من المستدرك.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه [ ٢/ ٣٢٣ ] وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأقره الذهبي.

وأبو جعفر الرازي هو: عيسى بن أبي عيسى عبد الله بن ماهان. قال الحافظ في التقريب: صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار =

ٱلنَّبِيِّـنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ ﴾ [ الأحزاب: آية ٧ ] وهو قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [ الروم: آية ٣٠ ] وهو قوله: ﴿ هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [ النجم: آية ٥٦ ] وقوله: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَـٰسِقِينَ ﴾ [ الأعراف آية ١٠٢ ] والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والمقصود مما ذكرنا أن آدم رأى فيهم الأنبياء مثل السرج وذلك بعد إخراجهم من صُلبِه، فهذا فيه دلالة ظاهرة على بطلان من زعم أنه لما تعلقت إرادة الحق تعالى بإيجاد خلقه وتقدير رزقه، أبرز الحقيقة المحمدية من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، ثم سلخ منها العوالم كلها علوها وسفلها، ثم انبجست منه ﷺ عيون الأرواح فعلى زعم هذا القائل أن الله لم يخلق جميع النوع الإنساني إلا من نور محمد، وأن

---

= السابعة ا هـ.

والربيع بن أنس قال عنه الحافظ في التقريب: صدوق له أوهام رمي بالتشيع من الخامسة ا هـ.

ونقل الحافظ في التهذيب [ ٢٣٩/٣ ] عن ابن حبان أنه قال في ثقاته: الناس يتقون من حديثه ـ أي الربيع ـ ما كان من رواية أبي جعفر عنه لأن في أحاديثه عنه اضطراباً كثيراً ا هـ.

وقد رواه معتمر بن سليمان بن طرخان التيمي عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي بن كعب.. به أخرجه ابن مندة في الرد على الجهمية ص ٥٩ وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائد المسند [ ١٣٥/٥ ].

الملائكة مخلوقون من نوره وعلى هذا فلا معنى لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ [ الحجرات: آية ١٣ ] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [ النساء: آية ١ ] وأن هذه الأحاديث لا دلالة فيها، سبحانك هذا بهتان عظيم.

إذا عرفت هذا فهذه الأحاديث لا تدل على سبق الأرواح الأجساد سبقاً مستقراً ثابتاً، غايتها أنها تدل بعد صحتها وثبوتها على أن بارئها وفاطرها سبحانه صوّر النسم وقدر خلقها وآجالها وأعمالها، واستخرج تلك الصور من مادتها، ثم أعادها إليها، وقدّر خروج كل فرد من أفرادها في وقته المقدر له، وهذا هو المطلوب ولا تدل على أنها خلقت خلقاً مستقراً، ثم استقرت بوجوده حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد، ثم يرسل منها إلى الأبدان جملة بعد جملة كما يقول محمد بن حزم. نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة على الوجه الذي سبق به التقدير أولاً، فيجيءُ الخلق الخارجي مطابقاً للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته، فإنه قدّر لها أقداراً وآجالاً وصفاتاً وهيئةً ثم أبرزها إلى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدّره الله لها لا يزيد عليه ولا ينقص منه، فالآثار المذكورة في هذا الباب إنما تدل على إثبات القدر السابق، وبعضها يدل على أنه سبحانه استخرج أمثالهم وصوّرهم وميز أهل السعادة

من أهل الشقاوة. انتهى ملخصاً من كتاب الروح لابن القيم رحمه الله تعالى.

ثم قال بعد ذلك: فهذا بعض كلام السلف والخلف في هذه الآية، وعلى كل تقدير فلا يدل على خلق الأرواح قبل الأجساد خلقاً مستقراً، وإنما غايته أن تدل على إخراج صورهم وأمثالهم في صور الذر واستنطاقهم، ثم ردهم إلى أصلهم إن صح الخبر بذلك، والذي صح إنما هو إثبات القدر السابق وتقسيمهم إلى شقي وسعيد. انتهى.

فتحصل لنا مما ذكر من كلام السلف إبطال دعوى من ادعى أن أرواح الأنبياء مخلوقة من نور محمد ﷺ قبل خلق السماوات والأرض وقبل العرش والقلم واللوح، وأن جميع المخلوقات تفرعت جزءاً بعد جزء، وخلقاً بعد خلق، إنسها، وجنها، وجنتها، ونارها، وحتى الملائكة من نور محمد ﷺ، وهذا مما يعلم بضرورة العقل أن هذا من الكذب والحكايات التي لا أصل لها، بل الذي ثبت عن النبي ﷺ أن الله قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، ففي صحيح مسلم من حديث ابن وهب: أخبرني أبو هانىء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين

ألف سنة وعرشه على الماء»[1].

وهذا الملحد يزعم أن الحقيقة المحمدية أبرزت من الأنوار الصمدية في الحضرة الأحدية، قبل خلق العرش والماء والقلم الذي كتب مقادير كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهذا مناف لصريح الكتاب والسنة ومناقض لهما أشد المناقضة، وهذه الترهات مقتبسة من كلام ابن عربي صاحب الفصوص الذي هو من أكفر خلق الله، فإنه ذكر في «الفتوحات» من نمط هذا، وفي «الفصوص» في أثناء كلام له قال فيه: فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النافع، فكل نبي من بني آدم إلى آخر نبي، ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكاة خاتم النبيين، وإن تأخر وجود طينته، فإنه بحقيقته موجود وهو قوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» وغيرُه ما كان نبياً إلى حين بعث، وكذلك خاتم الأولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين، وغيرُه من الأولياء ما كان ولياً إلا بعد تحصيل شرائط الولاية من الأخلاق الإلهية في الاتصاف بها من كون الله تسمى بالولي الحميد إلى آخر كلامه[2].

---

(١) صحيح مسلم ـ كتاب القدر ـ [ ٢٠٤٤/٤ ].

(٢) قال الألوسي في كتابه (جلاء العينين) ص ٧٠، ٧١ ما ملخصه:

وممن نص على تكفير ابن العربي بناء على كلامه المخالف للشريعة المطهرة وألّف في ذلك الرسائل العديدة المطولة والمختصرة العلامة السخاوي، والفهامة المدقق السعد التفتازاني، والمحقق ملا علي القاري. =

وبهذا تعلم أنهم إنما حذوا حذوه، وقفوا أثره، مع أن قوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» مما يرويه العوام، وهذا باطل، واللفظ المعروف «بين الروح والجسد»[1]، لأن بين الماء والطين مرتبة.

---

ونقل الشيخ علي القاري عن ابن دقيق العيد قال: سألت شيخنا سلطان العلماء عبد العزيز بن عبد السلام عن ابن عربي فقال: شيخ سوء كذاب. يقول بقدم العالم ولا يحرم فرجاً. وقال: وسئل عنه شيخنا أبو زرعة أحمد بن شيخنا الحافظ العراقي فقال: لا شك في اشتمال الفصوص المشهورة على الكفر الصريح الذي لا يشك فيه وكذلك فتوحاته المكية فإن صح صدور ذلك عنه واستمر عليه إلى وفاته فهو كافر مخلد في النار بلا شك.

قال وكذلك شيخنا شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني صرح بكفر ابن عربي. وكذا رضي الدين أبو بكر محمد بن الخياط والقاضي شهاب الدين أحمد الناشري الشافعيان.

وقال العلامة القاري: ثم اعلم أن من اعتقد حقية عقيدة ابن عربي فكافر بالإجماع من غير نزاع. . . إلخ.

(١) قال شيخ الإسلام وإمام الأئمة الأعلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - أسكنه الله المنازل العليّة - : وأما ما يرويه كثير من الجهال والاتحادية وغيرهم من أنه قال: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين وآدم لا ماء ولا طين» فهذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحداً من المحدِّثين لم يذكره ومعناه باطل فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب وإنما كان بين الروح والجسد. ا هـ كلامه من الرد على البكري (ص ٩ - طبعة السلفية ١٣٤٦ هـ).

وأما حديث: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» فأخرجه الإمام أحمد في مسنده [ ٥٩/٥ ] وغيره عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد» قال شيخ الإسلام - رحمه =

وكذلك قوله: (وغيره ما كان نبياً إلى حين بعث) فإنه مخالف لقوله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» ولقوله في حديث أبي بن كعب المتقدم «ورأى فيهم الأنبياء مثل السرج وخصّوا بميثاق آخر بالرسالة والنبوة» إلى آخره.

وهؤلاء الغلاة يظنون أنهم بهذه الترهات معظمين الرسول، وهم بهذه الأمور ضارعوا النصارى في الغلو والإطراء، ويزعمون أنهم بهذا الغلو قد بالغوا في تعظيمه ﷺ وتوقيره وتبجيله وتعزيره، وحاشا وكلا بل هو مما يكرهه ﷺ ويسخطه وينهى عنه كما قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله» أخرجاه في الصحيحين[1]، وقوله ﷺ لما قيل له يا سيدنا وخيرنا وابن خيرنا فقال: «يا أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزَّ وجلّ»[2].

---

= الله تعالى ـ في المصدر السابق: ثبت عن ميسرة قال: قلت: يا رسول الله متى كنت نبياً... الحديث.

(1) كذا قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تبعاً للتبريزي في المشكاة ١٣٧٢/٣. والحديث عزاه السيوطي في «الزيادة على الجامع الصغير ٣٢٩/٣» للبخاري فقط. انظر فتح الباري ٤٧٨/٦.

وقد نبّه الشيخ الفاضل عبد القادر الأرناؤوط ـ حفظه الله ـ في تعليقه على فتح المجيد ص ٢٤٨ على أن عزوه لمسلم من الخطأ.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٥٣/٣ ـ ٢٤١. قال شيخ الإسلام =

وإنما كره ذلك ﷺ خشية أن يستجرينهم الشيطان في المبالغة في المدح والثناء فيخرج بهم إلى حد الإطراء فأرشدهم ﷺ إلى الأدب في الألفاظ، وعلمهم كيفية الثناء عليه بأن يقولوا: عبد الله ورسوله.

فتبين من هذا الحديث أن أشرف مقامات النبي ﷺ مقام العبودية والرسالة، ولذلك شرَّفه الله بهما في مقام التحدي وغيره، فقال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾ [ البقرة: آية ٢٣ ] وقال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [ الإسراء: آية ١ ] وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ [ الكهف: آية ١ ] وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [ الفرقان: آية ١ ] وقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ﴾ [ القلم: آية ٢٩ ] وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [ الجن: آية ١٩ ].

فتعظيمه ﷺ إنما هو بطاعته، وامتثال أمره، والانتهاء عما نهى عنه، ولزوم متابعته، وتقديم قوله على قول كل أحد من

---

= محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - في كتابه النفيس «التوحيد»: رواه النسائي بسند جيّد: هـ.

قال كاتبه: - أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة كما في تحفة الأشراف للمزي ١٣٠/١ - وانظر: عمل اليوم والليلة للنسائي ص ٢٥٠.

الخلق بهديه وسنته، فصلوات الله وسلامه عليه كما نصح الأمة، وكشف الغمة، وأدى الأمانة، وبلّغ الرسالة، وقطع الوسيلة والذريعة المفضية إلى مجاوزة الحد بالغلو والإطراء في مدحه والثناء عليه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وغلت فيه حتى تجاوزت الحد بدعواهم إلهيته وأنه هو الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد تجاوز الحد في مدحه والثناء عليه من هذه الأمة أناس ضاهوا النصارى كما قال دحلان[1] في كتابه الذي سماه «الدّرر السنية» فقال: (نعم يجب علينا أن لا نصفه بشيء من صفات الربوبية، فليس في تعظيمه بغير صفات الربوبية شيء من الكفر والإشراك، بل ذلك من أعظم الطاعات. ورحم الله البوصيري حيث قال:

دع ما ادعته النصارى في نبيهمو
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

انتهى).

---

(1) هو أحمد بن زيني دحلان المولود بمكة ـ شرفها الله ـ سنة ١٢٣٢ ـ الهالك في المدينة سنة ١٣٠٤ (انظر الإعلام للزركلي ١/١٢٩، ١٣٠) كان رأساً في الكذب والبدع الممقوتة، وله مؤلفات في نصرتها والذب عن منتحلها. وقد ردّ عليه كثير من علماء السنة والجماعة. ومن أحسن ما وقفت عليه من هذه الكتب كتاب الشيخ العلامة المحدث الكبير الفقيه الأصولي النحرير محمد بشير السهسواني الهندي المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ في كتابه «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان»

وهذا ليس من التعظيم المشروع في شيء، بل هو من صرف خالص حق الله لغيره، فإن دعاء غير الله والنحر له والنذر له والاستغاثة به والالتجاء إليه والطواف له والسجده به والركوع له وغيرها من أنواع العباد كفر وشرك، مع أنها تعظيم بغير صفات الربوبية، بل الذي يجب علينا أن لا نعبد غير الله بقسم من أقسام العبادة المتقدم ذكرها، وأن لا نفعل ما نهى الله عنه ورسوله، وأن لا نحدث في أمر الدين شيئاً، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [ الجن: آية ١٨ ] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [ يونس: آية ١٠٦ ] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [ يونس: آية ١٠٧ ] وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [ الأنعام: آية ١٦٢ ].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على إفراد الله تعالى بالعبادة دون ما سواه كائناً من كان.

## فصــل

**قال الملحد:** (وروى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله: بأبي وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء؟ قال يا جابر: إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جن ولا إنس، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قَسَّم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول القلم، ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول السماوات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن

الثالث نور أنسهم وهو التوحيد: لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى آخره)[1].

**والجواب أن يقال**: هذا حديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ مخالف لصريح الكتاب والسنة، وهذا الحديث لا يوجد في شيء من الكتب المعتمدة، وإنما يوجد مثل هذا في الكتب المصنفة في شرح الخصائص والشمائل وفي بعض الكتب، كما يذكر أمثال ذلك أبو نعيم وابن عساكر وأبو حامد الغزالي وابن أبي الدنيا في جزء التفكر والاعتبار من الأحاديث

---

(١) قال شيخنا العلامة المحدث المحقق الجليل أبو عبد الله عبد العزيز بن عبد الله بن باز - حفظه الله ورعاه - في تقريظه لرسالة الشيخ العلامة محمد أحمد عبد القادر الشنقيطي المسماة «تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق»: -

وكل من تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة علم يقيناً أن هذا الخبر من جملة الأباطيل التي لا أساس لها من الصحة، وقد أغنى الله نبيه ﷺ عن مثل هذا بما أقام من الدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة، والمعجزات الباهرة على صحة نبوته ورسالته عليه الصلاة والسلام، كما أغناه عن هذا الخبر المكذوب وأشباهه بما وهبه من الشمائل العظيمة، والصفات الكريمة، والأخلاق الرفيعة التي لا يشاركه فيها أحد ممن قبله ولا ممن بعده، فهو سيد ولد آدم، وخاتم المرسلين، ورسول الله إلى جميع الثقلين، وصاحب الشفاعة العظمى، والمقام المحمود يوم القيامة إلى غير ذلك من خصائصه، وشمائله، وفضائله الكثيرة ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن سلك سبيله ونصر دينه وذبّ عن شريعته وحارب ما خالفها. . إلخ اهـ. وقد بين الشيخ الشنقيطي في رسالته المشار إليها بطلان هذا الحديث عقلاً ونقلاً فلتنظر.

الموضوعة المكذوبة، ولا حاجة بأهل الإسلام إلى شيء مما يتعلق بخصائص النبي ﷺ وشمائله وفضائله من هذه الموضوعات، وفيما ذكره أهل العلم بالله من حملة السنة والقرآن وأهل الحفظ والإتقان من خصائص النبي وفضائله ومعجزاته وشمائله مما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ مقنع عما يذكره هؤلاء من الأكاذيب الموضوعة والأحاديث المصنوعة، فمن ذلك الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً[1]، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[2].

وروى الإمام أحمد والنسائي من حديث البراء قال: «لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها[3] المعاول، فاشتكينا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: بسم الله، ثم ضرب ضربة كسر[4] ثلثاً، وقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر الساعة، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال: الله أكبر

---

(١) في صحيح مسلم: «طهوراً ومسجداً».
(٢) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، ١/ ٣٧١.
(٣) في الأصل: ولا تأخذ منها، وما أثبته من المسند ودلائل أبي نعيم والبيهقي.
(٤) في الأصل: «فقطع» ما أثبته من دلائل البيهقي وأبي نعيم.

أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن، ثم ضرب الثالثة فقال: بسم الله فقطع باقي الحجر فقال: الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني»[1].

وفي صحيح مسلم عن جندب بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ (قبل أن يموت بخمس)[2] وهو يقول: «إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليلٌ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون (قبور أنبيائهم وصالحيهم)[3] مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»[4].

وله من المعجزات والفضائل والخصائص ما ليس لغيره

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣٠٣/٤، والنسائي كما في تحفة الأشراف ٦٥/٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٣١/٦: «رواه أحمد وفيه ميمون أبو عبد الله وثقه ابن حبان وضعفه جماعة وبقية رجاله ثقات». اهـ.

وميمون هذا هو البصري الكندي ويقال القرشي مولى عبد الرحمن بن سمرة. قال شعبة كان فسلا. وقال أحمد: أحاديثه مناكير. وقال ابن معين: لا شيء. وقال أبو داود: تكلم فيه. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان يحيى القطان سيء الرأي فيه. وقال النسائي وأبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي (تهذيب التهذيب ٣٩٣/١٠).

(٢) ما بين القوسين من صحيح مسلم.

(٣) ما بين القوسين من صحيح مسلم.

(٤) صحيح مسلم ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٣٧٧/١.

من الأنبياء مما لا يحصى ولا يستقصى.

ومن أعظم ما خصه الله به من الفضائل المقام المحمود الذي يغبطه به النبيون، قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله على قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء: آية ٧٩] قال: يقعده معه على العرش[1].

---

(١) حكى الإمام أبو جعفر الطبري قولين في هذه المسألة: القول الأول: أن المقام المحمود هو الشفاعة، وعليه أكثر أهل العلم. والقول الآخر: أن المقام المحمود هو جلوس النبي ﷺ مع ربه على عرشه سبحانه. قاله مجاهد.

ثم قال ابن جرير: «وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ. وذلك ما حدثنا به أبو كريب ثنا وكيع عن داود بن يزيد عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ سئل عنها قال: «هي الشفاعة» اهـ. ثم قال ابن جرير - بعد سياق أحاديث تدل على ما رجحه -: «وهذا وإن كان هو الصحيح من القول في تأويل قوله: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ لما ذكرنا من الرواية عن رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين، فإن ما قاله مجاهد من أن الله يقعد محمداً على عرشه، قول غير مدفوع صحته، لا من جهة خبر ولا نظر وذلك لأنه لا خبر عن رسول الله ولا عن أحد من أصحابه ولا عن التابعين بإحالة ذلك... إلخ» اهـ.

تنبيه: عزا المؤلف - رحمه الله تعالى - القول بقعود النبي ﷺ مع ربه على العرش إلى ابن جرير الطبري، تبعاً للإمام شمس الدين بن قيم الجوزية - عليه رحمة الله - في كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) ص ١٢٠.

والذي يتضح من كلام الإمام ابن جرير السابق أنه يرجح القول بأن المقصود من الآية الشفاعة. بيد أنه ذكر في آخر كلامه على هذه الآية أن =

وله في القيامة ثلاث شفاعات: أما الشفاعة الأولى فيشفع لأهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه. وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له. وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، يشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها.

وله الحوض المورود في عرصات القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً.

---

* قول مجاهد ليس بمحال!!

نكتة: قال ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث سنة سبع عشرة وثلاثمائة: - وفيها وقعت فتنة ببغداد بين أصحاب أبي بكر المروذي الحنبلي، وبين طائفة من العامة، اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾.

فقالت الحنابلة: يجلسه معه على العرش. وقال الآخرون: المراد بذلك الشفاعة العظمى، فاقتتلوا بسبب ذلك، وقتل بينهم قتلى، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد ثبت في صحيح البخاري أن المراد بذلك مقام الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة في فصل القضاء بين العباد، وهو المقام الذي يرغب إليه فيه الخلق كلهم، حتى إبراهيم، ويغبطه به الأولون والآخرون. ا هـ.

وهو أول من يفتح له بابُ الجنة وأول من يدخل الجنة من الأمم أمتُه.

والمقصود من هذا: أن قول هذا الملحد فيما أورده عن القسطلاني من تلك الحكاية، وما ذكره من هذا الحديث الموضوع «أن أول ما خلق الله من الأشياء نور محمد ﷺ، وأن جميع المخلوقات خلقت من نوره حتى النار»[1] مناقضٌ لما ذكره الله في كتابه، وعلى لسان رسوله في سنته.

ولو كان حقاً وثابتاً، أو كان من الفضائل والخصائص لذكره أهل الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من الكتب المعتمدة، ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا من الكذب الذي لا يمتري فيه عاقل، فضلاً عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه ورسوله وسنة نبيه.

وإذا كان نور رسول الله ﷺ على زعم هؤلاء مخلوقاً من نور، فمن المعلوم بصريح النقل أن الملائكة مخلوقون من النور أيضاً، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «خلقت الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم»[2] وفي تفسير الحافظ أبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه من حديث حماد بن سلمة حدثنا الزبير بن عبد السلام عن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن أبيه

(١) في الأصل (وأن هذا مناقض) وهو تكرار.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الزهد والرقائق ـ ٤/٢٢٩٤ عن عائشة رضي الله عنها ولفظه: «خلقت الملائكة من نور وخلق الجان...».

قال: قال عبد الله بن مسعود: «إن ربكم عزَّ وجلَّ ليس عنده ليل ولا نهار، ونور السماوات من نور وجهه» الحديث إلى آخره[1].

ونهى العلماء عن استقبال الشمس والقمر ببول أو غائط لما فيهما من نور الله[2]، فإذا كان ذلك كذلك فما خاصية رسول الله ﷺ بذلك، وامتيازه عن هذه المخلوقات؟ إذ من

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ٩/٢٠٠، وفي السنة ـ كما في اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم وقد قال الهيثمي في المجمع ١/٨٥: وفيه أبو عبد السلام قال أبو حاتم: مجهول، وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره ا هـ.

(٢) ذهب إلى هذا جماعة من أصحابنا منهم ابن قدامة في المغني، وقدمه ابن مفلح في الفروع، واختاره ابن تميم وغيره كما في الإنصاف ١/١٠٠.

قال ابن مفلح في المبدع ١/٨٥ قوله: (ولا يستقبل الشمس ولا القمر) لأنه روي أن معهما ملائكة، وأن أسماء الله مكتوبة عليهما، وأنهما يلعنانه، وبهما يستضيء أهل الأرض فينبغي احترامهما. ا هـ. قال النووي رحمه الله في المجموع ٢/١٠٣ بعد أن ذكر عن بعض الشافعية استحباب عدم استقبال النيرين:

واستأنسوا فيه بحديث ضعيف بل باطل.. والحكم بالاستحباب يحتاج إلى دليل ولا دليل في المسألة. ا هـ. وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: لم ينقل عنه ﷺ في ذلك كلمة واحدة لا بإسناد صحيح ولا ضعيف ولا مرسل ولا متصل. وليس لهذه المسألة أصل في الشرع. ا هـ. وقد ذهب إلى عدم الكراهة جماعة من أصحابنا. قال المرداوي في الإنصاف: ظاهر كلام أكثر الأصحاب: عدم الكراهة. ا هـ.

قال الصنعاني في سبل السلام عند قول النبي ﷺ: «ولكن شرقوا أو غربوا»: صريح في جواز استقبال القمرين واستدبارهما إذ لا بد أن يكونا في =

المعلوم بالضرورة أن الله خلق آدم من صلصال كالفخار، وقد فضله الله على الملائكة وهم مخلوقون من نور، ورسول الله ﷺ سيد ولد آدم، وآدم عليه السلام فمن دونه تحت لوائه يوم القيامة، وقد ذكر ﷺ في الحديث السابق أن الملائكة خلقت من نور، ولم يقل: خُلقتُ من نور محمد فدل على أن هذا كذب عليه، وقد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ [ الحجر: آية ٢٦، ٢٧ ] وثبت بالإسناد الذي على شرط الصحيح عن عبد الله بن عمرو أنه قال: قالت الملائكة: يا ربنا قد جعلت لبني آدم الدنيا يأكلون ويشربون، فاجعل لنا الآخرة كما جعلت لهم الدنيا، فقال: لا أفعل. ثم أعادوا عليه، فقال: لا أفعل. ثم أعادوا عليه، فقال: وعزتي لا أجعل صالح ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان[1]. فإذا ثبت أن الملائكة مخلوقون من نور وأن الله خلق آدم وذريته من

---

= الشرق أو الغرب غالباً. اهـ. (١٥٠/١ ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية).

(١) أخرجه الطبراني - مرفوعاً، كما في تفسير ابن كثير ٥٦/٣ ط النهضة - حدثنا أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي، حدثنا إبراهيم بن عبد الله بن خارجة المصيصي، حدثنا حجاج بن محمد، حدثنا محمد بن مطرّف أبو غسان، عن صفوان بن سليم، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: إن الملائكة قالت: يا ربنا أعطيت بني آدم الدنيا... الحديث.

قال الهيثمي في المجمع ٨٢/١ بعد أن نَسَبَ الحديث للطبراني في =

الكبير والأوسط: -

وفيه. إبراهيم بن عبد الله المصيصي، وهو كذّاب متروك. وفي الأوسط: طلحة بن زيد، وهو كذّاب أيضاً اهـ.

وأخرجه عثمان بن سعيد في ردّه على بشر ص ٣٤:

حدثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث حدثني هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن عبد الله بن عمرو قال: لقد قالت الملائكة: يا ربنا... الحديث. موقوفاً كما ذكره المؤلف.

وفي هذا الإسناد: عبد الله بن صالح كاتب الليث اختلف فيه. وحديثه حسن في الشواهد والمتابعات، قال الحافظ في التقريب: صدوق كثير الخطأ، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة.

وللحديث شاهد من حديث عروة بن رويم قال: أخبرني الأنصاري عن النبي ﷺ أنه قال: إن الملائكة قالوا: ـ ربنا خلقتنا، وخلقت بني آدم، فجعلتهم يأكلون الطعام، ويشربون الشراب... الحديث.

أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب «السنّة»: حدثنا الهيثم بن خارجة، أنا عثمان بن حصن بن عَلّاق، سمعت عروة بن رويم يقول...

وهذا إسناد صحيح إلى عروة بن رويم.

وقد أعلّه محقق كتاب السنّة ١/٤٦٩ بعثمان بن حصن، فقال: ـ «وفي سنده: عثمان بن علاق ولم أقف له على ترجمة، وجهالة الأنصاري» اهـ.

قلت: عثمان ثقة من رجال التهذيب ٧/١١٠، وقد أخرج النسائيُّ حديثه.

ووقع في اسمه خطأً طباعي في تقريب التهذيب، ط النمنكاني، فرسم هكذا «عثمان بن حصين» فليصلح.

وأما الأنصاري المذكور فقد استظهر الشيخ العلامة المحدث أحمد شاكر أنه أنس بن مالك الصحابي رضي الله عنه، بدليل رواية ابن عساكر في «التاريخ» التي صرّح فيها عروة بن رويم اللخمي بأن الأنصاريَّ أنسُ بنُ ـ

= مالك. قال الشيخ أحمد: - ولكن إسناد ابن عساكر لم يتبين لي صحته من ضعفه. وأيًّا ما كان فرواية عبد الله بن أحمد ورواية ابن عساكر - تصلحان للإستشهاد، وتؤيدان صحة حديث عبد الله بن عمرو بإسناد الدارمي) اهـ.

وهذا إسناد ابن عساكر: قال رحمه الله في «تاريخ دمشق ١٢٩/١٥ - ١٣٠ من مصوّرة مخطوطة الظاهرية» في ترجمة محمد بن أيوب بن الحسن الداراني: -

أنبأ أبو الحسن علي بن الحسن بن الحسين[1]، وأبو طاهر محمد بن الحسين[2] قالا: أنبأ أبو علي الأهوازي قال: حدثنا عبد الوهاب بن عبد الله ابن عمر قال: ثنا أبو الفتح المظفر بن أحمد بن برهان المقري[3]، ثنا أبو بكر محمد بن أيوب الداراني حدثنا الحسن بن علي بن خلف الصيدلاني ثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثني عثمان بن حصن بن عبيدة بن علاّق قال: سمعت عروة بن رويم اللخمي يقول: حدثني أنس بن مالك....

الحديث وإسناده ضعيف: أبو علي الأهوازي هو: الحسن بن علي بن إبراهيم بن يزداد. قال الذهبي في السير ١٣/١٨: صاحب حديث، ورحلة، وإكثار، ليس بالمتقن له ولا المجود، بل هو حاطب ليل، ومع إمامته في القراءات فقد تكلم فيه، وفي دعاويه تلك الأسانيد العالية ا هـ.

وترجمه في الميزان ٥١٢/١ - ٥١٣ وذكر أنه رمي بالكذب.

ومحمد بن أيوب الداراني لم يذكر فيه ابن عساكر جرحاً ولا تعديلاً.

وأخرج ابن عساكر هذا الحديث في تاريخه أيضاً ٨١٧/٩ - ١١٨ من طريق محمد فريم نا هشام بن عمار نا عبد ربه بن صالح عن عروة بن رويم وزهير بن طاهر. =

---

(١) ترجمته في السير ٤٣٧/١٩.

(٢) ترجمته في السير ٤٣٦/١٩.

(٣) ترجمته في ابن عساكر ٦٠١/١٦، وغاية النهاية للجزري ٣٠/٢.

صلصال من حمإٍ مسنون، وأقسم بعزته جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه أن من خلق بيده أفضل من الملائكة المخلوقين من النور، وأنه لا يجعل صالح ذريته كالملائكة، وقال عبد الله بن سلام: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد ﷺ فقيل له: يا أبا يوسف ولا جبرائيل ولا ميكائيل؟ فقال: يا ابن أخي أو تعرف ما جبرائيل وميكائيل؟ إنما جبرائيل وميكائيل خلق مسخر مثل الشمس والقمر ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من محمد» وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال. أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: «خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبثّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم[1] بعد العصر من يوم الجمعة[2] في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات

---

* ومن طريق عبد الملك البزار نا هشام بن عمار نا عبد ربه بن صالح القرشي قال: سمعت عروة بن رويم يحدث عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن النبي ﷺ.... به.

وعبد ربه بن صالح القرشي ذكره ابن عساكر في التاريخ وساق له هذا الحديث ولم يحكِ فيه جرحاً ولا تعديلاً.

وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل وبيّض له ٦/٤٤، وكذا البخاري في التاريخ الكبير ٦/٧٩.

(١) في الأصل «يوم الجمعة» وهو تكرار. وما أثبته هو الموافق لما في صحيح مسلم.

(٢) سقطت «في» من الأصل واستدركتها من صحيح مسلم.

الجمعة فيما بين العصر إلى الليل»[1] فتبين من هذا الحديث أن خلق النور يوم الأربعاء، وآدم خلق بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق.

وقد ثبت أن نبينا ﷺ قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[2] فكيف يصح في الأذهان أن يكون آدم مخلوقاً من نور أفضل ولده؟ وقد أخبرنا الله في كتابه وعلى لسان رسوله أن الله خلق آدم من صلصال من حمإ مسنون، أو تكون النار التي هي محل غضبه وسخطه مخلوقة من نور محمد؟

وقد ثبت أن الله خلق النار قبل أن يخلق آدم وذريته.

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن نور الله الذي هو صفته غير مخلوق، وليس من الله شيء مخلوق، وإنما تكون الأشياء وتخلق بأمره وتكوينه وأفعاله سبحانه وبحمده إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

فإذا عرفت هذا عرفت أن ما ذكره القسطلاني لا يصح وأن هذا الحديث موضوع مكذوب، وإذا كان ذلك كذلك تبين لك أنه لم يكن قبل خلق آدم خلق من ذريته يسمى عالم الغيب لا أرواح ذريته من الأنبياء ولا غيرهم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب صفات المنافقين وأحكامهم - ٢١٤٩/٤.

(٢) تقدم تخريجه.

فإذا عرفت هذا فنذكر هنا من الأحاديث الصحيحة ما يبطل دعوى هؤلاء الوضاعين الغلاة وأن الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ أن أول ما خلق الله تعالى من الأشياء العرش أو القلم كما ذكره أهل العلم.

قال شيخ الإسلام: الوجه التاسع أنه قد ذكرنا أن للسلف في العرش والقلم أيهما خلق قبل الآخر قولين كما ذكره الحافظ أبو العلاء الهمذاني وغيره أحدهما: أن القلم خلق أولاً، كما أطلق ذلك غير واحد، وهذا[1] هو الذي يفهم في الظاهر في كتب من صنف في الأوائل كالحافظ ابن أبي عروبة وابن أبي معشر الحراني وأبي القاسم الطبراني للحديث الذي رواه أبو داود في سننه عن عبادة بن الصامت أنه قال: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أنما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول ما خلق الله القلم فقال: اكتب. فقال: يا رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[2].

---

(١) في الأصل (وذلك).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب السنة ـ ٥/٧٦. عن أبي حفصة قال: قال عبادة لابنه. . . . وأبو حفصة هذا اسمه حبيش بن شريح. قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول.

وللحديث شواهد وطرق يرقى الحديث بها عن رتبة الضعيف. لذا قال ابن حجر الهيتمي - عفا الله عنه - في الفتاوى الحديثية ص ١٥٨ على هذا الحديث: «وَرَدَ بل صحّ من طرق». ا هـ والحديث خرجه الطيالسي في مسنده ٣٠/١ - منحة المعبود - ومن طريقه الترمذي في سننه - كتاب التفسير - ٤٢٤/٥ وكتاب القدر ٤٥٧/٤ وابن أبي حاتم - كما في تفسير ابن كثير ٤١٦/٨ ط المنار - وابن أبي عاصم في السنة رقم (١٠٥) واللالكائي في شرح الاعتقاد (ص ٢١٨). وخرّجه البغوي في مسند ابن الجعد ١١٨٣/٢، ومن طريقه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» ص ٦١٥.

وفي إسناده عند هؤلاء عبد الواحد بن سليم ضعيف الحديث. قال أحمد: حديثه حديث منكر أحاديثه موضوعة. وقال ابن معين: ضعيف (التهذيب ٤٣٦/٦). وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٧/٥، وابن أبي عاصم في السنة ٤٨/١، وفي الأوائل ص ٥٩. وفي سنده ابن لهيعة وهو حسن الحديث في الشواهد والمتابعات

وقد روى ابن وهب هذا الحديث عن ابن لهيعة. وحديث ابن لهيعة إذا رواه ابن وهب صحّ لأنه سمع منه قبل الاختلاط. لكن ابن لهيعة مدلس وقد عنعنه. (القدر لابن وهب ص ١٢١).

وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٧/٥، وابن أبي عاصم في السنة ٥٠/١، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٧/٢٩، والآجري في الشريعة ص ١٧٧ وغيرهم من طريق أيوب بن زياد أبو زيد الحمصي: حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة. حدثني أبي قال: دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت فقلت: يا أبتاه أوصني واجتهد لي فقال: أجلسوني. قال: يا بني . . . الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في النكت الظراف - بعد أن ساق سند البزار وهو من هذا الطريق - : وجاء عن علي بن المديني أنه قال: «إسناده حسن».

**والثاني**: أن العرش خلق أولاً، قال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في مصنفه في الرد على الجهمية حدثنا محمد بن كثير العبدي أنبأنا سفيان الثوري حدثنا أبو هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: «إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول، ما خلق الله القلم، فأمره أن يكتب ما هو كائن، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[1] ورواه أيضاً أبو القاسم اللالكائي في كتابه في شرح أصول السنة من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: «إن ناساً يقولون في القدر قال: يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونّه ـ أي لآخذن بناصيته ـ إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه»[2] وكذلك روى الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب الأسماء والصفات لما ذكر بدء الخلق فذكر حديث عبد الله بن عمرو[3][4] وعمران بن حصين[5] وغيرهما، وسنذكر هذين

---

(١) أخرجه الدارمي في الردّ على الجهمية ص ٣١.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول السنة ص ٦٦٩، ٦٧٠.

(٣) ونصه: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» (الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٧٧).

(٤) في الأصل (عن).

(٥) قال: أتيت رسول الله ﷺ فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت فأتاه نفر من بني»

الحديثين إن شاء الله تعالى، ثم ذكر حديث الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [ هود: آية ٧ ] على أي شيء كان؟ قال: «على متن الريح»[1] وروى حديث القاسم بن أبي بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «إن أول شيء خلقه الله القلم وأمره فكتب كل شيء يكون»[2] قال البيهقي: ويروى ذلك عن عبادة بن الصامت مرفوعاً. قال البيهقي: وإنما أراد والله أعلم أول شيء خلقه بعد خلق الماء والريح والعرش[3] القلم، وذلك بين في حديث عمران بن حصين (ثم خلق السماوات والأرض).

---

= تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم... إلخ. (الأسماء والصفات ص ٤٧٨).

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ص ٤٨٠.

(٢) أخرجه الدارمي في الردّ على الجهمية ص ١٢١، وابن جرير الطبري في تفسيره ١٦/٢٩، ١٧ وعبد الله ابن الإمام أحمد في السنة ٢٩٣/٢، والطبراني في الكبير ٦٨/١٢، ٦٩ وفي الأوائل ص ٢٢، وابن أبي عاصم في السنة ٥٠/١ وفي الأوائل ص ٦٠. جميعهم من طرق عن رباح بن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبي بزّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.. به. وإسناده جيد. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٠/٧: رواه الطبراني ورجاله ثقات. اهـ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات. اهـ.

(٣) في الأصل (والقلم) وما أثبته من الأسماء والصفات ص ٤٨١.

وفي حديث أبي ظبيان[1] عن ابن عباس موقوفاً عليه (ثم خلق النون فدحا[2] الأرض عليها).

وروى بإسناده الحديث المعروف عن وكيع عن الأعمش عن أبي ظبيان[1] عن ابن عباس قال: «إن[3] أول ما خلق الله من شيء القلم فقال له: اكتب فقال: يا رب ما أكتب؟ قال: اكتب القدر. قال فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة. قال: ثم خلق النون فدحا[2] الأرض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإنها لتفتخر على الأرض إلى يوم القيامة»[4].

**قلت: حديث عمران بن حصين الذي ذكر هو ما رواه البخاري من غير وجه منها ما رواه في كتاب التوحيد في (باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم)[5] قال أبو**

---

(1) في الأصل (ضبيان).

(2) في الأصل (فدمى) وما أثبته من الأسماء والصفات للبيهقي.

(3) سقطت (إن) من الأصل. وأثبتها من الأسماء والصفات للبيهقي.

(4) قال السيوطي في الدر المنثور ٨/٢٤٠: أخرجه عبد الرزاق، والفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير- ٢٩/١٤، ١٥ وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في العظمة، والحاكم، وصححه- ٢/٤٩٨ - والبيهقي في الأسماء والصفات- ص ٤٨١ - والخطيب في تاريخه، والضياء في المختارة. اهـ.

(5) ١٣/٤٠٣.

العالية: استوى إلى السماء: ارتفع. وقال مجاهد: استوى[1] على العرش.

وذكره من حديث أبي حمزة عن الأعمش عن جامع بن شداد[2] عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: «إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم، قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، فقالوا قد قبلنا، جئناك لنتفقه[3] في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر، قال: كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه على الماء ثم خلق السماوات والأرض، وكتب في الذكر كل شيء، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران أدرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت أطلبها فإذا السراب ينقطع دونها وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم» رواه البيهقي كما رواه محمد بن هارون الروياني في مسنده.

وعن عثمان بن سعيد وغيرهما من حديث الثقات المتفق على ثقتهم عن أبي إسحاق الفزاري عن الأعمش عن جامع بن شداد عن صفوان بن محرز عن عمران بن حصين قال: أتيت النبي ﷺ فعقلت ناقتي بالباب ثم دخلت، فأتاه نفر

---

(١) سقطت (على) من الأصل.

(٢) (عن جامع بن شداد) سقطت من الأصل.

(٣) في الأصل (لنفقه).

من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا: بشرتنا فأعطنا. فجاء نفر من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها إخوانكم من بني تميم فقالوا: قبلنا يا رسول الله أتيناك لنتفقه في الدين ونسألك عن أول هذا الأمر كيف كان؟ قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر كل شيء ثم خلق السماوات والأرض قال: ثم أتاني رجل فقال: أدرك ناقتك قال: فذهبت فخرجت فوجدتها ينقطع دونها السراب، وأيم الله لوددت أني تركتها.

ففي هذا الحديث الصحيح بيان أنه كتب في[1] الذكر ما كتبه بعد أن كان عرشه على الماء وقبل أن يخلق السماوات والأرض.

فتبين من هذه الأحاديث الصحيحة أن هذا الحديث الذي ذكره الملحد موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ، وأن أول ما خلق الله العرش على الصحيح كما قال ابن القيم رحمه

واذكر حديث السبق للتقدير والتو
قيت قبل جميع ذي الأعيان
خمسين ألفاً من سنين عدّها الـ
ـمختار سابقة لذي الأكوان
هذا وعرش الرب فوق الماء من
قبل السنين بمدة وزمان

(١) سقطت (في) من طبعة الرياض. وما أثبته من الأصل.

والناسُ مختلفونَ في القلمِ الذي
كتبَ القضاءَ بهِ منَ الدّيانِ

هل كان قبلَ العرشِ أو هو بعدَه
قولانِ عندَ أبي العلا الهمذاني

والحقُّ أنّ العرشَ قبلُ لأنه
قبلَ الكتابةِ كانَ ذا أركانِ

وكتابةُ القلمِ الشريفِ تعقبت
إيجادَه من غيرِ فصلِ زمانِ

لما براه اللهُ قالَ اكتب كذا
فغدا بأمرِ اللهِ ذا جريانِ

فجرى بما هو كائنٌ أبداً إلى
يومِ المعادِ بقدرةِ الرحمانِ

وهؤلاء الجهلة يزعمون أن أول ما خلق الله من الأشياء نور محمد ﷺ ثم لما أراد الله أن يخلق الخلق قسّم ذلك النور أربعة أجزاء فخلق من الجزء الأول القلم، وهذا مناقض ومناف لما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين (مرفوعاً) قال: «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم كتب في الذكر [ كل شيء ثم خلق السماوات والأرض ]».

ففي هذا الحديث أنه كتب في الذكر ][1] بعد أن كان عرشه على الماء فصح أن العرش والماء مخلوقان قبل القلم، ولو كان الله خلق نور محمد ﷺ قبل الأشياء لذكره في الحديث الصحيح، وقد سألوه عن أول هذا الأمر فأخبرهم أن الله كان ولم يكن قبله شيء وكان عرشه على الماء. وذكر البيهقي فيما تقدم على حديث عبادة أن أول شيء خلقه الله بعد خلق الماء والريح والعرش القلمُ. قال: وذلك بين في حديث عمران. ولم يذكر خلق نور محمد لا قبل العرش ولا القلم ولا بعده.

ثم ذكر هذا الملحد أن الله قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السماوات ومن الثاني الأرض. وهذا مخالف للأحاديث كما في حديث أبي ظبيان عن ابن عباس قال: «أول ما خلق الله عزَّ وجلَّ القلم» فذكره وفيه: «ثم خلق النون فدحا الأرض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال» فتبين من هذا الحديث أن خلق الأرض قبل السماء كما قال تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ - إلى قوله: - ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ ﴾ [ فصلت: آيات ٩ - ١١]. وهذا الجاهل يقول ثم خلق من الجزء الأول السماوات ومن الثاني الأرض خلاف ما

(١) ما بين المعكوفين سقط من الأصل.

ذكره ابن عباس رضي الله عنهما، وخلاف ما نزل به القرآن.

وقال عثمان بن سعيد حدثنا عبد الله بن صالح المصري، حدثنا ابن لهيعة ورشدين بن سعد عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو قال: «لما أراد الله تبارك وتعالى أن يخلق شيئاً إذ كان عرشه على الماء، وإذ لا أرض[1] ولا سماء، خلق الريح فسلطها على الماء حتى اضطربت أمواجه وأثار ركامه، فأخرج من الماء دخاناً وطيناً وزبداً، فأمر الدخان فعلا، وسما، ونمى، فخلق منه السماوات، وخلق من الطين الأرضين، وخلق من التربة الجبال»[2].

وهذا الجاهل يقول إن الله خلق السماوات والأرض من الجزء الرابع من نور محمد ﷺ. ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [ النور: آية ١٦ ].

---

(١) في الأصل (إذا الأرض).

(٢) في الردّ على الجهمية للدارمي ص ٣٢: (وخلق من الزبد الجبال).

## فصـــل

**وأما قول الملحد:** (أخرج الإمام أحمد والبخاري في تاريخه والطبراني ،الحاكم وأبو نعيم عن ميسرة الضبي قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[1]. قال المناوي في قوله: «متى كنت نبياً» الحديث، ولم يقل إنساناً ولا موجوداً إشارة إلى أن نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة، فلما انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى وجود اسمه وارتباط الروح به، انتقل الحكم الزماني في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر بذاته جسماً وروحاً فكان الحكم له باطناً أولاً في كل ما ظهر من الشرائع على أيدي الأنبياء والرسل ثم صار له الحكم ظاهراً فنسخ كل شيء أبرزه الاسم الباطن بحكم الاسم الظاهر لبيان اختلاف حكم الاسمين وإن كان المشروع واحداً، انتهى).

**فالجواب أن يقال:** ـما ما ذكره المناوي على هذا الحديث

(١) تقدم الكلام على الحديث.

من قوله: «إشارة إلى أن نبوته كانت[1] موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب دون عالم الشهادة إلى آخره».

فهو من جنس الرموز والإشارات والاعتبار الذي سلكه المتصوفة من أهل السلوك، ومن جنس ما يذكره صاحب «الفصوص» في «الفتوحات»، ومن نمط ما يذكره أبو حامد الغزالي من الألفاظ المبتدعة المأخوذة عن الفلاسفة، كلفظ عالم الغيب والملكوت، وعالم الشهادة وغير ذلك من الألفاظ التي لا تذكر في شيء من الأحاديث، وإنما أصل هذه الألفاظ من وضع الفلاسفة واصطلاحاتهم، فيعبر هؤلاء بهذه العبارات المأخوذة عن الفلاسفة، ويجعلون مراد الله ورسوله ﷺ من الآيات والأحاديث على ما أرادوا من معاني هذه الألفاظ المخترعة التي تخالف كتاب الله وسنة رسوله.

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام، ومما جاء عن سيد الأنام، أنه ليس قبل خلق السماوات والأرض خلق من بني آدم أرواحاً، ولا غيرها يسمى عالم الغيب، ولا يوجد ذلك في كلام أئمة الإسلام، وهذا بناء من هؤلاء على أن الأرواح مخلوقة قبل خلق السماوات والأرض، وعليه وضع الوضاعون تفرع خلق جميع المخلوقات جزءاً بعد جزء من نور محمد ﷺ، والذي ذكره أهل العلم من الأحاديث إنما هو

(١) في طبعة الرياض (كأنك).

تقدير ما هو كائن إلى يوم القيامة، فإن الله تعالى قدر مقادير الخلق وانقسام الخلق إلى سعيد وشقي، وميزهم قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح: «إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء» وسيأتي بيان ذلك فيما بعد إن شاء[1] الله تعالى، ومن المعلوم أن رسول الله ﷺ، قد كان نبياً في سابق علم الله قبل أن يخلق السماوات والأرض، فإن الله قدر ما هو كائن إلى يوم القيامة، ولم يكن ثم عالم غيب من الأرواح لا أرواح الأنبياء ولا غيرهم من بني آدم. وهذا بخلاف ما قاله المناوي «من أن نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب، يعني أنه كان في أول الزمان في عالم الغيب روح موجودة بالاسم الباطن، ثم انتهى الزمان بالاسم الباطن إلى وجود جسمه وارتباط الروح به، إلى أن انتقل الحكم الزماني في جريانه إلى الاسم الظاهر، فظهر بذاته جسماً وروحاً» ومستنده في ذلك الحديث الذي أخرجه البخاري في تاريخه، وأحمد والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم، عن ميسرة الضبي قال: قلت يا رسول الله: متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد».

ومن المعلوم أن هذا الحديث مناف لما قاله المناوي فإن

---

(١) في الأصل (إنشاء الله).

آدم عليه السلام إنما خلقه الله بعد خلق السماوات والأرض بعد العصر من يوم الجمعة آخر الخلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل. ومعلوم أن خلق الزمان قبل خلق آدم بمدة طويلة، وإنما قال ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» ولم يقل كنت نبياً في أول خلق الزمان، بمعنى أنه كان في أول خلق الزمان روحاً موجودة قبل خلق العرش والماء والريح والقلم، وقبل خلق السماوات والأرض، وقبل خلق أبيه آدم، وأُخرج ﷺ في جملة من أخرج لما مسح الله ظهر آدم بيده فاستخرج ذريته كأمثال الذر، فعلم أن هذا الحديث مناقض لما قاله المناوي ومناف له.

قال شمس الدين بن القيم ـ رحمه الله تعالى وعفا عنه ـ:

## فصــل

**وأما الدليل على أن خلق الأرواح متأخر عن خلق[1] أبدانها فمن وجوه:**

**أحدها:** أن خلق أبي البشر وأصلهم كان هكذا، فإن الله سبحانه أرسل جبرائيل فقبض قبضة من الأرض ثم خمرها حتى صارت طيناً ثم نفخ فيه الروح بعد أن صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحماً ودماً حياً ناطقاً. ففي تفسير أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس، وعن مرة عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ، لما فرغ الله من خلق ما أحب استوى على العرش، فجعل إبليس على ملك سماء الدنيا، وكان من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن، وإنما سموا الجن لأنهم خزان الجنة، وكان إبليس مع ملكه خازناً، فوقع في صدره[2] فقال: ما أعطاني الله هذا إلا لمزية لي.

وفي لفظ: ـ لمزية لي على الملائكة، فلما وقع ذلك الكبر

(١) سقطت (خلق) من طبعة الرياض.

(٢) في الأصل (جذره) وما أثبته من الروح لابن القيم.

في نفسه اطلع الله على ذلك منه، فقال الله للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: ربنا وما يكون حال الخليفة؟ قال: يكون له ذرية يفسدون في الأرض ويتحاسدون ويقتل بعضهم بعضاً، قالوا: ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لا تعلمون ـ يعني من شأن إبليس ـ فبعث جبريل إلى الأرض يأتيه بطين منها، فقالت الأرض: أعوذ بالله أن تقبض مني، فرجع ولم يأخذ. فقال: رب إنها عاذت بك فأعذتها، فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعاذها، فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع ولم أنفذ أمره، فأخذ من وجه الأرض وخلط ولم يأخذ من مكان واحد[1] فأخذ من تربة حمراء وبيضاء وسوداء. فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به قبل الرب حتى عاد طيناً لازباً ـ واللازب هو الذي يلزق بعضه ببعض ـ ثم قال للملائكة: إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين، فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر إبليس عنه، ليقول له تكبرت عما عملت بيدي، ولم أتكبر أنا عنه[2] فخلقه بشراً فكان جسداً من طين أربعين سنة، فمرت به الملائكة ففزعوا منه[3] لما رأوه وكان أشدهم منه فزعاً إبليس، فكان يمر به فيضربه فيصوّت الجسد

(١) في الأصل (واحداً) وما أثبته من الروح للإمام ابن القيم.
(٢) في طبعة الرياض (عنده).
(٣) في طبعة الرياض (عنه).

كما يصوِّت الفخار، يكون له صلصة، فذلك حين يقول[1]: من صلصال كالفخار، ويقول لأمر ما خلقت، ودخل من فيه وخرج من دبره، فقال للملائكة: لا ترهبوا من هذا فإن ربكم صمدٌ، وهذا جوف لئن سلطت عليه لأهلكنه، فلما بلغ الحين الذي يريد الله جلّ ثناؤه أن ينفخ فيه الروح، قال للملائكة[2]: إذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له، ولما نفخ فيه الروح دخل الروح في رأسه فعطس، فقالت الملائكة: قل الحمد لله. فقال: الحمد لله فقال الله: يرحمك ربك، فلما دخل في عينيه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل أن تبلغ الروح رجليه فنهض عجلان إلى ثمار الجنة فذلك[3] حين يقول: خلق الإنسان من عجل وذكر باقي الحديث.

وقال[4] يونس بن عبد الأعلى: أخبرنا ابن وهب قال: حدثنا ابن زيد قال: لما خلق الله[5] النار ذعرت منها الملائكة ذعراً شديداً. وقالوا: ربنا لما خلقت هذه النار ولأي شيء خلقتها؟ قال: لمن عصاني من خلقي.

---

(١) في الأصل (فلذلك) وما أثبته من الروح للإمام ابن القيم.
(٢) سقطت (الملائكة) من الأصل، وما أثبته من الروح.
(٣) في الأصل (فلذلك) وما أثبته من الروح.
(٤) في الأصل (وذكر) وما أثبته من الروح لابن القيم.
(٥) سقطت لفظة (الله) من الأصل (الروح لابن القيم).

ولم يكن لله[1] خلق يومئذ إلّا الملائكة، والأرضُ ليس[2] فيها خلق، إنما خلق آدم بعد ذلك، وقرأ قوله: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾ [ الإنسان: آية ١ ] قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ليت ذلك الحين. ثم قال: وقالت الملائكة ويأتي علينا دهر نعصيك فيه؟ لا يرون له خلقاً غيرهم قال: لا إني أريد أن أخلق في الأرض خلقاً وأجعل فيها خليفة. وذكر الحديث.

قال ابن إسحق: فيقال والله أعلم: خلق الله آدم ثم وضعه ينظر إليه أربعين عاماً قبل أن ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالاً كالفخار ولم تمسه نار فيقال والله أعلم: لما انتهى الروح إلى رأسه عطس فقال: الحمد لله. فذكر الحديث.

فالقرآن والحديث، والآثار تدل على أنه سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة أرواح ذريته لما عجبت الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لأي شيء خلقتها وهي ترى أرواح بني آدم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث. ولما كانت أرواح الكفار كلها تبعاً لإبليس بل كانت الأرواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فإن الله سبحانه إنما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن آدم وروحه ولم

(١) في الأصل (الله) وما أثبته من الروح وهو أوضح.
(٢) في الأصل (وليس) وما أثبته من الروح.

يكن قبل ذلك كافراً فكيف تكون الأرواح قبله كافرة ومؤمنة وهو لم يكن إذ ذاك؟ وهل حصل الكفر للأرواح إلا بتزيينه وإغوائه فالأرواح الكافرة إنما حدثت بعد كفره، إلا أن يقال كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه، والذي احتجوا به على تقدم خلق الأرواح بخلاف ذلك.

وفي حديث أبي هريرة في خلق[1] العالم الإخبار عن خلق أجناس العالم وتأخر خلق آدم إلى يوم الجمعة ولو كانت الأرواح مخلوقة قبل خلق الأجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة أيام فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الأيام علم أن خلقها تابع لخلق الذرية، وتمام الكلام في كتاب الروح فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه[2].

والمقصود أنه لم يكن هناك خلق يسمى عالم الغيب من بني آدم، ونبينا ﷺ أشرف نسمة وأكرمها على الله من بني آدم، فعلمنا قطعاً أن تفريع هؤلاء على هذا الحديث غير صحيح، مخالفاً للكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

والمقصود أنه ذكر في الحديث الذي رواه عن الإمام أحمد والبخاري في تاريخه وغيرهما ممن رواه قوله: متى

---

(١) في الروح «تخليق».
(٢) ص ٢٩٧ - ٣٠٤ ط الهند سنة ١٣٨٣ هـ و ص ٢٧٩ - ٢٨٤ ط جمهورية مصر. وص ١٧٢ - ١٧٣ ط دار الفكر.

كنت نبياً. قال: «وآدم بين الروح والجسد» وقد تقدم في كلام ابن القيم عن ابن إسحاق وغيره أنه كان بين نفخ الروح في آدم وبين تصوير جسده أربعون سنة، وهذا مناف لما قال المناوي: - إن نبوته كانت موجودة في أول خلق الزمان في عالم الغيب فإن خلق الزمان كان قبل أن يخلق الله آدم بمدة طويلة اللهم إلا إن كان أراد أنه في علم الله الذي كتبه حين كتب مقادير كل شيء قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

إذا تحققت ذلك فلا يقال إن عالم الغيب هو علم الله لأن علم الله صفة قائمة بذاته وهو غير مخلوق وما سوى الله من العالم فهو مخلوق عالم الغيب وعالم الشهادة، وقد كان من المعلوم أن آدم عليه السلام إنما خلق بعد خلق السماوات والأرض آخر المخلوقات بعد هذا العدد المذكور، ونبينا ﷺ أكرم نسمة على الله من بني آدم وهو سيد ولد آدم.

فإذا عرفت هذا عرفت أن كلام المناوي من نمط ما يقوله أبو حامد الغزالي حيث قال: وأما الأفعال فبحر متسعة أكنافه، ولا ينال بالاستقصاء أطرافه، بل ليس في الوجود إلاّ الله وأفعاله، فكل ما سواه فعله، لكن القرآن اشتمل على الخلق منها الواقع في عالم الشهادة كذكر السموات والكواكب والأرض والجبال والبحار والحيوان والنبات وإنـزال الماء الفرات وسائر أصناف النبات وهي التي ظهرت للحس، وأشرف أفعاله وأعجبها وأدلها على جلالةِ صانعها ما لا يظهر

للحس بل هو في عالم الملكوت وهي الملائكة[1] الروحانية والروح والقلب أعني العارف بالله تعالى من جملة أجزاء الآدمي فإنها أيضاً من جملة عالم الغيب والملكوت، وخارج عن عالم الملك والشهادة وذكر كلاماً لا حاجة بنا إليه، ولكن المقصود أنه زعم أن الروح من جملة عالم الغيب والملكوت.

قال شيخ الإسلام على هذا الكلام: ـ فهذا الكلام يستعظمه في بادىء الرأي، أو مطلقاً، من لم يعرف حقيقة ما جاء به الرسول، ولم يعلم حقيقة الفلسفة التي طبق هذا الكلام عليها وعبر عنها بعبارات المسلمين.

فأما قول القائل إن القرآن اشتمل على الخلق، وهي التي ظهرت للحس، وأشرف أفعال الله تعالى ما لا يظهر للحس، يعني ولم يشتمل القرآن عليه. فهذا مع ما فيه من الغض بالقرآن، وذكر اشتماله على القسم الناقص دون الكامل، وتطرق أهل الإلحاد إلى الاستخفاف بما جاءت به الرسل، هو كذب صريح يعلم صبيان المسلمين أنه كذب على القرآن، فإن في القرآن من الأخبار عن الغيب من الملائكة والجن والجنة والنار وغير ذلك ما لا يخفى على أحد، وهو أكثر من أن يذكر هنا، وفي القرآن من الأخبار بصفات الملائكة وأصنافهم وأعمالهم ما لا يهتدي هؤلاء إلى عُشره، إذْ ليس عندهم من ذلك إلاّ شيء قليل مجمل، بل الرسول إنما بعث ليخبرنا

(١) في طبعة الرياض (الملائكية).

بالغيب، والمؤمن من آمن بالغيب، وما ذكره من المشاهدات فإنما ذكره آية ودلالة وبينة على ما أخبر به من الغيب، فهذا وسيلة وذلك هو المقصود. ثم يقال: إنه إنما ذكر الوسيلة، يا سبحان الله إذا لم يكن الإخبار عن هذا القسم في هذا الكتاب الذي ليس تحت أديم السماء، كتاب أشرف منه، وعلم هذا لا يوجد عن الرسول الذي هو أفضل خلق الله تعالى في كل شيء في العلم والتعليم وغير ذلك، أيكون ذكر[1] هذا في كلام أرسطو وذويه، وأصحاب رسائل إخوان الصفا، وأمثال هؤلاء الذين يثبتون ذلك بأقيسة مشتملة على دعاوي مجردة، لا نقل صحيح ولا عقل صريح، بل تشبه الأقيسة الطردية الخالية عن التأثير، وتعود عند التحقيق إلى خيالات لا حقيقة لها في الخارج، كما سنبينه، وكذلك روح الإنسان وقلبه في الكتاب والسنة من الإخبار عن ذلك ما لا يحصيه إلاّ الله.

ثم تكلم على ما أخطأ فيه من ذكر الملائكة وما يتضمن ذلك.

والمقصود أنما ذكره هذا الملحد عن المناوي إن كان النقل صحيحاً فهو من جنس ما يذكره أبو حامد مما يعود حقيقته عند التحقيق[2] إلى خيالات لا حقيقة لها في الخارج.

وأما ما ذكره من هذين الاسمين الشريفين فلا يدلان على ما ذكره لا لفظاً ولا معنى، ولا علاقة بينهما وبين ما ذكره، ولا

(١) في طبعة الرياض (ذكره).
(٢) في طبعة الرياض (حقيقة عند التحقيق).

ارتباط بوجه من الوجوه لا بإشارة ولا بتلويح ولا بتصريح، وقد فسر أعلم الخلق بربه هذه الآية: قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [ الحديد: آية ٣ ] بأنه هو الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء[1]، فقوله ﷺ: «الظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء» يدلان العبد على معرفة إحاطة الرب سبحانه بالعالم وعظمته، وأن العوالم كلها في قبضته، وأن السماوات السبع والأرضين السبع في يده كخردلة في يد العبد، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾ [ الإسراء: آية ٦٠ ] وقال: ﴿ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴾ [ البروج: آية ٢٠ ]، ولهذا يقرن سبحانه بين هذين الإسمين الدالين على هذين المعنيين اسم العلو الدال على أنه الظاهر وأنه لا شيء فوقه، وإسم العظمة الدال على الإحاطة وأنه لا شيء دونه، كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [ سبأ: آية ٢٣ ] وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [ البقرة: آية ١١٥ ] وهو تبارك وتعالى كما أنه العالي فوق خلقه بذاته، فليس فوقه

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه ٢٠٨٤/٤ ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار.

شيء فهو الباطن بذاته فليس دونه شيء، بل ظهر على كل شيء فكان فوقه، وبطن فكان أقرب إلى كل شيء من نفسه، وهو محيط به حيث لا يحيط الشيء بنفسه، وكل شيء في قبضته وليس في قبضة نفسه، فهذا قرب الإحاطة العامة.

وأما القرب المذكور في القرآن والسنة فقرب خاص من عابديه وسائليه، فمعرفة هذه الأسماء الأربعة وهي الأول والآخر والظاهر والباطن هي أركان العلم والمعرفة، فحقيق بالعبد أن يبلغ في معرفتها إلى حيث تنتهي به قواه وفهمه، واعلم أن لك أنت أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً كل شيء فله أول وآخر وظاهر وباطن حتى الخطرة واللحظة والنفس وأدنى من ذلك وأكثر، فأوّليته عزَّ وجلَّ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه بكل شيء، وآخريته بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته سبحانه فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العلو وظاهر الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه، وهذا قرب غير قرب المحبِّ من حبيبه وهي إحاطتان زمانية ومكانية، فإحاطة أوليته وآخريّته بالقبل والبعد فكل سابق انتهى إلى أوليته وكل آخر انتهى إلى آخريته فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل والأواخر وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه وما من أول إلا والله قبله وما من آخر إلا

والله بعده، فالأول قدمه، والآخر دوامه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودنوه، فسبق كل شيء بأوليته، وبقي كل شيء بآخريته، وعلا كل شيء بظهوره، ودنا عن كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء ولا أرض أرضاً ولا يحجب عنه ظاهر باطناً بل الباطن له ظاهر والغيب عنده شهادة والبعيد منه قريب والسر عنده علانية، فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته والآخر في أوليته والظاهر في بطونه والباطن في ظهوره لم يزل أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، انتهى ملخصاً من سفر الهجرتين.

فتبين مما ذكرناه أن لا تعلق لهذين الإسمين الشريفين بشيء مما ذكره المناوي، وإنما هو من التفريعات والرموزات والإشارات التي لا حقيقة لها عند التحقيق، ولا قوام لها بالثبات على الطريق، وإن زعموا أن هذا من علم المكاشفة فهو عند التحقيق مكاشفة.

فإذا عرفت هذا وتحققت أنه لم يكن قبل خلق المخلوقات عالم من أرواح بني آدم يسمى عالم الغيب، وأن أول ما خلق الله العرش والماء والريح ثم خلق القلم وكتب في الذكر كل شيء كائن إلى يوم القيامة علمت يقيناً أن ما ذكره القسطلاني والمناوي من الترهات والأكاذيب الموضوعات، وأن هذا الحديث المروي عن جابر كذب مختلق، وأن الصحيح

الثابت عن رسول الله ﷺ هو التقدير السابق كما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابن وهب أخبرني أبو هاني الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء» ورواه مسلم أيضاً من حديث حيوة ونافع بن يزيد كلاهما عن أبي هاني الخولاني أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة» ورواه البيهقي أيضاً من حديث أبي مريم حدثنا الليث ونافع بن يزيد قالا: حدثنا أبو هاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السماوات والأرض وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة» ففي هذا الحديث الصحيح ما في ذلك الحديث من أنه قدر المقادير وعرشه على الماء قبل أن يخلق السماوات والأرض، لكن بين فيه مقدار السبق أن ذلك قبل السماوات والأرض بخمسين ألف سنة والله سبحانه وتعالى أعلم.

ثم لو كان ما ذكره المناوي والقسطلاني حقاً ثابتاً معلوماً عند أصحاب رسول الله ﷺ لذكره العباس بن عبد المطلب لما امتدح رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك، ففي السيرة النبوية

[ روي عن عم أزي ][1] زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال: سمعت جدي خزيم بن أوس بن حارثة يقول: هاجرت إلى رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول: يا رسول الله أريد أن أمدحك فقال: قل لا يفضض الله فاك فقال:

من قبلها طبت في الظلال وفي
مستودع حيث يخصف الوَرَق
ثم هبطت البلاد لا بشر
أنت ولا مضغة ولا عَلَق
بل نطفة تركب السفين وقد
ألجم نسراً وأهله الغَرَق
تنقل من صالب إلى رحم
إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من
خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأر
ض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النو
ر وسبل الرشاد نخترق

(1) في الأصل (روى زحر بن حصن) وما أثبته من دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٦٧، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/٣٢.

الظلال: ظلال الجنة. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴾ [ المرسلات: آية ٤١ ] والمستودع هو الموضع الذي كان آدم وحواء يخصفان فيه عليهما من ورق الجنة أي يضمان بعضه إلى بعض يستتران به، ثم هبطت إلى الدنيا في صلب آدم وأنت لا بشرٌ ولا مضغة، وقوله: تركب السفين يعني في صلب نوح، وصالب لغة غريبة في الصلب الفتحتان كسقم وسقم، والطبق القرن أي كلما مضى عالم وقرن جاء قرن، ولأن القرن يطبق الأرض، والنطق جمع نطاق وهو ما يشد به الوسط ومنه المنطقة أي أنت أوسط قومك نسباً وجعله في عليا وجعلهم تحته نطاقاً، وضاءت لغة في أضاءت. انتهى.

**وبهذا يعلم أنه لم يكن عندهم أعني الصحابة رضي الله عنهم خصوصاً أهل بيته أن الله خلق نور محمد من نوره قبل أن يخلق الأشياء كلها ولا أن العرش واللوح والقلم والملائكة والجنة والنار وسائر المخلوقات خلقها الله من نور محمد جزءاً بعد جزء وخلقاً بعد خلق.**

**ثم ذكر هذا الملحد كلاماً لا حاجة بنا إلى الجواب عنه.**

## فصــل

**قال الملحد:** (الباب الأول في الآيات القرآنية الدالة على جواز التوسل به) ,ذكر بعض الآيات التي قرن الله بها اسمه باسم النبي ﷺ وما يتعلق في بيان ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [ النساء: آية ٦٤ ] وقال تعالى في شأن أهل أحد: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [ آل عمران: آية ١٥٩ ] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [ محمد: آية ١٩ ].

**والجواب أن يقال:** قد سبق هذا الملحد إلى الاستدلال بهذه الآية من المشبهين أقوام وذكروا من الشبه نحو ما ذكره هذا وأكثر وأعظم تلبيساً وتمويهاً، وأجابهم على ذلك الأئمة الجهابذة الحفاظ الذين هم القدوة وبهم الأسوة وحسبنا ما ذكروه ووضحوه في هذه المسائل.

فقال الإمام الحافظ المحقق أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عبد الهادي الحنبلي المقدسي، قدس الله روحه على ما

ذكره السبكي: ـ فأما استدلاله بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [ النساء: آية ٦٤ ] فالكلام فيها في مقامين:

**(أحدها)**: عدم دلالتها على مطلوبه. **(الثانية)**: بيان دلالتها على نقيضه، وإنما يتبين الأمران بفهم الآية وما أريد بها وسيقت له، وما فهمه منها أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة ومن سلك سبيلهم، ولم يفهم منها أحد من السلف والخلف إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر لهم، وقد ذم تعالى من تخلف عن هذا المجيء إذْ[1] ظلم نفسه وأخبر أنه من المنافقين. فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [ المنافقون: آية ٥ ] وكذلك هذه الآية إنما هي في المنافق الذي رضي بحكم كعب بن الأشرف وغيره من الطواغيت دون حكم رسول الله ﷺ، فظلم نفسه بهذا أعظم ظلم ثم لم يجيء إلى رسول الله ﷺ ليستغفر له، فإن المجيء إليه ليستغفر له توبة وتنصل من الذنب، وهذه كانت عادة الصحابة معه ﷺ أن أحدهم متى صدر منه ما يقتضي التوبة جاء إليه فقال: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، وكان هذا فرقاً بينهم وبين المنافقين.

---

(١) في الأصل والمطبوعة بالرياض (إذا) والتصويب من الصارم المنكر ص ٤٢٥ ط دار الإفتاء.

فلما استأثر الله عز وجل بنبيه ﷺ ونقله من بين ظهورهم إلى دار كرامته، لم يكن أحد منهم قط يأتي إلى قبره، ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت وافترى على كل[1] الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم خير القرون على الإطلاق حيث تركوا هذا الواجب[2] الذي ذم الله سبحانه من تخلف عنه وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق[3]، وكيف أغفل هذا الأمر أئمة الإسلام وهداة الأنام من أهل الحديث والفقه والتفسير ومن لهم لسان صدق في الأمة، فلم يدعوا إليه، ولم يرشدوا إليه، ولم يفعله أحد منهم ألبتة[4]، ووفق له من لا يؤبه[5] له من الناس ولا يعد في أهل العلم، بل المنقول الثابت عنهم[6] ما قد عرف مما يسوء الغلاة فيما يكرهه وينهي

---

(١) في الصارم المنكي: (افترى عطل الصحابة والتابعون) وهو خطأ.

(٢) في الصارم المنكي: (وهم خير القرون على الإطلاق هذا الواجب الذي ذم الله سبحانه..) ولا يستقيم الكلام كذا إلا بتكلف بعيد.

(٣) في الصارم المنكي بعد هذه العبارة: (ووفق له من لا توبة له من الناس ولا يعد في أهل العلم وكيف أغفل هذا الأمر...) إلخ وهذا تقديم وتأخير مخلّ جداً.

(٤) في الصارم المنكي بعد هذه العبارة: (بل المنقول الثابت عنه ما قد عرف مما يسوء الغلاة).

(٥) في الصارم المنكي: «من لا توبة» وهو خطأ.

(٦) في الصارم المنكي: «عنه» وهو خطأ. وفي هذا الموطن تقديم لبعض الأسطر وتأخير لبعض مما أدى إلى ركاكة العبارة وغموضها.

عنه من الغلو والشرك الجفاة عما يحبه ويأمر به من التوحيد والعبودية.

ولما كان هذا المنقول شجاً في حلوق الغلاة[١]، وقذى في عيونهم، وريبة[٢] في قلوبهم، قابلوه بالتكذيب والطعن في الناقل، ومن استحيى[٣] منهم من أهل العلم بالآثار قابله بالتحريف والتبديل، ويأبى الله إلا أن يعلي منار الحق، ويظهر أدلته ليهتدي المسترشد، وتقوم الحجة على المعاند، فيعلي الله بالحق من يشاء، ويضع برده وبطره وغمص[٤] أهله من يشاء.

ويا لله العجب أكان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها حيّ بين أظهرها موجود، وقد دعيت فيه إلى المجيء إليه ليستغفر لها وذم من تخلف عن هذا المجيء، فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له.

وهذا يبين أن هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم

---

(١) في الصارم المنكى: «البغاة».
(٢) سقطت الواو العاطفة من الصارم المنكى.
(٣) في طبعة الرياض «استحيا».
(٤) لعلها «غمط».

يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر، فكيف إذا كان التأويل بخلاف تأويلهم ويناقضه، وبطلان هذا التأويل أظهر من أن يطنب في رده، وإنما ننبه عليه بعض التنبيه.

ومما يدل على بطلان تأويله قطعاً: أنه لا يشك مسلم أن من دعي إلى رسول الله ﷺ في حياته، وقد ظلم نفسه ليستغفر له فأعرض عن المجيء وأباه مع قدرته عليه، كان مذموماً غاية الذم مغموصاً بالنفاق، ولا كان كذلك من دعي إلى قبره ليستغفر له، ومن سوى بين الأمرين وبين المدعوين وبين الدعوتين، فقد جاهر بالباطل وقال على الله وكلامه ورسوله وأمناء دينه غير الحق.

وأما دلالة الآية على خلاف تأويلها، فهو أنه سبحانه صدّرها بقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ ﴾ [ النساء: آية ٦٤ ] وهذا يدل على أن مجيئهم إليه ليستغفر لهم إذ ظلموا أنفسهم طاعة له، ولهذا ذم من تخلف عن هذه الطاعة، ولم يقل مسلم إن على من ظلم نفسه بعد موته أن يذهب إلى قبره ويسأله أن يستغفر له، ولو كان هذا طاعة له لكان خير القرون عصوا هذه الطاعة وعطلوها، ووفق لها هؤلاء الغلاة العصاة، وهذا بخلاف قوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾

[ النساء: آية ٦٥ ] فإنه نفى الإيمان عمن لم يحكمه، وتحكيمه هو تحكيم[1] ما جاء به حياً وميتاً ففي حياته كان هو الحاكم بينهم بالوحي، وبعد وفاته نوابه وخلفاؤه، يوضح ذلك أنه قال: «لا تجعلوا قبري عيداً»[2]، ولو كان يشرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين، وهذا مضادة صريحة لدينه وما جاء به، انتهى.

**وأما قول الملحد:** وقال تعالى: في شأن أهل أحد: ﴿ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾ [آل عمران: آية ١٥٩] وقال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [ محمد: آية ١٩ ].

**فنقول:** هذا كان في حياته بأبي هو وأمي وقد فعل ما أمره الله به، وأما بعد وفاته فحاشا وكلا، ولو كان مشروعاً بعد موته لأمر به أمته وحضهم عليه، ورغبهم فيه، ولكان الصحابة وتابعوهم

---

(١) «وهو تحكيم» سقطت من الأصل وطبعة الرياض. والاستدراك من «الصارم المنكى».

(٢) الحديث أخرجه أبو داود في سننه ـ كتاب المناسك ـ باب زيارة القبور عن أبي هريرة مرفوعاً: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم». قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الاقتضاء ٢/٦٥٤: إسناده حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير. لكن عبد الله بن نافع الصائغ ـ أحد رجال السند ـ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه... إلخ. وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في رسالة ابن معمر «الردّ على القبوريين».

بإحسان أرغب شيء فيه وأسبق إليه، ولم ينقل عن أحد منهم قط - وهم القدوة - بنوع من نوع[1] الأسانيد أنه جاء إلى قبره ليستغفر له ويشتكي إليه ويسأله[2].

والذي صح عنه من الصحابة مجيء القبر هو ابن عمر وحده، إنما كان يجيء للتسليم عليه ﷺ وعلى صاحبيه عند قدومه من سفر، ولم يكن يزيد على التسليم شيئاً، ومع هذا فقد قال عبيد الله بن عمر العمري الذي هو أجل أصحاب نافع مولى ابن عمر أو من أجلهم: لا نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر.

ومعلوم أنه لا هدي أكمل من هدي الصحابة، ولا تعظيم لرسول[3] الله فوق تعظيمهم، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم، فمن خالفهم إما أن يكون[4] أهدى منهم، أو مرتكباً[5] لنوع بدعة، كما قال عبد الله بن مسعود - لقوم رآهم اجتمعوا على ذكر يقولونه بينهم -: لأنتم أهدى من أصحاب محمد أو أنكم[6] على شعبة ضلالة.

---

(١) في الصارم المنكى: «من أنواع».

(٢) في الصارم المنكى: «ولا شكا إليه ولا سأله».

(٣) في الصارم المنكى: «للرسول».

(٤) في الصارم المنكى: «يكونوا».

(٥) في الأصل والمطبوعة بالرياض: «مرتكب» وفي الصارم المنكى: «مرتكبين».

(٦) في الصارم: «أو أنتم».

فتبين أنه[1] لو كان استغفاره لمن جاءه[2] مستغفراً بعد موته ممكناً أو مشروعاً، لكان كمال شفقته ورحمته بل رأفة مرسلة ورحمته بالأمة تقتضي[3] ترغيبهم في ذلك وحضهم[4] عليه ومبادرة خير القرون إليه، انتهى[5].

وأما قوله: (فإن قال وهابيّ: هذا في حياته ﷺ).

فالجواب أن نقول: نعم، هذا قول الوهابية وبه قال أهل العلم قديماً وحديثاً، ولم يخالفهم إلا كل مبتدع ضال مخالف لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع سلف الأمة وأئمتها كما تقدم بيانه.

**وأما قوله:** (فأقول قد انعقد الإجماع على حياته في قبره ﷺ).

**فالجواب أن نقول:** دعوى هذا الملحد أن الإجماع انعقد في حياته في قبره ﷺ، مصادمة لقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [ الزمر: ٣٠ ] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴾ [ الأنبياء: آية ٣٤ ] وقوله: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ

---

(١) «أنه» سقطت من الأصل وطبعة الرياض وأثبتها من الصارم.

(٢) في الأصل وطبعة الرياض «جاء» وما أثبته من الصارم.

(٣) في الصارم: «يقتضي».

(٤) في الأصل وطبعة الرياض: «حظهم» وهو خطأ.

(٥) كلام ابن عبد الهادي من الصارم المنكي ص ٤٢٨ - ٤٢٩.

﴿ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ﴾ [ آل عمران: آية ١٤٤ ] وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [ الرحمن: ٢٦ ، ٢٧ ] وقوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [ آل عمران: آية ١٨٥ ].

ومن المعلوم أنه لم يكن ﷺ حياً في قبره كالحياة الدنيوية المعهودة التي تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه، ويحتاج معها إلى الطعام والشراب واللباس والنكاح وغير ذلك، بل حياته ﷺ حياة برزخية وروحه في الرفيق الأعلى، وكذلك أرواح الأنبياء، والأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، فمنها أرواح في أعلا عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء، ونبينا ﷺ في المنزلة العليا التي هي الوسيلة.

قال ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتاب الروح بعد كلام طويل: وقد بينا أن عرض مقعد الميت عليه من الجنة أو النار لا يدل على أن الروح في القبر ولا على فنائه دائماً من جميع الوجوه بل لها إشراف واتصال بالقبر وفنائه، وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فإن للروح شأناً آخر تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصال بالبدن بحيث إذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الأعلى وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع،

حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام، إذا شغلت مكاناً لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض، بل الروح تكون فوق السماوات في أعلا عليين فترد إلى القبر وترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها.

وروح رسول الله ﷺ في الرفيق الأعلى دائماً، ويردها الله سبحانه وتعالى إلى القبر فيرد السلام على من يسلم عليه ويسمع كلامه، وقد رأى رسول الله ﷺ موسى قائماً يصلي في قبره[1] ورآه في السماء السادسة والسابعة[2]، فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر، وإما أن يكون متصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس، وجرمها في السماء، انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الفضائل ـ ٤/١٨٤٥ عن سليمان التيمي قال: سمعت أنساً يقول: قال رسول الله ﷺ: «مررت على موسى وهو يصلي في قبره».

(٢) كما في حديث الإسراء.

وقال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»:

## فصل
## في الكلام في حياة الأنبياء في قبورهم

ولأجل هذا رام ناصر قولكم
ترقيعه يا كثرة الخلقان
قال الرسول بقبره حي كما
قد كان فوق الأرض والرجمان
من فوقه أطباق ذاك الترب والل
بنات قد عرضت على الجدران
لو كان حياً في الضريح حياته
قبل الممات بغير ما فرقان
ما كان تحت الأرض بل من فوقها
والله هذي سنة الرحمن
أتراه تحت الأرض حياً ثم لا
يفتيهمو بشرائع الإيمان
ويريح أمته من الآراء وال
خلف العظيم وسائر البهتان
أم كان حياً عاجزاً عن نطقه
وعن الجواب لسائل لهفان

وعن الحراك فما الحياة اللاء قد
أثبتموها أوضحوا ببيان
هذا ولم لا جاءه أصحابه
يشكون بأس الفاجر الفتان
إذ كان ذلك دأبهم ونبيهم
حي يشاهدهم شهود عيان
هل جاءكم أثر بأن صحابه
سألوه فتياً وهو في الأكفان
فأجابهم بجواب حي ناطق
فأتوا إذاً بالحق والبرهان
هلا أجابهمو جواباً شافياً
إن كان حياً ناطقاً بلسان
هذا وما شدت ركائبه عن الـ
ـحجرات للقاصي من البلدان
مع شدة الحرص العظيم له على
إرشادهم بطرائق التبيان
أتراه يشهد رأيهم وخلافهم
ويكون للتبيان ذا كتمان
إن قلتموا سبق البيان صدقتمو
قد كان بالتكرار ذا إحسان
هذا وكم من أمر أشكل بعده
أعيى على العلماء كل زمان

أو مـا تـرى الفـاروق ود بـأنـه
قـد كـان منـه العهـد ذا تبيـان
بـالجـد في ميـراثـه وكـلالـة
وببعض أبـواب الـربـا الفـتـان
قد قصر الفاروق عند فـريقكم
إذ لم يسله وهـو في الأكفـان
أتراهمـو يأتون حـول ضريحـه
لـسؤال أمهمـو أعـز حـصـان
ونبيهم حي يشـاهـدهم ويسمـ
ـعهم ولا يـأتي لهم ببيـان
أفكـان يعجـز أن يجيب بقـولـه
إن كـان حيـاً داخـل البنيـان
يـا قـومنا استحيـوا من العقلاء و
المبعوث بـالقـرآن والـرحـمـان
والله لا قـدر الرسـول عـرفتمـو
كـلا ولا لـلنـفس والإنـسـان
من كـان هـذا القـدر مبلغ علمه
فليستـتـر بـالصمت والكتمـان
ولـقـد أبـان الله أن رسـولـه
ميت كمـا قـد جـاء في القـرآن
أفـجـاء أن الله بـاعـثـه لـنـا
في القبـر قبـل قيـامـة الأبـدان

أثلاث موتات تكون لرسله
ولغيرهم من خلقه موتان
إذ عند نفخ الصور لا يبقى امرؤ
في الأرض حياً قط بالبرهان
أفهل يموت الرسل أم يبقوا إذا
مات الورى أم هل لكم قولان
فتكلموا بالعلم لا الدعوى وجيـ
ـئوا بالدليل فنحن ذو أذهان
أو لم يقل من قبلكم للرافعي الأ
صوات حول القبر بالنكران
لا ترفعوا الأصوات حرمة عبده
ميتاً كحرمته لدى الحيوان
قد كان يمكنهم يقولوا إنه
حي فغضوا الصوت بالإحسان
لكنهم بالله أعلم منكمو
ورسوله وحقائق الإيمان
ولقد أتوا يوماً إلى العباس يسـ
ـتسقون من قحط وجدب زمان
هذا وبينهم وبين نبيهم
عرض الجدار وحجرة النسوان
فنبيهم حي ويستسقون غـ
ـير نبيهم حاشا أولى الإيمان

## فصـــل
## فيما احتجوا به على حياة الرسل في القبور

فــإن احتججتم بــالشهيــد بــأنــه
حيٌ كمـا قـد جـاء في القـرآن
والـرسـل أكمـل حالـة منه بـلا
شـك وهـذا ظـاهـر التبيـان
فلذاك كـانـوا بـالحيـاة أحق من
شـهـدائنا بـالعقـل والإيمـان
وبـأن عقد نسـائـه لم ينفسـخ
فنسـاؤه في عصـمـة وصيـان
ولأجـل هـذا لـم يحـل لغيـره
مـنهـن واحـدة مـدى الأزمـان
أفـليس فـي هـذا دلـيـل أنـه
حـي لمـن كـانـت لـه أذنـان
أو لم يـر المختار موسى قـائمـاً
في قبـره لصـلاة ذي القـربـان
أفـميت يـأتي الصـلاة وإنّ ذا
عين المحـال وواضـح البطلان

أو لم يقـل إنـي أردّ على الـذي
يـأتي بتسليم مـع الإحسـان
أيـرد ميت السـلام على الـذي
يـأتي بـه هـذا من البهـتـان
هـذا وقد جـاء الحديث بـأنهم
أحيـاء في الأجـداث ذا تبيـان
وبـأن أعمـال العبـاد عليـه تعـ
ـرض دائمـاً في جمعـة يـومـان
يوم الخميس ويوم الإثنين الـذي
قـد خص بالفضـل العظيم الشأن

## فصــل
## في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

فيقال أصل دليلكم في ذاك حجـ
ـتنـا عليكـم وهـي ذات بيـان
إن الشهيـد حيـاتـه منصـوصـة
لا بـالـقيـاس الـقـائم الأركـان
هـذا مـع النهي المؤكـد أننـا
نـدعـوه ميتـاً ذاك في القـرآن
ونسـاؤه حـل لنـا مـن بعـده
والمـال مقسـوم على السهمـان
هـذا وإن الأرض تـأكـل لحمـه
وسبـاعهـا مـع أمـة الـدّيـدان
لـكـنـه مـع ذاك حـي فـارح
مستبشـر بكـرامـة الرحمـان
فـالرسـل أولى بـالحياة لـديـه مـع
مـوت الجسـوم وهـذه الأبـدان
وهي الطريـة في التراب وأكلهـا
فهـو الحـرام عليـه بـالبـرهـان

ولبعض أتباع الرسـول يكـون ذا
أيضـاً وقـد وجـدوه رأي عيـان
فانـظر إلى قلب الـدليل عليهمـو
حـرفـاً بحـرف ظـاهـر التبيـان
لكـن رسـول الله خُصَّ نسـاؤه
بخصيصـة عن سـائـر النسـوان
خُيِّرْن بين رسولـه وسواه فـاخـ
ـترن الرسـول لصحة الإيمـان
شكـر الإلـه لهـن ذاك وربنـا
سبحـانـه للعبـد ذو شكـران
قصر الرسول على أولئك رحمة
منـه بهنّ وشكـر ذي الإحسـان
وكـذلـك أيضاً قصرهن عليه معـ
ـلوم بـلا شـك ولا حسبـان
زوجاتـه في هـذه الـدنيـا وفي الأ
خـرى يقينـاً واضـح البـرهـان
فلذا حـرمن على سـواه بعـده
إذ ذاك صـون عن فـراش ثـان
لـكن أتـين بعـدة شـرعيـة
فيـهـا الحـدود وملزم الأوطـان
هـذا ورؤيتـه الكليـم مصليـاً
في قبـره أثـر عـظيـم الشـأن

في القلب منه حسيكة هل قاله
فالحق ما قد قال ذو البرهان
ولذاك أعرض في الصحيح محمد
عنه على عمد بلا نسيان
والدارقطني الإمام أعله
برواية معلومة التبيان
أنس يقول رأى الكليم مصلياً
في قبره فأعجب لذا الفرقان
بين السياق إلى السياق تفاوتاً
لا تطرحه فما هما سيان
لكن تقلد مسلم وسواه ممن
صح هذا عنده ببيان
فرواته الأثبات أعلام الهدى
حفاظ هذا الدين في الأزمان
لكن هذا ليس مختصاً به
والله ذو فضل وذو إحسان
فروي ابن حبان الصدوق وغيره
خبراً صحيحاً عنده ذا شأن
فيه صلاة العصر في قبر الذي
قد مات وهو محقق الإيمان
فتمثل الشمس الذي قد كان ير
عاها لأجل صلاة ذي القربان

عند الغروب يخاف فوت صلاته
فيقول للملكين هل تدعان
حتى أصل العصر قبل فواتها
قالا سنفعل ذاك بعد الآن
هذا مع الموت المحقق لا الذي
حكيت لنا بثبوته القولان
هذا وثابت البناني قد دعا الر
حمان دعوة صادق الإيقان
أن لا يزال مصلياً في قبره
إن كان أعطا ذاك من إنسان
لكن رؤيته لموسى ليلة المعـ
ـراج فوق جميع ذي الأكوان
يرويه أصحاب الصحاح جميعهم
والقطع موجبه بلا نكران
ولذاك ظن معارضاً لصلاته
في قبره إذ ليس يجتمعان
وأجيب عنه بأنه أسرى به
ليراه ثم مشاهداً بعيان
فرآه ثم وفي الضريح وليس ذا
بتناقض إذ أمكن الوقتان
هذا ورد نبينا لسلام من
يأتي بتسليم مع الإحسان

ما ذاك مختصاً به أيضاً كما
قد قاله المبعوث بالقرآن
من زار قبر أخ له فأتى بتسـ
ـليم عليه وهو ذو إيمان
رد الإله عليه حقاً روحه
حتى يرد عليه رد بيان
وحديث ذكر حياتهم بقبورهم
لما يصح وظاهر النكران
فانظر إلى الإسناد تعرف حاله
إن كنت ذا علم بهذا الشأن
هذا ونحن نقول هم أحياء لـ
ـكن عندنا كحياة ذي الأبدان
والترب تحتهمو وفوق رؤوسهم
وعن الشمائل ثم عن أيمان
مثل الذي قد قلتموه معاذنا
بالله من إفك ومن بهتان
بل عند ربهمو تعالى مثلما
قد قال في الشهداء في القرآن
لكن حياتهمو أجل وحالهم
أعلى وأكمل عند ذي الإحسان
هذا وأما عرض أعمال العبا
د عليه فهو الحق ذو إمكان

وأتى به أثر فإن صح الحديث

به فحق ليس ذا نكران

لكن هذا ليس مختصاً به

أيضاً بآثار روين حسان

فعلى أبي الإنسان يعرض سعيه

وعلى أقاربه مع الإخوان

إن كان سعياً صالحاً فرحوا به

واستبشروا يا لذة الفرحان

أو كان سعياً سيئاً حزنوا وقا

لوا ربّ راجعه إلى الإحسان

ولذا استعاذ من الصحابة من روى

هذا الحديث عقيبه بليان

يا رب إني عائذ من خزية

أخزي بها عند القريب الدّان

ذاك الشهيد المرتضى ابن رواحة المحـ

ـبو بالغفران والرضوان

لكن هذا ذو اختصاص والذي

للمصطفى ما يعمل الثقلان

هذي نهايات لأقدام الورى

في ذا المقام الضنك صعب الشان

والحق فيه ليس تحمله عقو

ل بني الزمان لغلظة الأذهان

ولجهلهم بالروح مع أحكامها
وصفاتها للألف بالأبدان
فارض الذي رضي الإله لهم به
أتريد تنقض حكمة الديان؟
هل في عقولهمو بأن الروح في
أعلى الرفيق مقيمة بجنان
وترد أوقات السلام عليه من
أتباعه في سائر الأزمان؟
وكذاك إن زرت القبور مسلماً
ردت لهم أرواحهم للآن
فهمو يردون السلام عليك لـ
ـكن لست تسمعه بذى الأذنان
هذا وأجواف الطيور الخضر مسـ
ـكنها لدى الجنات والرضوان
من ليس يحمل عقله هذا فلا
تظلمه واعذره على النكران
للروح شأن غير ذى الأجسام لا
تهمله شأن الروح أعجب شأن
وهو الذي حار الورى فيه فلم
يعرفه غير الفرد في الأزمان
هذا وأمر فوق ذا لو قلته
بادرت بالإنكار والعدوان

فلذاك أمسكت العنان ولو أرى
ذاك الرفيق جريت في الميدان
هذا وقولي إنها مخلوقة
وحدوثها المعلوم بالبرهان
هذا وقولي إنها ليست كما
قد قال أهل الإفك والبهتان
لا داخل فينا ولا هي خارج
عنا كما قالوه في الديان
والله لا الرحمن أثبتم ولا
أرواحكم يا مدّعي العرفان
عطلتمو الأبدان من أرواحها
والعرش عطلتم من الرحمان

**وهذا الذي ذكره الحافظ شمس الدين هو مقتضى الكتاب والسنة وعليه سلف الأمة وأئمتها وبما ذكره كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.**

## فصـــل

**قال الملحد**: (كيف لا وقد أخرج البخاري ومسلم وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»[1] فرؤيته يقظة أكبر دليل على حياته ﷺ).

**والجواب أن يقال**: هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه وأبو داود في سننه لا يدل على أن الرسول ﷺ يُرى يقظة في الدنيا كما كان يرى حياً قبل أن يموت وكذلك ليس بصريح في أن النبي ﷺ حي في قبره الحياة المعهودة في الدنيا ولا فيه دلالة على جواز التوسل به فضلاً عن أن يدعى ويستغاث به ويرجى في كشف الشدائد والمهمات لتفريج الكربات وإغاثة اللهفات وأن يُصرف له شيء من خالص ما

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١٢/٣٨٣ ـ كتاب التعبير ـ باب من رأى النبي في المنام، ومسلم في صحيحه ٤/١٧٧٥ ـ كتاب الرؤيا ـ باب قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني»، وأبو داود في سننه ٥/٢٨٥ ـ كتاب الأدب ـ باب ما جاء في الرؤيا، وفي الباب عن جماعة من الصحابة.

لرب الأرض والسماوات، من جميع أنواع العبادات التي صرفها المشركون لغير الله من المعبودات.

قال في السراج الوهاج على قوله: «فسيراني في اليقظة»: أي سيراني يوم القيامة رؤيا خاصة في القرب منه، أو من رآني في المنام ولم يكن هاجر يوفقه الله للهجرة إليّ والتشرف بلقائي ويكون الله جعل رؤيته في المنام علماً على رؤياه في اليقظة.

قال في المصابيح: وعلى الأول ففيه بشارة لرائيه بأنه يموت على الإسلام وكفى بها بشارة وذلك أنه لا يراه في القيامة تلك الرؤية الخاصة باعتبار القرب منه إلا من تحقق منه الوفاة على الإسلام حقق الله لنا ولأحبابنا وللمسلمين المتبعين ذلك بمنه وكرمه أو لكأنما رآني في اليقظة لا يتمثل الشيطان بي.

قال العلماء: إن كان الواقع في نفس الأمر لكأنما رآني فهو كقوله فقد رآني، أو فقد رأى الحق، وإن كان سيراني في اليقظة ففيه أقوال، وسيأتي تفسيرها: أحدها المراد به أهل عصره. الثاني: أنه يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة. الثالث: يراه في الآخرة رؤيا خاصة في القرب منه وحول شفاعته ونحو ذلك والله أعلم، انتهى[1].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر بعد سياق كلام العلماء على مدلول هذا الحديث: =

* والحاصل من الأجوبة ستة:

أحدها: أنه على التشبيه والتمثيل ودلّ عليه قوله في الرواية الأخرى: «فكأنما رآني في اليقظة».

ثانيها: أن معناها سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير.

ثالثها: أنه خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

رابعها: أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه ذلك، وهذا من أبعد المحامل.

خامسها: أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذ ممن لم يره في المنام.

سادسها: أنه يراه في الدنيا حقيقة ويخاطبه، وفيه ما تقدم من الإشكال. . . - وهذا الإشكال هو ما حكاه بقوله: ونقل عن جماعة من الصالحين أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة، وسألوه عن أشياء. . . قلت: وهذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة، ويعكر عليه أن جمعاً مما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف، وقد اشتد إنكار القرطبي على من قال: من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة كما تقدم قريباً. . . - وقول القرطبي الذي نقله الحافظ ابن حجر هو: اختلف في معنى الحديث فقال قوم: هو على ظاهره فمن رآه في النوم رأى حقيقته كمن رآه في اليقظة سواء، وهذا قول يدرك فساده بأوائل العقول، ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها، وأن لا يراها رائيان في آن واحد في مكانين، وأن يحيا الآن، ويخرج من قبره، ويمشي في الأسواق، ويخاطب الناس يخاطبونه، ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده فلا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر، ويسلم على غائب لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره. وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل. . . إلخ. انظر الفتح ١٢/٣٨٤، ٣٨٥.

فغاية ما في هذا الحديث أن من رآه في المنام فسيراه في اليقظة في الآخرة رؤيا خاصة باعتبار القرب منه أو يرى تصديق تلك الرؤيا في اليقظة في الدار الآخرة وليس فيه أنه حي في قبره كحياته في الدنيا لا تصريحاً ولا تلويحاً، وإنما هذه الدعوى المجردة من الدليل من تصرف هؤلاء الغلاة، واعتقادهم الباطل المخالف لكتاب الله وسنة رسوله وكلام سلف الأمة وأئمتها.

وأما حياة الأنبياء في قبورهم ورؤيته ﷺ لموسى قائماً يصلي في قبره فقد تقدم الجواب عنه في كلام الحافظ ابن القيم رحمه الله وبه الكفاية.

**وأما قوله**: (وقد وقع الإخبار برؤيته ﷺ يقظة لجماعة من الأولياء اشتهرت كراماتهم، وعلت[1] مقاماتهم، واستقامت أحوالهم وجاءت على طبق الشريعة أقوالهم، من الخواص القائمين بالمراقبة، وصحة التوجه على قدم الصدق، ونهج الحق كالشيخ عبد القادر الجيلاني وأبي العباس المرسي وسيدي علي وفاء وغيرهم من الأكابر، فلا يقدم على تكذيبهم فيما أخبروا به بطريق الجزم عن أنفسهم إلا متجازف).

**فالجواب أن يقال**: إن رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا من أمحل المحال وأبطل الباطل، فإن الله تعالى قد قبضه إليه

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض: «علة».

واستأثر به ورفعه إلى الرفيق الأعلى وإنما يتصور وجود هذا مناما فمن رآه في المنام وكان من أهل الصلاح وعلى صفته التي هو عليها فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل به.

وأما يقظة فهو من التخيلات الشيطانية التي أغوى بها الشيطان كثيراً من الناس ممن يدعي الولاية، فإن منهم من يرى أشخاصاً في اليقظة يَدّعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين، وقد جرى هذا لغير واحد[1]. وهذه الأحوال الشيطانية تحصل لمن خرج عن الكتاب والسنة وهم درجات، والجنّ الذين يقترنون بهم من جنسهم وهم على مذهبهم، والجن فيهم الكافر والفاسق والمخطىء فإن كان الإنسي كافراً أو فاسقاً أو جاهلاً دخلوا معه في الكفر والفسوق والضلال، وقد يعاونونه إذا وافقهم على ما يختارونه من الكفر فيغتر بهؤلاء كثير من الناس ممن قلت معرفته وغلظ حجاب قلبه عن معرفة الحق من الباطل.

وهؤلاء كما قال شيخ الإسلام تجد كثيراً من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه ولياً لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض التصرفات الخارقة للعادة مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو يختفي أحياناً عن أعين الناس، أو أن

---

(١) انظر رسالة الفرقان لشيخ الإسلام ص ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣. ط الشرفية بمصر سنة ١٣٢٣ هـ.

بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سرق لهم، أو بحال غائب لهم، أو مريض، أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أومشى على الماء لم يُغْتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ وموافقته لأمره ونهيه، وكرامات الأولياء أعظم من هذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها ولياً لله فقد يكون عدواً لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفاروالمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع، وتكون من الشياطين فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ليس لله بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة، انتهى.

وأما من ذكر من هؤلاء الذين يزعم أنهم أولياء فأما الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله وأمثاله ممن هو على طريقته وسيرته فهو من عباد الله الصالحين والعلماء العاملين، وله من الأحوال الإيمانية، والمآثر السنية الدالة على متابعة الكتاب والسنة ما هو معروف من حاله ومقاله، ولكنه تجارى عليه الملحدون، ووضعوا عليه أوضاعاً، ونسبوا إليه أقوالاً هو بريء منها، ومن جملتها هذه الحكاية التي لا أصل لها، ولا نقلها

عنه من هو مأمون على الدين معروف بالصدق واليقين.

وأما من عداه من هؤلاء الذين ذكر أنهم من أكابر أولياء الله ممن لا نعرف حالهم فالإقدام على تكذيبهم فيما أخبروا به بطريق الجزم عن أنفسهم هو من الأمور التي يحبها الله ويرضاها، ومن رد الباطل على من قال به، إذ من المعلوم بالضرورة أن رؤيته ﷺ يقظة في هذه الدنيا لا تصح لا من الشيخ عبد القادر، ولا ممن هو أجل منه فضلاً عمن هو دونه، لأن دعوى ذلك من المكابرة في الحسيات، والمباهتة في الضروريات والله أعلم.

**(وأما قوله:**

وإذا لـم تـر الـهـلال فـسـلـم ... لأنـاس رأوه[1] بـالأبـصـار)

**فالجواب:**

أقـول مـن المحـال نـراه حيـاً ... بـهـذي الـدار لا دار الـقـرار

فـغـيـر مُـسَـلَّم تـسـليـم هـذا ... لأقـوام رأوه بـالأبـصـار

وهـذا لا يـكـون فـقـد أتـانـا ... بـذاك[2] النص متضح المنار

(١) في الأصل «رواه» وفي طبعة الرياض «رووه».

(٢) في طبعة الرياض «ذلك».

بـأن المصطفى قـد مـات حقـاً
وأنـا مـيـتـون وذاك[1] جـاري
على كـل الخـلائق ليس يـبقى
سـوى الخلاق من الخلق بـاري
فـأمـا في المنـام فـذاك[1] حق
يـراه الصالحـون أولـو الفخـار
وأمـا يـقـظة فـيـراه حـيـاً
كمـا قـد كـان حيـاً ذو اختيـار
وتـدبـيـر وتـصـريـف ويـدري
كمـا يـدريـه في مـاضٍ وجـار
فـدعـوى هـذه دعـوى لعمـري
تـبـيّـن أفـكـهـا بـالإضـطرار

فإذا تحققت هذا فهؤلاء لم تكن أحوالهم وخوارقهم[2] أحوالاً وخوارق إيمانية، وإنما كانت أبصارهم وحقائق أحوالهم خيالات شيطانية، وعلى غير متابعة الكتاب والسنّة مبنية، فلا يلتفت إلى أقوالهم، ولا يعول على ما ادّعوه من أحوالهم، لأنها عن الحقائق الإيمانية خالية، وأقوالهم عن الدليل عارية.

**وأما قوله:** (فالآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [ النساء: آية ٦٤ ] منسحب إلى الآن وإلى ما شاء الله).

(1) في طبعة الرياض «ذلك». (2) في طبعة الرياض «وخوارقهم».

**فأقول**: هذا غير مسلم وقد تقدم الجواب عن هذا فراجعه.

**وأما قوله**: (ولذا ترى العلماء جميعاً ذكروا في باب زيارة قبر النبي ﷺ أن الإنسان عند المقابلة يتلو هذه الآية الكريمة كما يأتي نقل ذلك عنهم في الباب الثالث).

**فالجواب أن يقال**: نسبة هذا إلى العلماء جميعهم من أبطل الباطل، وأمحل المحال، وإنما يُعرف مثل هذا في حكاية ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء عن أعرابي أتى قبر النبي ﷺ وتلا هذه الآية واستحبها طائفة من متأخري الفقهاء من أصحاب الشافعي وأحمد، وسيأتي الكلام على هذا إن شاء الله تعالى.

وأما الأئمة وعلماء السلف فلم يذكره أحد منهم، ولا استحب أحد منهم سؤال النبي ﷺ الاستغفار بعد موته، ولا غير ذلك ألبتة، فنسبته إلى العلماء كلم من الكذب عليهم كما سنبينه.

والحكايات والمنامات لا يثبت بها حكم شرعي ولا يسوغ مثل هذا إلا في دين النصارى، فإن دينهم مبني على الحكايات والمنامات والأوضاع المخترعات. وأما دين الإسلام فهو محفوظ بالإسناد، فلا يثبت حكم شرعي إلا بكتاب الله عزَّ وجلَّ، وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ،

وكان عليه عمل الصحابة رضي الله عنهم، واشتهر ذلك بنقل الثقات العدول المتفق على عدالتهم.

**وأما قوله:** (على أن من يدعي أنها خاصة بقبل الوفاة فعليه الدليل وأنى له ذلك).

**فالجواب أن يقال:** أما كون المجيء إلى النبي ﷺ خاصاً بحال حياته قبل وفاته فنعم، والدليل على ذلك من وجوه:

**الوجه الأول:** أن الآية نزلت في قوم معينين من أهل النفاق بدليل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: آية ٦١] فإن قيل: فالآية وإن وردت في أقوام معينين في حال الحياة فإنها تعم بعموم العلة. قيل: نعم هذا حق فإنها تعم ما وردت فيه وما كان مثله فهي عامة في حق كل من ظلم نفسه، وجاء كذلك في حال حياته، وأما دلالتها على المجيء إليه في قبره فقد عرف بطلانه، يوضحه.

**الوجه الثاني:** أنه لو شرع لكل مذنب أن يأتي إلى قبره ليستغفر له لكان القبر أعظم أعياد المذنبين وهذه مصادمة صريحة لقوله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً»[1].

**الوجه الثالث:** أن أعلم الأمة بالقرآن ومعانيه وهم سلف الأمة، لم يفهم أحد منهم إلا المجيء إليه في حياته ليستغفر

---

(١) تقدم.

لهم، ولم يكن أحد منهم يأتي إلى قبره ويقول: يا رسول الله فعلت كذا وكذا فاستغفر لي، ومن نقل هذا عن أحد منهم فقد جاهر بالكذب والبهت.

فلو كان هذا منسحباً إلى ذا الآن وإلى ما شاء الله، لما ترك الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان هذه القربة التي ذم الله سبحانه من تخلف عنها، وجعل التخلف عنه من أمارات النفاق، ووفق لها من بعدهم ممن لا يؤبه له من الناس ولا يعد في أهل العلم، ويا لله العجب أكان ظلم الأمة لأنفسها ونبيها حي بين أظهرها موجوداً، وقد دعيت فيه إلى المجيء ليستغفر لها، وذم من تخلف عن هذا المجيء، فلما توفي ﷺ ارتفع ظلمها لأنفسها بحيث لا يحتاج أحد منهم إلى المجيء إليه ليستغفر له، ولو كان حقاً لسبقونا إليه علماً وعملاً وإرشاداً ونصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة.

**الوجه الرابع:** أنه لو كان المجيء إلى قبره بعد وفاته مشروعاً لأمر به أمته وحضهم عليه ورغبهم فيه، لأنه من كمال شفقته ورحمته ورأفته بالمؤمنين، فلا خير إلا دلّ عليه أمته وأمرهم به، ولا شر إلا حذّرها عنه ونهى[1] عنه، لأنه أكمل الخلق نصحاً للأمة، فقد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة، ونصح الأمة، ومن كمال نصحه وشفقته بأمته أنه نهى عن اتخاذ قبره

(١) في الأصل وطبعة الرياض «ونهاء».

عيداً. فقال ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً» الحديث. فمن أتى إلى قبره بعد وفاته ليستغفر له فقد ارتكب ما نهى عنه وفعل ما يسخطه.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [ الحشر: آية ٧ ] وقد روى عبد الرزاق في مصنفه عن الثوري[1] عن ابن عجلان عن رجل يقال له سهيل عن الحسن بن الحسن بن علي رأى قوماً عند القبر فنهاهم وقال إن النبي ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني».

وروى سعيد بن منصور في سننه عن عبد العزيز بن محمد قال: أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال: رآني الحسن بن الحسن بن[2] علي بن أبي طالب عند القبر، فناداني وهو في بيت فاطمة فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: مالي رأيتك عند القبر. فقلت: سلمت على النبي ﷺ. فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري[3] عيداً، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر، لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم» ما أنتم ومن بالأندلس إلا سوي.

(١) «عن الثوري» من المصنف لعبد الرزاق ٥٧٧/٣ ط المجلس العلمي.
(٢) في طبعة الرياض «الحسن بن علي» وهو خطأ.
(٣) في اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام: «بيتي» ٦٥٦/٢، وفي مصنف ابن أبي شيبة ٣٤٥/٣ «قبري».

وروى أبو يعلى الموصلي في مسنده عن أبي بكر ابن أبي شيبة حدثنا[1] زيد بن الحباب حدثنا[1] جعفر بن إبراهيم من ولد ذي الجناحين حدثنا[1] علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو. فنهاه فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً فإن تسليمكم يبلغني[2] أينما كنتم»[3].

**الوجه الخامس**: أنه قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[4] وقد كان من المعلوم أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكونوا يفعلون[5] هذا. ولا هدي أكمل من هدي الصحابة، ولا تعظيم لرسول الله فوق تعظيمهم، ولا معرفة لقدره فوق معرفتهم، فإنهم كانوا كما قال

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «عن» وما أثبته من الاقتضاء ٢/٦٥٥.

(٢) في الأصل وطبعة الرياض: «فإن صلاتكم تبلغني» وما أثبته من الاقتضاء ٢/٦٥٥.

(٣) تقدم الكلام عليهما في رسالة ابن معمر «الردّ على القبوريين».

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه ـ كتاب الأقضية ـ ٣/١٣٤٤ عن عائشة وأخرجه البخاري ٥/٣٠١ ـ كتاب الصلح ـ، ومسلم ٣/١٣٤٣ عن عائشة بلفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ» ولفظ البخاري: «ما ليس فيه».

(٥) في طبعة الرياض «تفعلون».

عبد الله بن سعود رضي الله عنه: من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أبر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً، قوم[1] اختارهم الله لصحبة نبيه ولإظهار دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واهتدوا بهديهم، فإنهم كانوا على الصراط المستقيم.

وقد قال مالك في المبسوط: لا بأس لمن قدم من سفر أن يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي ويدعو له ولأبي بكر وعمر فقيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر، ولا يريدونه، يفعلون ذلك في اليوم مرة أو مرتين أو أكثر عند القبر، يسلمون ويدعون ساعة، فقال: لم يبلغني هذا من أحد من أهل الفقه في بلدنا وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده والله أعلم[2].

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «قوماً».

(٢) كما ثبت ذلك عن ابن عمر. قال عبد الرزاق: عن معمر عن أيوب عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه.

وأخبرنا عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر، قال معمر: فذكرت ذلك لعبيد الله ابن عمر فقال: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر. اهـ ٥٧٦/٣.

# فصـــل

**قال الملحد**: (وهنا آيات أخر تشير إلى الالتجاء به ﷺ منها قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [ الأحزاب: آية ٦ ] وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ الأنبياء: آية ١٠٧ ] وقوله: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ التوبة: آية ١٢٨ ]).

**فالجواب أن يقال**: ليس في هذه الآيات ما يشير إلى الإلتجاء به ﷺ، لا لفظاً ولا معنى، والإلتجاء من خصائص الإلهية، فصرفه لغيره شرك يخرج من الملة، فمن التجأ إلى غير الله كان مشركاً، فقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [ الأحزاب: آية ٦ ].

قال في جامع البيان: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾. في أمور الدارين. قال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله لأنت أحب إليّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال عليه السلام: «لا يا عمر حتى أكون أحب إليك من نفسك» فقال: والله لأنت يا رسول الله أحب إليّ من كل شيء حتى من

نفسي فقال: «الآن يا عمر»[1] وعن بعض المفسرين معناه: النبي أولى من بعضهم ببعض في وجوب طاعته عليهم، انتهى.

وقال في الإكليل: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ أخرج البخاري عن أبي هريرة مرفوعاً: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة. اقرأوا إن شئتم: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته[2] من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه»، انتهى.[3]

وفي صحيح البخاري أيضاً: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين»[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ـ كتاب الأيمان والنذور ـ باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ؟ ١١/٥٢٣ عن عبد الله بن هشام قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب، فقال له عمر: يا رسول الله لأنت أحبُّ إليّ من كل شيء إلا من نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا والذي نفسي بيده...» الحديث.

(٢) في طبعة الرياض «عصبة».

(٣) أخرجه البخاري ـ كتاب التفسير ـ ٨/٥١٧.

(٤) أخرجه البخاري ـ كتاب الإيمان ـ ١/٥٨ عن أبي هريرة مرفوعاً «فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده» وأخرجه أيضاً عن أنس مرفوعاً «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين». وذكر النفس ورد عنده من حديث عمر المتقدم.

إذا علمت هذا فغاية ما في هذه الآيات إخباره تعالى بأن رسوله ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم في أمور دنياهم وأخراهم، وأن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين ليخرجهم من الظلمات، أي ظلمات الكفر والمعاصي، إلى النور نور الإيمان والطاعة (وكان بالمؤمنين رحيماً) كقوله: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [ التوبة: آية ١٢٨ ] فرأفته ورحمته بالمؤمنين، وغلظته وشدته على الكافرين، فمن آمن بالله ورسوله وأخلص العبادة بجميع أنواعها لله ولم يشرك فيها أحداً، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فضلاً عن غيرهما، فالرسول أولى به من نفسه، ورأفته ورحمته ﷺ خاصة بالمؤمنين به المؤتمرين لأمره، المنتهين عما نهى عنه، ومن أشرك بالله في عبادته أحداً من مخلوقاته كائناً من كان، والتجأ إليه في كشف المهمات وإغاثة اللهفات وصرف له خالص حق الله فرسول الله منه بريء فلا تنال رأفته ورحمته وشفقته من أشرك بالله، ولا يكون من أهل ولاية الله في الدنيا والآخرة.

قال شمس الدين الحافظ بن القيم رحمه الله تعالى:

يا من له عقل ونور قد غدا
يمشي به في الناس كل زمان
لكننا قلنا مقالة صارخ
في كل وقت بينكم بأذان

الـرب رب والـرسـول فـعـبـده
حـقـاً ولـيس لـنـا إلـه ثـانِ
فلذاك لم نعبـده مثـل عبـادة الـ
ـرحمن فعـل المشرك النصـراني
كـلا ولم نغـل الغلو كمـا نهى
عنـه الـرسـول مخافـة الكفـران
لله حـق لا يـكـون لـغـيـره
ولـعبـده حـق هـمـا حـقـان
لا تجعـلوا الحقين حقـاً واحـداً
من غيـر تـمـييـز ولا فـرقـان
فـالحـج للرحمن دون رسـولـه
وكـذا الصلاة وذبـح ذي القربـان
وكـذا السجـود ونـذرنـا ويمينـنـا
وكـذا متاب العبـد من عصيـان
وكـذا الـتـوكـل والإنـابـة والتقى
وكـذا الرجـاء وخشيـة الـرحمن
وكـذا العبـادة واستعـانتنـا بـه
إيـاك نـعـبـد ذان تـوحـيـدان
وعليهمـا قـام الـوجـود بـأسـره
دنـيـا وأخـرى حـبـذا الـركـنـان
وكـذلـك التسبيـح والتكبيـر والتـ
ـهـليـل حق إلـهـنـا الـديـان

لكنا التعزير والتوقير حـ
ـق للرسول بمقتضى القرآن
والحب والإيمان والتصديق لا
يختص بل حقان مشتركان
هـذي تفاصيل الحقوق ثلاثة
لا تجملوها يا أولي العدوان
حـق الإلـه عبادة بالأمر لا
بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئاً هما
سببا النجاة فحبذا السببان
ورسوله فهو المطاع وقوله المـ
ـقبول إذ هو صاحب البرهان
والأمر منه الحتم لا تخيير فيـ
ـه عند ذي عقل وذي إيمان

إلى أن قال:

هـذا الـذي أدى إليـه علمنـا
وبـه نـديـن الله كـل أوان
فهو المطاع وأمره العالي على
أمر الورى وأوامر السلطان
وهو المقدم في محبتنا على الأ
هلين والأزواج والولدان

وعلى العباد جميعهم حتى على النفـ

ـس التي قد ضمها الجنبان

إلى أن قال:

كفرتموا من جرد التوحيد جهـ

ـلا منكمو بحقائق الإيمان

لكن تجردتم لنصر الشرك والبـ

ـدع المضلة في رضى الشيطان

والله لم نقصد سوى التجريد للتـ

ـوحيد ذاك وصية الرحمن

ورضى رسول الله منا لا غلو

الشرك أصل عبادة الأوثان

والله لو يرضى الرسول دعاءنا

إياه بادرنا إلى الإذعان

والله لو يرضى الرسول سجودنا

كنا نخر له على الأذقان

والله ما يرضيه منا غير إخلا

ص وتحكيم لذي القرآن

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه

فعل النصارى عابدي الصلبان

ولقد نهانا أن نُصَيِّر قبره

عيداً حذار الشرك بالرحمن

## فصـــل

**قال الملحد:** (وقد فهم أبو البشر آدم ﷺ من قرنه اسمه تعالى باسم نبيه محمد ﷺ أنه الوسيلة إليه، فتوسل به إلى ربه بأن يغفر له، كما يأتي بالباب الثاني إن شاء الله).

**فأقول** هذا كذب محض، والحديث الآتي ذكره بعد موضوع وسيأتي الكلام عليه في محله إن شاء الله تعالى.

وأما قوله: (فإذا علمت أن قرنَ اسم النبي باسمه تعالى يشعر بالتوسل به فخذ الآيات المقرون بها اسم النبي باسمه تعالى).

**فالجواب أن يقال:** هذه الآيات التي قرن الله اسم نبيه باسمه تعالى لا تشعر بالتوسل به، ولا تجيز صرف خالص حق الله له، وإنما غاية ما فيها تشريفه ﷺ، والتنويه بذكره، فهو ﷺ رحمة للعالمين، وحسرة على الكافرين، وحجة على العباد أجمعين، قد افترض الله على[1] العباد طاعته، ومحبته،

(١) في طبعة الرياض «عل».

وتعظيمه، وتوقيره، والقيام بحقوقه، وسد إلى جنته جميع الطرق فلم يفتح لأحد إلا من طريقه، فشرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره[1]، وأقسم بحياته في كتابه المبين، وقرن اسمه باسمه فلا يذكر إلا معه كما في التشهد والخطب والتأذين.

ثم سرد هذا الملحد الآيات التي قرن الله اسمه باسم نبيه فيها كطاعته وطاعة رسوله، وترك معصية الله ورسوله، وعدم مشاقة الله ورسوله، وعدم محاربته ومحادة رسوله، وأن الأنفال الخمس لله ورسوله، والرد إلى الله وإلى رسوله فيما تنازعت الأمة فيه، وأن الإيتاء لله ورسوله إلى غير ذلك من الآيات التي شرف الله بها رسوله ورفع له بها ذكره وأوجب بها على الخلق طاعته وغايتها ومقتضاها: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والإنتهاء عما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده ٢/٥٠ ـ ٩٢ من طريق حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم».

قال شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية في الاقتضاء ١/٢٣٦ ـ بعد أن ساق سند هذا الحديث ـ: وهذا إسناد جيِّد. وقال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ في الفتح ٦/٩٨: وله شاهد مرسل بإسناد حسن أخرجه ابن أبي شيبة من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن النبي ﷺ. اهـ.

الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع[1]، فمن فهم غير هذا منها بأن يتوسل به، ويدعى، ويستغاث به، ويلجأ إليه، فقد ضل فهمه، وحمل كلام الله ما لا يحتمله، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) في طبعة الرياض «إلا بما شرع لا إله إلا هو أو البدع» وهو تحريف شنيع.

## فصــل

**قال الملحد:** (وأما الآيات التي تمسك بها الوهابية من قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ ﴾ [ غافر: آية ٦٠ ] وقوله تعالى: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ ﴾ [ يونس: آية ١٠٧ ] وقوله: ﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ [ ق: آية ١٦ ] ونحوها من الآيات الكريمة، فلا تدل على مدعاهم من امتناع التوسل بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام).

**فالجواب أن نقول:**

هذه الآيات ونحوها من الآيات التي يستدل بها الوهابي على امتناع التوسل بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وغيرهم من الملائكة، والأولياء والصالحين هي من أوضح الدلائل والبينات على امتناع دعائهم، والاستغاثة بهم، والاستشفاع بهم، والالتجاء إليهم، إلى غير ذلك من أنواع العبادة، لأنها دالة على وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، والبراءة عن عبادة ما سواه كائناً من كان، وهي تتضمن كمال

الذل والحب، وتتضمن كمال الطاعة والتعظيم، وهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً غيره، لا من الأولين ولا من الآخرين، فإن جميع الأنبياء على دين الإسلام، وهو يتضمن الاستسلام لله وحده، فمن استسلم له ولغيره كان مشركاً، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: آية ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى عن الخليل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: آيات ٢٦ ـ ٢٨] وقال تعالى عنه: ﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۞ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ۞ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: آيات ٧٥ ـ ٧٧] وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: آية ٤] وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: آية ٤٥] وذكر عن رسله نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: ـ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره، وقال عن أهل الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا

رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۝ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [ الكهف: آيات ١٣ ـ ١٥ ] وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [ النساء: آية ١١٦ ] في موضعين من كتابه وقال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾ [ المائدة: آية ٧٢ ].

**قال الشيخ رحمه الله**: والشرك المراد بهذه الآيات ونحوها يدخل فيه شرك عباد القبور وعباد الأنبياء والملائكة والصالحين، فإن هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم عبد الله ورسوله محمد ﷺ، فإنهم كانوا يدعونها[1]، ويلتجؤون إليها، ويسألونها على وجه التوسل بجاهها، وشفاعتها لتقريبهم إلى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع[2] من كتابه كقوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [ يونس: آية ١٨ ]. وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [ الأحقاف: آية ٢٨ ].

**قال رحمه الله**: ومعلوم أن المشركين لم يزعموا أن الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات

(١) في طبعة الرياض «يدعونها».
(٢) سقطت «من» من طبعة الرياض.

والأرض، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد، ولو في خلق ذرة من الذرات.

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ قُلْ حَسْبِىَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [ الزمر: آية ٣٨]. فهم[1] معترفون بهذا مقرون به لا ينازعون فيه، ولذلك حسن موقع الاستفهام، وقامت الحجة بما أقروا به من هذه الجمل، وبطلت عبادة من لا يكشف الضر، ولا يمسك الرحمة. ولا يخفى ما في التنكير من العموم والشمول المتناول لأول شيء وأدناه من ضر أو رحمة، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ - إلى قوله- فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: آيات ٨٤ - ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: آية ١٠٦]. ذكر فيه السلف كابن عباس وغيره: إيمانهم هنا بما أقروا به من ربوبيته وملكه. وفسر شركهم[2] بعبادة غيره.

**قال رحمه الله:** وقد بين القرآن في غير موضع أن من المشركين من أشرك بالملائكة، ومنهم من أشرك بالأنبياء والصالحين، ومنهم من أشرك بالكواكب، ومنهم من أشرك

(١) في طبعة الرياض «فمنهم».
(٢) في طبعة الرياض «شركاءهم».

بالأصنام، وقد رد عليهم أجمعين وكفّر كل أصنافهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران: آية ٨٠]. وقال تعالى: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﴾ [ التوبة: آية ٣١ ] ونحو ذلك في القرآن كثير. وبه يعلم المؤمن أنّ دعاء الأنبياء والصالحين كدعاء الكواكب والأصنام من حيث الشرك والكفر، واتفاقهما في[1] العلة التي هي دعاء غير الله.

وقال رحمه الله: وهذه العبادات التي صرفها المشركون لآلهتهم هي أفعال العبد الصادرة منه كالحب والخضوع والإنابة والتوكل والدعاء والاستغاثة والاستعانة والخوف والرجاء والنسك والتقوى والطواف ببيته رغبة ورجاء وتعلق القلوب والآمال بفيضه ومده وإحسانه وكرمه، فهذه الأنواع أشرف أنواع العبادة وأجلها بل هي لب سائر الأعمال الإسلامية وخلاصتها وكل عمل يخلو منها فهو خداج مردود على صاحبه وإنما أشرك وكفر من كفر من المشركين بقصد غير الله بهذا وتأهيله لذلك قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [ النحل: آية ١٧ ] وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [ الأنبياء: آية ٤٣ ] وقال ﴿ أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا

(١) في طبعة الرياض «هم».

تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ • إِنِّيٓ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [ يس: آيات ٢٣ - ٢٤ ].

وحكى عن أهل النار أنهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها من دون الله: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ • إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ الشعراء: آيات ٩٧، ٩٨ ] ومعلوم أنهم ما سَوَّوهم بالله في الخلق والتدبير والتأثير وإنما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات.

**وقال رحمه الله:** فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الأولياء والصالحين نحكم بأنهم مشركون ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية، وما عدا هذا من الذنوب التي دونه في الرتبة والمفسدة لا نكفّر بها، ولا نحكم على أحد من أهل القبلة الذين باينوا لعباد الأوثان والأصنام والقبور بكفر بمجرد ذنب ارتكبوه، وعظيم جرم اجترحوه، انتهى.

فما استدل به الوهابي على امتناع التوسل بالأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام على عرف أهل هذا الزمان ولغتهم واصطلاحهم في معنى التوسل هو مقتضى هذه الآيات، فأما التوسل الذي هو بلغة الصحابة والتابعين فهو التوسل بدعائهم وذلك في حياتهم، وأما بعد وفاتهم فهو من البدع المكروهة المذمومة المحرمة والله سبحانه وتعالى أعلم.

# فصــل

**وأما قوله** (وأما الذين أجمعوا من المسلمين على التوسل إلى الله بالأنبياء والمرسلين لا يقصدون بذلك تأثير شيء بإيجاد نفع، أو دفع ضرر، ولا يعتقدون ذلك ألبتة. جميع المسلمين يعتقدون أن الله تعالى هو المنفرد بالإيجاد والإعدام والنفع والضر، فلا يعدون من توسل بالنبي ﷺ أو بالملائكة أنهم اتخذوهم أولياء من دون الله فكيف يتجرؤن على الاستشهاد على مذهبهم بقوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ [ آل عمران: آية ٨٠ ]).

**فالجواب أن نقول:** ما أشبه الليلة بالبارحة، لقد والله أمكنت الرامي[1] من سواء الثغرة. فإن قولك هذا هو شرك جاهلية العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا يدعون الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين، ويلتجؤون[2] إليهم، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم

(١) في طبعة الرياض «الرمي».
(٢) في طبعة الرياض «وليجيئون».

ليقربوهم [1] إلى الله كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه. قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: آية ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: آية ٣]. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾. [الأحقاف: آية ٢٨]

ومن المعلوم أن الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ وقاتلهم واستحل دماءهم وأموالهم كانوا مقرين أن الله هو الخالق الرزاق المحيي المميت النافع الضار الذي يدبر جميع الأمور، ويعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء وإعدامه، وأن النفع والضر بيده وأنه هو رب كل شيء ومليكه، ولا يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض، واستقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد، ولو في خلق ذرة من الذرات. قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: آية ٣٨] فهم

(١) في طبعة الرياض «ليقربوا».

معترفون بهذا، مقرون به لا ينازعون فيه. ولكن لم يدخلهم ذلك في الإسلام، وقاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يكون الدين كله لله.

فإذا عرفت أن هذا لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأبى عن الإقرار به المشركون هو توحيد الله تعالى، وأفعال العبد الصادرة منه كالدعاء والحب والخوف والرجاء والخضوع والخشوع والإنابة والتوكل والاستقامة والاستعانة والخضوع والتذرع والالتجاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه، وأن من صرف منها شيئاً لغيره، كان مشركاً سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه ويرجوه، أو لم يعتقد. فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم ذكرها، فقد عبد ذلك الغير واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرّ من تسمية[1] فعله ذلك تألهاً[2] وعبادة وشركاً. ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها، فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها، كتسمية عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً، وتعظيماً للصالحين وتوقيراً، فالاعتبار بحقائق الأمور، لا بالأسماء والاصطلاحات، والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الأسماء.

(١) في طبعة الرياض «تسميته».
(٢) في طبعة الرياض «تادباً».

إذا عرفت هذا فمن أنواع هذا الشرك الذي يسميه هؤلاء توسلاً وتشفعاً بجاه النبي ﷺ أو بحقه، وغير ذلك من الألفاظ، أو بجاه غير النبي كالملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين، أن يعتقد الإنسان في غير الله أنه يقدر بذاته على جلب منفعة لمن دعاه أو أستغاث به، أو دفع مضرة. قال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾ الآية [ فاطر: آية ٢ ]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [ يونس: آية ١٠٧ ] فإذا ثبت في القلب أن الله عزَّ وجلَّ بهذه الصفات فوجب أن لا يستغاث إلا به، ولا يدعى إلا هو، ولا يخاف ولا يرجى إلا هو، ولذلك قال تعالى: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ﴾ [ التوبة: آة ٥١ ] فقال تعالى توبيخاً لأهل الكتاب الذين يستغيثون بعيسى وأمه وعزير عليهم السلام لما أنزل الله عليهم القحط والجدب: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴾ الآية [ الإسراء: ٥٦ ] وقال تعالى لنبيه: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ الآية [الكهف: آية ١١٠ ] وقال: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ الآية [ يونس: آية ٤٩ ].

ومن أنواع هذا الشرك التوكل والصلاة والنذر والذبح لغير الله. قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [ هود: آية ١٢٣ ].

وقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾ [ الفرقان: آية ٥٨ ]. وقـال: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [ المائدة: آية ٢٣ ]. وقال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ - إلى قوله - وَمَا ذُبِحَ ﴾ [ المائدة: آية ٣ ]. وقال: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [ الكوثر: آية ٢ ]. وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥ ﴾ الآية [ الأنعام: آيات ١٦٢، ١٦٣ ].

ومن أنواع هذا الشرك العكوف على قبور المشهورين بالنبوة والصلاح[١] والولاية، لأن الناس يعرفون الرجل الصالح وبركته ودعاءه، فيعكفون على قبره ويقصدون ذلك، فتارة يسألونه، وتارة يسألون الله عند قبره[٢].

ولما كان هذا مبدأ الشرك سد النبي ﷺ هذا الباب. ففي الصحيحين أنه قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد (يحذر ما صنعوا)» قالت عائشة: ولولا ذلك لأبرز قبره. لكن كره أن يتخذ مسجداً[٣]، وقال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً وصلوا عليّ حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»[٣] وقال ﷺ: «لعن الله زائرات القبور

(١) في الأصل «والصحبة» بدل «والصلاح».
(٢) في الأصل «فتارة... وتارة يتلون الله عند قبره، وتارة يصلون ويدعون الله عند قبره».
(٣) تقدما.

والمتخذين عليها المساجد والسرج»[1]، انتهى.

**وأما قوله**: (ولا يعدون من توسل بالنبي ﷺ أو بالملائكة أنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله، فكيف يتجرءون على الاستشهاد على مذهبهم بقوله: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ﴾ الآية [ آل عمران: آية ٨٠ ].

**فالجواب أن يقال**: إن دعوى من دعا النبي ﷺ واستغاث به ولجأ إليه ودعا الملائكة أنهم لا يتخذوه أرباباً من دون الله ولا يعدون ذلك، لا تجدي هذه الدعوى شيئاً، فإن الكفار كما تقدم بيان ذلك يزعمون[2] أن الأنبياء والملائكة استقلوا بشيء من أفعال الربوبية، أو شاركوا الله في إيجاد شيء، أو إعدامه،

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده - ٢٢٩/١، وفي مواضع أخر -، وأبو داود في سننه - كتاب الجنائز - ٥٥٨/٣، والترمذي في سننه - أبواب الصلاة - ١٣٦/٢، والنسائي في سننه - كتاب الجنائز - ٩٤/٤، ٩٥. وحسنه الترمذي، وتبعه العلامة الشيخ أحمد شاكر حيث قال في تحقيقه لسنن الترمذي: فهذا الحديث - على أقل حالاته - حسن، ثم الشواهد التي ذكرناها في تأييده ترفعه إلى درجة الصحة لغيره، إن لم يكن صحيحاً بصحة إسناده هذا. ا هـ. وهذا من الشيخ مبني على توثيقه لأبي صالح باذام مولى أم هانىء وإثبات سماعه من ابن عباس لورود هذا الحديث من طريقه عن ابن عباس.

والذي عليه المحققون من المحدثين ضعفه وعدم سماعه من ابن عباس. جزم بذلك شيخ الإسلام وعلم الأعلام أبو العباس ابن تيمية في كتابه «الردّ على البكري - ص ١٧ .ط السلفية بمصر» وقد تقدم بحث هذا الحديث في هذه السلسلة.

(٢) كذا في النسختين ولعلها «لم يزعموا».

أو ساووهم بالله في التدبير والنفع والتأثير، والضر والتأثير، ولكن لما أشركوهم مع الله في عبادته بالحب والخوف والتعظيم والرجاء والتوكل والاستغاثة والالتجاء والذبح والنذر وغير ذلك، كان ذلك كفراً وشركاً بالله، فإن من أشرك مع الله في عبادة غيره فقد اتخذه[1] رباً وإلهاً، ولذلك يحتج عليهم سبحانه بما أقروا به من توحيد الربوبية على ما جحده من توحيد الإلهية.

ولما قال ﷺ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ قال عدي بن حاتم رضي الله عنه: إنهم لا يعبدوهم. قال: أليسوا يحلون ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون ما أحل الله فيحرمونه. قال: بلى. قال: فتلك عبادتهم[2] فجعل ﷺ طاعتهم في التحليل والتحريم التي هي أفعالهم - بتعظيم أحبارهم ورهبانهم الذين اتخذوهم أرباباً من دون الله - عبادة لهم مع الله.

ولهذا اجترأ الوهابية على تكفير من دعا غير الله، واستغاث به، ولجأ إليه، وصرف له شيئاً من خالص حق الله، لأنه قد اتخذه رباً ومعبوداً، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [ آل عمران: آية ٨٠ ] كما سيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

---

(١) في طبعة الرياض «اتخذوا».

(٢) تقدم الحديث في الرسالة الأولى. وقد حسنه شيخ الإسلام في كتابه «الإيمان».

## فصـــل

**وأما قول الملحد:** «فإن قلت شبهة من منع التوسل رؤيتهم بعض العوام يطلبون من الصالحين أحياءً وأمواتاً أشياء لا تطلب إلا من الله تعالى، ويقولون للولي افعل لي كـذا وكذا، **فهذه الألفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلي**، والقرينة عليه صدوره من موحد، ويدلك على ذلك أنك إذا استفسرت العامي عند نطقه بهذه الألفاظ الموهمة يبين لك معتقده بأن الله هو الفاعل للأشياء ولا مشارك له في إيجاد شيء».

**فالجواب أن نقول:** الكلام على هذا من وجوه:

**الأول:** أن طلب بعض العوام، أو بعض الخواص من أهل القبور المعروفين بالصلاح من الأحياء والأموات، واعتقاد أنهم يقدرون على ما لا يقدر[1] عليه إلا الله عزَّ وجلَّ، ويفعلون ما لا يفعله إلا الله عزَّ وجلَّ، حتى نطقت ألسنتهم بما

(١) سقطت اللام من الأصل وطبعة الرياض.

انطوت عليه قلوبهم، وصاروا يدعونهم تارة مع الله، وتارة استقلالاً، ويصرخون بأسمائهم، ويعظمونهم تعظيم من يملك الضر والنفع، ويخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي الله عزَّ وجلَّ في الدعاء: هو اعتقاد كفار قريش الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ وقاتلهم عليه ليكون الدين كله لله، وأن يخلصوا العبادة له، ويخلعوا الأنداد المدعوة من دونه، فمن طلب من مخلوق ما لا يقدر عليه إلا الخالق فقد أشرك ذلك المخلوق في عبادة الله، سواء كان المدعو نبياً أو ملكاً أو رجلاً صالحاً أو غير ذلك.

**الثاني**: أن مجرد عدم التأثير والخلق والإيجاد والإعدام والنفع والضر إلا لله[1] لا يبرىء من الشرك، فإن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم أيضاً كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق النافع الضار، بل لا بد فيه من إخلاص توحيده وإفراده. وإخلاص التوحيد لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله لله، والطلب منه والنداء والاستغاثة والرجاء واستجلاب الخير واستدفاع الشر له وعنه، لا بغيره ولا من غيره، وكذلك النذر والذبح والسجدة كلها يكون لله.

**الثالث**: أن مجرد كون الأحياء والأموات شركاء في أنهم لا يخلقون شيئاً، وليس لهم تأثير في شيء لا يقتضى أن يكون

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «إلا الله».

الأحياء والأموات متساوين في جميع الأحكام، حتى يلزم من جواز التوسل بالأحياء جواز[١] التوسل بالأموات، مع أن العرف المعروف من لغة العرب في معنى التوسل بالأحياء التوسل بدعائهم، وهو ثابت بالأحاديث الصحيحة، وأما التوسل بالأموات فلم يثبت بحديث صحيح ولا حسن، وأما التوسل في عرف هؤلاء فهو دعاؤهم والإستغاثة بهم والالتجاء إليهم، وهذا شرك وكفر وخروج من الدين بإجماع المسلمين المحكمين الكتاب والسنة.

**وأما قول هذا الملحد**: (فهذه الألفاظ الموهمة محمولة على المجاز العقلي).

**فالجواب من وجوه:**

**الأول**: أن تلك الألفاظ دالة دلالة مطابقة على اعتقاد التأثير من غير الله تعالى فما معنى الإيهام؟

**والثاني**: لو سلم هذا الحمل لاستحال[٢] الإرتداد وانسد باب الردة الذي يعقده الفقهاء في كل مصنف وكتاب من كتب أهل المذاهب الأربعة وغيرها فإن المسلم الموحد متى صدر منه قول أو فعل موجب للكفر يجب حمله على المجاز العقلي، والإسلام والتوحيد قرينة على ذلك المجاز[٣].

(١) في طبعة الرياض «... من جواز التوسل بالأحياء والأموات».
(٢) في طبعة الرياض «لاستحل».
(٣) قوله: «فإن المسلم الموحّد متى صدر... إلخ» هذا لازم مذهب هذا الملحد.

**والثالث**: أنه يلزم على هذا أن لا يكون المشركون الذين نطق كتاب الله بشركهم مشركين، فإنهم كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق الرزاق الضار النافع، وأن الخير والشر بيده، لكن كانوا يعبدون الأصنام لتقربهم إلى الله زلفى، فالإعتقاد المذكور قرينة على أن المراد بالعبادة ليس معناه[1] الحقيقي، بل المراد هو المعنى المجازي أي التكريم مثلاً، فما هو جوابكم فهو جوابنا؟.

**والرابع**: أنكم هؤلاء أوّلتم عنهم في تلك الألفاظ الدالة على تأثير غير الله، فما تفعلون في أعمالهم الشركية من دعاء غير الله والاستغاثة والنذر والذبح، فإن الشرك لا يتوقف على اعتقاد تأثير غير الله، بل إذا صدر من أحد عبادة من العبادات لغير الله صار مشركاً، سواء اعتقد ذلك الغير مؤثراً أم لا. انتهى.

فإذا عرفت أن هذا هو اعتقاد كفار قريش وغيرهم من العرب، فإنهم كانوا معترفين بأن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنه لا مشارك له في[2] إيجاد شيء، ولا أدخلهم ذلك في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله واستحل دماءهم وأموالهم، إلى أن يخلصوا العبادة لله، ولا يشركوا في عبادته أحداً سواه كان دعوى[3] هؤلاء أن هذا من الألفاظ الموهمة، من الأوهام الموبقة.

---

(١) لعلها «معناها».

(٢) في طبعة الرياض «فما».

(٣) في طبعة الرياض «كان دعوى» والصواب ما في الأصل وهو متعلق بقوله: =

قال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في كتابه: (في الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات في الحياة وبعد الممات على سبيل الكرامة): هذا وقد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدّعون أن للأولياء تصرفات بحياتهم وبعد مماتهم، ويستغاث بهم في الشدائد والبليات وبهممهم تكشف المهمات، فيأتون قبورهم وينادونهم في قضاء الحاجات، مستدلين على[1] أن ذلك منهم كرامات، وقالوا: منهم أبدال ونقباء، وأوتاد ونجباء وسبعون وسبعة وأربعون وأربعة والقطب هو الغوث للناس، وعليه المدار بلا التباس، وجوزوا لهم الذبائح والنذور، وأثبتوا لهم فيهما الأجور.

**قال**: وهذا الكلام فيه تفريط وإفراط، بل فيه الهلاك الأبدي والعذاب السرمدي، لما فيه من روائح الشرك المحقق، ومصادمة الكتاب العزيز المصدق، ومخالفته لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الأمة، وفي التنزيل: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ الآية [ النساء: آية ١١٥ ] إلى أن قال: وأما القول بالتصرف في الحياة بعد الممات، فهو أشنع وأبدع من القول بالتصرف في الحياة، قال جلّ ذكره: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾

= «فإذا عرفت أن هذا هو اعتقاد كفار قريش... كان دعوى هؤلاء أن هذا من الألفاظ...».

(١) «على» ليست في الأصل ولا طبعة الرياض.

[ الزمر: آية ٣٠ ]. ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [ الزمر: آية ٤٢ ] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [ آل عمران: ١٨٥ ] ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [ المدثر: آية ٣٨ ] وفي الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث» الحديث[1] فجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت، وأن أرواحهم ممسكة، وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة أو نقصان، فدل ذلك على أن ليس للميت تصرف في ذاته فضلاً عن غيره، فإذا عجز عن حركة نفسه فكيف يتصرف في غيره، فالله سبحانه يخبر أن الأرواح عنده، وهؤلاء الملحدون يقولون إن الأرواح مطلعة متصرفة ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾ [ البقرة: آية ١٤٠ ] قال: والاستغاثة تجوز في الأسباب الظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال أو إدراك عدو أو سبع ونحوه، كقولهم يا لزيد، يا للمسلمين بحسب الأفعال الظاهرة، وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية من الشدائد كالمرض وخوف الغرق والضيق والفقر وطلب الرزق ونحوه، فمن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١٢٥٥/٣ - كتاب الوصية -، وأبو داود في سننه ٣٠٠/٣ - كتاب الوصايا -، والترمذي في سننه ٦٥١/٣ - كتاب الأحكام - باب الوقف، والنسائي في سننه ٢٥١/٦ - كتاب الوصايا - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له».

خصائص الله لا يطلب فيها غيره، انتهى.

**والمقصود** أن أهل العلم ما زالوا ينكرون هذه الأمور الشركية التي عمت بها البلوى، واعتقدها أهل الأهواء، فلو تتبعنا كلام العلماء المنكرين لهذه الأمور الشركية لطال الجواب، والبصير النبيل يدرك الحق من أول دليل، ومن قال قولاً بلا برهان فقوله ظاهر البطلان، مخالف ما عليه أهل الحق والإيمان المتمسكين بحكم القرآن، المستجيبين لداعي الحق والإيمان، والله المستعان وعليه التكلان.

## فصــل

وإنما دهى[1] الغلاة ما ألقاه الشيطان إليهم بكيده أن قال: إن هؤلاء قوم صالحون، وعند الله مقربون، ولهم ما يشاؤون، ولهم الجاه الأعلى، والمقام الرفيع الأسنى، فمن قصدهم لا يخيب سعيه، ولا يطيش رأيه، وإن ببركتهم تدفع البليات، وتقضي الحاجات، وبشفاعتهم يتقرب زوارهم إلى الله الغفار، فتحط عنهم بشفاعتهم عند الله الأوزار إلى غير ذلك من الدلائل التي يملأ بها قلوب أهل الأماني بمثل هذه المعاني، فيتلاعب بعقولهم السخيفة، وآرائهم الضعيفة، ويحسّن لهم البدع والمنكرات، بما يلقيه إليهم من الحكايات والخرافات، ويحثهم على التقرب إلى أهل القبور بما يقدرون عليه، من النحر والنذور والطواف والتزين بالزين المحرمة من القصب والذهب والفضة وتعليق القناديل وإيقاد شموع العسل وتصفيح الجدران والأعتاب والسنون والأبواب بالفضة

---

(١) في طبعة الرياض «دهي». وفي الأصل «وهي».

والذهب وغيرهما مما يجاوز الحساب ويفهمهم[١] أنهم[٢] كلما ازدادوا في مثل ذلك أحسنوا كل الإحسان، فدخلوا الجنان، ثم ما كفاه ذلك حتى استخفهم فدعاهم إلى أن يطلبوا منهم النصر على الأعداء، والشفاء من عضال الداء فأجابوه إلى ما دعاهم مسرعين، وزادوا على ذلك بأن طلبوا منهم الحياة لأولادهم، فتراهم يقولون: قد علقنا أولادنا عليهم، ومنهم من يطلب منهم النسل إذا كان عقيماً، والشفاء إذا كان سقيماً، وكثيراً مما يطلب منهم منصباً فيه أخذ أموال العباد، والسعي في الأرض بكل فساد، فيجيء إليهم ويلازمهم معتقداً أن من لازمهم قضيت حاجته، ونجحت سعايته، واقترنت سعادته.

وإذا فتحت أبوابُ بيوت قبورهم المذهبة، ورفعت ستور الأبواب المطلاة المطرزة[١]، وفاحت تلك الروائح المسكية من الجدران المخلقة، وجد هذا الزائر في فؤاده من الخشية والرعب ما لا يجد أدنى معشار جزء عشره بين يدي خالق السماوات والأرضين، وإله جميع العالمين، فيدخل إلى القبر خاشعاً ذليلاً متواضعاً لا يخطر في قلبه مثقال ذرة من غير إجلاله، منتظراً فيض كرمه ونواله، فأقسم بالله أنه لم يتصوره

(١) في طبعة الرياض «يفهم».
(٢) في الأصل وطبعة الرياض «إنما» ولعل الصواب ما أثبته.
(٣) في طبعة الرياض «استخفهم».
(٤) في طبعة الرياض «المطردة».

بشر قد وضع بأكفانه في لحده، ولو سلمنا أنه لو خطرت له وهو عنده في تلك الحضرة لتعوذ بالله منها، ووقف عند حده، ويا خيبة من أنكر عليهم حالهم، ويا شناعة من رد عليهم أمرهم، ويا خسارة من علمهم وأرشدهم، فإن ذلك عندهم[1] قد تنقص الأولياء وهضمهم مرتبتهم عن السمو والارتقاء، ولو ذهبنا نذكر أفعالهم وأقوالهم لطال الجواب، فإلى الله المشتكى وبه المستغاث وهو المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «وقد تنقص».

## فصـــل

**قال الملحد:** (وإنما الطلب من هؤلاء الصالحين على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه).

**فالجواب: أن نقول** هكذا كان مشركو العرب الجاهلية حذو النعل بالنعل، كانوا يدعون الصالحين والأنبياء والمرسلين طالبين منهم الشفاعة عند رب العالمين، ويلتجئون إليهم ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم، ويعلمون أن الله تعالى هو النافع الضار وأن الله سبحانه هو المؤثر، وأن غيره لا تأثير له في جلب نفع أو دفع ضر، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لما جعلوا بعض المخلوقين وسائط بينهم وبين الله تعالى فلم ينفعهم إقرارهم بتوحيد الربوبية.

**وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله لما سئل عن رجلين تناظرا فقال أحدهما:** لا بد لنا من واسطة بيننا وبين الله تعالى فإنا لا نقدر على أن نصل إليه بغير ذلك فما معنى الوساطة؟

وهل التوسط عام في كل شيء يوجده الله تعالى أم في ذلك بيان وتفصيل؟.

فأجاب رحمه الله ورضي عنه بقوله: الحمد لله إن أراد بذلك أنه لا بد من وساطة تبلغ أمر الله تعالى فهذا حق، فإن الخلق لا يعلمون ما يحبه الله ويرضاه، وما أمر الله به ونهى عنه، وما أعد لأوليائه من كرامته، وما أوعد به أعداءهم من عذابه، ولا يعرفون ما يستحقه الله من أسمائه الحسنى، وصفاته العلا[1] التي تعجز العقول عن الإحاطة بها، إلى أمثال ذلك إلا بالرسل الذين أرسلهم الله إلى عباده.

والمؤمنون بالرسل المتبعون لهم هم[2] المهتدون الذين يقربهم لديه زلفى ويرفع درجاتهم ويكرمهم في الدنيا والآخرة. وأما المخالفون للرسل فإنهم ملعونون وهم ضالون وعن ربهم محجوبون قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ * وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [ الأعراف: آيات ٣٥، ٣٦ ] - وذكر آيات في المعنى - ثم قال رحمه الله: وإن

---

(١) في طبعة الرياض «العلية».

(٢) سقطت «هم» من الأصل وطبعة الرياض. وأثبتها من مجموع فتاوى شيخ الإسلام للعلامة الجليل عبد الرحمن بن قاسم - رحمه الله تعالى ورضي عنه - ١/١٢١.

أراد بالوساطة أنه لا بد من واسطة يتخذها العباد بينهم وبين الله في جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يكون واسطة في رزق العباد ونصرهم وهداهم يسألونهم ذلك ويرجونهم فيه فهذا من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين حيث اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء يجلبون بهم المنافع ويدفعون بهم المضار، لكن الشفاعة لمن يأذن الله تعالى له فيها قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [ السجدة: آية ٤ ] وقال: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [ الأنعام: آية ٥١ ] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [ سبأ: آيات ٢٢، ٢٣ ] ـ وساق آيات المعنى ـ إلى أن قال: وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [ آل عمران: آيات ٧٩، ٨٠ ] فبين سبحانه وتعالى أن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً كفر، فمن جعل الملائكة والأنبياء

وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب، وهداية القلوب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات، فهو كافر بإجماع المسلمين وقد قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ [ الأنبياء: آيات ٢٦ - ٢٩ ] وقال تعالى: ﴿ لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴾ [ النساء: آية ١٧٢ ] وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا * لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ [ مريم: آيات ٨٨ - ٩٥ ] وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ يونس: آية ١٨ ] وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾ [ النجم: آية ٢٦ ] وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا

بِإِذْنِهِ ﴾ [ البقرة: آية ٢٥٥ ] وقال تعالى: ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ ﴾ [ فاطر: ٢ ] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [ يونس: آية ١٠٧ ] تعالى: ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [ الزمر: آية ٣٨ ] ومثل هذا في القرآن كثير، ومن سوى الأنبياء من مشايخ العلم والدين فمن[1] أثبتهم وسائط بين الرسول وأمته يبلغونهم ويعلمونهم ويؤدبونهم ويقتدون بهم فقد أصاب في ذلك. وهؤلاء إذا أجمعوا فإجماعهم[1] حجة قاطعة لا يجتمعون على ضلالة، إلى أن قال: وإن أثبتهم وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين بين الملك وبين رعيته بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله حوائج خلقه، وأن الله إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم، بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لقربهم منهم والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك، أو لأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «ومن سوى الأنبياء ومشايخ العلم والدين وأثبتهم. . .» وما أثبته من مجموع الفتاوى.

(٢) في الأصل وطبعة الرياض «اجتمعوا فاجتماعهم. . .» وما أثبته من الفتاوى.

الملك لكونهم أقرب إلى الملك من الطالب، فمن أثبتهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

**قلت:** وهذا عين كلام الشامي فإنه زعم أن الطلب من هؤلاء الصالحين على سبيل التوسط بحصول المقصود من الله تعالى لعلو شأنهم عنده سبحانه، والشيخ رحمه الله هنا وفي جميع كلامه جزم بأن فاعل ذلك كافر مشرك يستتاب كما يستتاب المرتد فإن تاب وإلا قتل.

**ثم قال الشيخ:** وهؤلاء المشبهون يشبهون الخالق بالمخلوق، وجعلوا لله أنداداً. وفي القرآن من الرد على هؤلاء ما لا تتسع له هذه الفتوى، فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة:

إما لإخبارهم من أحوال الناس ما لا يعرفونه، ومن قال: إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الملائكة أو الأنبياء أو غيرهم فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء وهو السميع البصير، يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه[1] المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين.

---

(١) في الأصل تغلطه.

الوجه الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيته، ودفع أعاديهم إلا بأعوان يعينونه، فلا بد له من أعوان وأنصار لذله وعجزه، والله سبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الذل. قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [ سبأ: آية ٢٢ ] وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [ الإسراء: آية ١١١ ] وكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه خالقه وربه ومليكه، فهو الغني عن كل ما سواه، فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم[1]، وهم في الحقيقة شركاؤهم.

والله سبحانه ليس له شريك في الملك، لا إله إلا الله وحده لا شريك، له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ولهذا لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، لا ملك ولا نبي ولا غيرهما، فإن من يشفع عند غيره بغير إذنه، فهو شريك في حصول المطلوب، لأنه أثّر فيه بشفاعته حتى جعله يفعل ما يطلبه منه. والله سبحانه وتعالى لا شريك له بوجه من الوجوه.

ويسمى الشفيع شفيعاً لأنه يشفع غيره أي يصير له شفعاً. قال تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [ النساء: آية ٨٥ ] وكل

---

(١) في طبعة الرياض «ظهرائهم».

من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه. والله تعالى وتر لا يشفعه أحد بوجه من الوجوه.

**الوجه الثالث**: أن يكون الملك ليس مريداً لنفع رعيته، والإحسان إليهم ورحمتهم إلا بمحرك يحركه من خارج. فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه، أو من يُدلّ عليه بحيث يكون يرجوه ويخافه تحركت أداة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته، إما لما يحصل في قلبه من كلام الناصح الواعظ المشير، وإما لما يحصل له من الرغبة والرهبة من كلام المدل عليه. والله تعالى هو رب كل شيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو إذا أجرى[1] نفع العباد بعضهم على أيدي بعضهم، فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له ويشفع فيه ونحو ذلك، فهو الذي خلق ذلك كله، وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي والشافع إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلمه أو من يرجوه الرب ويخافه ولهذا قال النبي ﷺ: «لا يقولن أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكره له»[2] والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا

---

(1) في الأصل وطبعة الرياض «جرى».

(2) أخرجه البخاري ١٣٩/١١، ومسلم ٢٠٦٣/٤ عن أبي هريرة رضي الله عنه.

بإذنه، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [ الأنبياء: آية ٢٨ ] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [ سبأ: آية ٢٣ ] بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم قد يكون له ملك أو يكون شريكاً لهم في الملك، وقد يكون مظاهراً لهم معاوناً على ملكه، وهؤلاء يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملكُ يقبل شفاعتهم تارة على إنعامهم عليه، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة وإلى الولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه فإنه إن لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه، وأن يسعى في ضرره. وشفاعة العباد لبعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة والله تعالى لا يرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني. قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ - إلى قوله: - قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [ يونس: آية: ٦٦-٦٨ ] وقوله: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ [ يونس: آية ٦٦ ] استفهام استنكار أي ليس متبع الذين يدعون من دون الله شركاء حجة ولا برهاناً، ما يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون، بين تعالى أن من دعا من دون الله

شركاء فليس معه علم، ليس معه إلا الظن والخرص والظن المقرون بالخرص هو ظن باطل غير مطابق للحق فإن الخرص هنا بمعنى الكذب كقوله تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴾ [ الذاريات: آية ١٠ ] ومن ظن أن «ما» هنا نافية فقد فسر الآية بما هو خطأ كما قد بسط في غير هذا الموضع، والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه من الشفاعة عند المخلوق. قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ يونس: آية ١٨ ] وقال عن صاحب يس[1]: ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [ يس: آيات ٢٢ - ٢٥ ]، وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ [ الاحقاف: آية ٢٨ ] وأخبر عن المشركين أنهم قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [ الزمر: آية ٣ ] وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

---

(١) في طبعة الرياض «ليس» وكذا في الأصل.

[ آل عمران: آية ٨٠ ]. وقال: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [ الإسراء: آيات ٥٦ ـ ٥٧ ] فأخبر أن من يدعى من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، ويتقربون إليه فقد نفى سبحانه ما أثبته من توسيط الملائكة والأنبياء.

إلى أن قال: والمقصود هنا أن من أثبت وسائط بين الله تعالى وبين خلقه كالوسائط التي تكون بين الملوك والرعية فهو مشرك، بل هذا دين المشركين عباد الأوثان، كانوا يقولون إنها تماثيل الأنبياء والصالحين، وأنها وسائط يتقربون بها إلى الله تعالى، وهو من الشرك الذي أنكره الله تعالى على النصارى حيث قال: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ التوبة: آية ٣١ ] وقد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [ البقرة: آية ١٨٦ ] ثم ذكر آيات في المعنى وهذا الذي قاله الشيخ لا خلاف فيه بين المسلمين، وإنما اشتبه الأمر على هؤلاء الضلال لما قدم العهد، ونسي العلم، واعتادوا سؤال غير الله فيما يختص به تعالى، ونشئوا على ذلك.

## فصـــل

**وأما قوله:** (ولكن مع ذلك علينا أن نأمر العامة الأدب بالتوسل بأن يكون بالألفاظ التي ليس فيها إيهام، وذلك كأن يقول المتوسل: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بالنبي ﷺ وبأصحابه وبأحبابه أن تعطيني كذا وكذا وتدفع عني كذا وكذا إلى آخر مطلوبه، ولا يصح لنا أن نمنعه من التوسل مطلقاً لما قدمنا من الآيات، ولما يأتي من الأحاديث، والإجماع فنعوذ بالله من طمس عين البصيرة ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ آل عمران: آية ٨ ]).

**فالجواب أن نقول:** إن قول القائل: اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بالنبي ﷺ وبأصحابه وبأحبابه أن تعطيني كذا وكذا قول مبتدع محرم منهي عنه في أصح القولين عند الحنابلة، وقد نص على المنع منه جمهور أهل العلم بل ذكر شيخ الإسلام في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلاً بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ، ولم يجزم بذلك بل علق

القول به على ثبوت حديث الأعمى وصحته، وفيه من لا يحتج به عند أهل الحديث[1].

ونقل القدوري وغيره من الحنفية عن أبي يوسف أنه قال: قال أبو حنيفة رضي الله عنه: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. وذكر الملا في شرح التنوير عن التتار خانية عن أبي حنيفة قال: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله سبحانه إلا به أي بالله سبحانه.

وفي جميع متونهم: أن قول الداعي المتوسل بحق الأنبياء والأولياء وبحق البيت والمشعر الحرام مكروه كراهة تحريم، وعللوا ذلك كلهم بقولهم: إنه لا حق للمخلوق على الخالق. انتهى.

ولكن هؤلاء الغلاة مع كونهم مبتدعين هم مع ذلك يدعون الأنبياء والأولياء والصالحين ويلجؤون[2] إليهم، وقد كان من المعلوم عند جميع أهل السنة والجماعة مَنْ جعل الأنبياء والأولياء والملائكة وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار مثل أن يسألهم غفران الذنوب وهداية القلوب وتفريج الكروب وسد الفاقات فهو كافر بإجماع المسلمين والله الهادي إلى الصواب.

(١) تقدم الكلام مفصلاً على حديث الأعمى في رسالة «الرد على القبوريين» للعلامة حمد بن ناصر آل معمر ـ رحمه الله تعالى. وسيأتي الكلام على بعض طرق هذا الحديث ص ١٦٣.

(٢) في طبعة الرياض «يلجأون». وفي الأصل «يلجئون».

## فصـــل

**قال الملحد**: («الباب الثاني بذكر الأحاديث الدالةِ على التوسل بالنبي ﷺ أخرج البخاري في تاريخه، والبيهقي في الدلائل والدعوات وصححه، وأبو نعيم في المعرفة عن عثمان بن حنيف، أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقال: أدع الله لي أن يعافيني. قال: إن شئت أخرت ذلك وهو خير لك، وإن شئت دعوت الله تعالى. قال: فادعه. فأمره أن يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه ليقضيها، اللهم شفعه فيَّ» ففعل الرجل فقام وقد أبصر»).

**والجواب أن يقال**: هذا الحديثُ غيرُ محفوظٍ، وفيه مقال مشهور وفي سنده أبو جعفر عيسى بن أبي عيسى بن ماهان الرازي التميمي[1] قال الحافظ بن حجر في التقريب:

(1) تبع المؤلفُ ـ رحمه الله تعالى ـ الترمذي وغيره من الجهابذة العظام في أن أبا جعفر المذكور في السند هو الرازي وليس الخطمي، ولذلك حكموا على =

الأكثرون على ضعفه، وقال أحمد والنسائي: ليس بالقوي وقال أبو حاتم: صدوق، وقال ابن المديني: ثقة كان يخلط، وقال مرة: - يكتب حديثه إلا أنه يخطىء، وقال القلانسي سيء الحفظ، وقال ابن حبان: - ينفرد بالمناكير عن المشاهير، وقال أبو زرعة يهم كثيراً، وقال الحافظ في التقريب أيضاً في ترجمة الرازي التميمي مولاهم مشهور بكنيته واسمه عيسى بن أبي عيسى بن عبد الله ماهان، وأصله من مرو، وكان يتجر إلى الري صدوق سيء الحفظ خصوصاً عن مغيرة من كبار السابعة مات في حدود الستين انتهى، وعلى تقدير صحته وثبوته فلا يدل على ما توهمه هذا الملحد، وببيان معنى الحديث يعلم أن ما توهمه هؤلاء الغلاة غير صحيح، فقوله «اللهم إني أسألك» أي أطلب منك، وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ صرح باسمه مع ورود النهي عن ذلك تواضعاً منه لكون التعليم من قبله، وفي ذلك قصر السؤال الذي هو أصل الدعاء على الله تعالى الملك المتعال، ولكنه توسل بالنبي

---

* هذا السند بالضعف. ولكن رجّح شيخ الإسلام الإمام الناقد أبو العباس بن تيمية أن أبا جعفر هو الخطمي لا الرازي وتبعه على ذلك المحققون من العلماء. (مجموع الفتاوى ١/٢٦٦).

وعلى كلٍ حالٍ فإن الحديث صحيح ولا دلالة فيه على مذهب المشركين القبوريين بل هو حجة عليهم، وقد تقدم الكلام على هذا الحديث في التعليق على رسالة الشيخ حمد بن ناصر آل معمر «الرد على القبوريين».

بدعائه. ولذا قال في آخره: - «اللهم فشفعه فيَّ» إذ شفاعته لا تكون إلا بالدعاء لربه قطعاً، ولو كان المراد التوسل بذاته فقط لم يكن لذلك التعقيب معنى، إذ التوسل بقوله «نبيك» كافٍ في إفادة هذا المعنى. فقوله: «يا محمد إني توجهت بك إلى ربي»[1] قال الطيبي: الباء في بك للإستعانة. وقوله «إني توجهت بك» بعد قوله «أتوجه إليك» فيه معنى قوله: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [ البقرة - ٢٢٥ ] فيكون خطاباً[2] لحاضر معاين في قلبه مرتبط بما توجه به عند ربه من سؤال بنيه بدعائه الذي هو عين شفاعته، ولذلك أتي بالصيغة الماضوية بعد الصيغة المضارعية المفيد كل ذلك أن هذا الداعي قد توسل بشفاعة نبيه في دعائه فكأنه استحضره وقت ندائه.

وقال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم»: والميت لا يطلب منه شيء لا دعاء ولا غيره، وكذلك حديث الأعمى فإنه طلب من النبي ﷺ أن يدعو له ليرد الله عليه بصره فعلمه النبي ﷺ دعاء أمره فيه أن يسأل الله قبول شفاعة نبيه فيه، فهذا يدل على أن النبي شفع فيه، وأمره أن يسأل الله قبول قوله «أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة» أي بدعائه وبشفاعته كما قال عمر: «كنا نتوسل إليك بنبينا» فلفظ التوسل والتوجه في الحديثين بمعنى واحد ثم قال: «يا محمد

(١) في الأصل طبعة الرياض «ذي».
(٢) في طبعة الرياض «خطاباً بالحاضر».

يا رسول الله إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي ليقضيها اللهم فشفعه فيَّ» فطلب من الله أن يشفع فيه نبيه. وقوله: «يا محمد يا نبي الله» وهذا وأمثاله نداء يطلب به استحضار المنادى في القلب، فيخاطب المشهود بالقلب كما يقول المصلي: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته»، والإنسان يفعل مثل هذا كثيراً يخاطب من يتصوره في نفسه وإن لم يكن في الخارج من يسمع الخطاب، فلفظ التوسل بالشخص، والتوجه به، والسؤال به فيه إجمال واشتراك غلط بسببه من لم يفهم مقصود الصحابة، يراد التسبب به لكونه داعياً وشافعاً مثلاً، أو لكون الداعي محباً له مطيعاً لأمره مقتدياً به، فيكون التسبب إما بمحبة السائل له واتباعه له، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته، ويراد به الإقسام به، والتوسل بذاته فلا يكون التوسل لا منه ولا من السائل بل بذاته أو بمجرد الإقسام به على الله، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه، وكذلك السؤال بالشيء قد يراد به المعنى الأول وهو التسبب لكونه سبباً في حصول المطلوب، وقد يراد به الإقسام إلى آخر ما قال انتهى.

فإذا عرفت هذا فليس في حديث الأعمى ما يدل على التوسل به ودعائه والإلتجاء إليه بعد وفاته، وإنما فيه أنه توسل بدعائه كما كان الصحابة يتوسلون بذلك، ويسألونه الإستغفار والدعاء وقد قال تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾ [ التوبة -١٠٣] وقال تعالى حاكياً عن المنافقين ﴿ وَإِذَا

قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [ المنافقون - ٥ ] فذمّ هذا الصنف بالصدّ عن ذلك، فهذا كان هديهم وفعلهم في حياته ﷺ، وأما بعد موته ﷺ فلم يفعله أحد منهم، ولا من أهل العلم والإيمان بعدهم،

**وأما قوله** «وليس لمانع التوسل أن يخصه بقبل وفاته ﷺ لأن الصحابة استعملوه بعد وفاته ﷺ».

**فالجواب أن هذا كذب على الصحابة رضي الله عنهم فإن** الصحيح الثابت عنهم التوسل به في حياته بدعائه، وأما بعد وفاته فلم يكن يفعل ذلك أحد منهم، وقد ثبت في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه استسقى بالعباس فقال: - «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا فيسقون» فقد بين عمر رضي الله عنه، أنهم كانوا يتوسلون به في حياته فيسقون، ، وذلك التوسل أنهم كانوا يسألونه أن يدعو الله لهم، فيدعو لهم ويدعون معه فيتوسلون بشفاعته ودعائه، فهذا كان توسلهم به في الاستسقاء ونحوه، فلما مات توسلوا بالعباس كما كانوا يتوسلون به، ولم يتوسلوا به ويستسقونه بعد موته، ولا في مغيبه، ولا عند قبره. وكذلك معاوية بن أبي سفيان استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي وقال اللهم: «إنا نستشفع إليك بخيارنا يا يزيد ارفع يديك إلى الله» فرفع يديه ودعا فسقوا ولذلك قال العلماء:

يستحب أن يستسقي بأهل الصلاح والخير، فإذا كان من أهل بيت رسول الله ﷺ كان أحسن، ولم يذكر أحد من العلماء أنه يشرع التوسل والإستسقاء بالنبي الصالح بعد موته، ولا في مغيبه، ولا استحبوا ذلك لا في الإستسقاء ولا في غيره من الأدعية، والدعاء مخ العبادة، والعبادة مبناها على السنة والإتباع، وإنما يعبد الله بما شرع لا بالإهواء والبدع قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [ الشورى - ٢١ ] وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [ الأعراف - ٥٥ ] وقال النبي ﷺ: «إنه سيكون في هذه الأمة أقوام يعتدون في الدعاء والطهور» انتهى.

وأما قوله: (فقد أخرج البيهقي، وأبو نعيم في المعرفة عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان في حاجة، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي عثمان بن حنيف وشكى إليه ذلك. فقال: ـ ائت الميضأة فتوضأ، ثم إئت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي لتقضي حاجتي، واذكر حاجتك، ثم رح حين أروح. فانطلق الرجل وصنع ذلك، ثم أتا باب عثمان فجاء البواب فأخذه بيده وأدخله على عثمان، فأجلسه معه على الطنفسة فقال: «انظر ما كان لك من

حاجة» ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان بن حنيف فقال: «جزاك الله خيراً ما كان ينظر في حاجتي، ولا يلتفت إليّ حتى كلمته» قال: ما كلمته، ولكن رأيت النبي ﷺ وجاءه ضرير فشكا إليه ذهاب بصره، فقال له أوتَبْصـر، قال يا رسول الله ليس لي قائد وقد شق علي فقال: «ائت الميضاة فتوضأ وصلِّ[1] ركعتين ثم قل اللهم إني أتوجه بك إلى ربي ليجلي بصري اللهم شفعه فيَّ وشفعني في نفسي، قال عثمان: فوالله ما تفرقنا حتى دخل الرجل كان لم يكن به ضرر» انتهى من شرح الخصائص. . .).

**فالجواب**: إن في سند هذا الحديث مقالاً، وقد رواه الطبراني وفي سنده روح بن صلاح وقد ضعفه ابن عدي[2]،

(١) في الأصل وطبعة الرياض «وصلي».

(٢) كذا قال الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وقد أصاب في تضعيف سند الطبراني. ولكن العلة التي ذكرها غير صحيحة وذلك لأن سند الطبراني ليس فيه «روح بن الصلاح» وإنما فيه «روح بن القاسم»[1] وليس هو علة الحديث وإنما علة الحديث ما يلي بعد سياق سند الطبراني، قال رحمه الله تعالى في معجميه الكبير ١٧/٩ ـ ١٨، والصغير ١٨٣/١: ـ حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المقري حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلاً كان

(١) ولعل الشيخ اشتبه عليه هذا الحديث بحديث آخر يأتي ص ١٩٣ علته «روح بن الصلاح»، أو أنه تابع صاحب «صيانة الإنسان» فإنه أعلّ القصة بروح بن القاسم ص ٣٧٧.

يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه. . . » إلخ.

قال الطبراني في الصغير بعده: - لم يروه عن روح بن القاسم إلا شبيب بن سعيد أبو سعيد المكي وهو ثقة، وهو الذي يحدث عنه أحمد بن أحمد بن شبيب عن أبيه عن يونس بن يزيد الأيلي.

وقد روى هذا الحديث شعبة عن أبي جعفر الخطمي واسمه عمير بن يزيد وهو ثقة تفرد به عثمان بن عمر بن فارس عن شعبة، والحديث صحيح.

وروى هذا الحديث عون بن عمارة عن روح بن القاسم عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه. وهم فيه عون بن عمارة. والصواب حديث شبيب بن سعيد ا هـ وقبل الكلام على سند هذه القصة نلفت النظر إلى دقة تعبير العلماء السابقين وشدّة احترازهم في الألفاظ، ويتجلى هذا في قول الطبراني: - «والحديث صحيح» يعني به المرفوع لا القصة كما توهمه بعض السفلة الساقطين، الذين يتتبعون خيوط العنكبوت فيتعلقوا بها لنصر مذهبهم وتقوية طريقتهم. ويدل على ذلك قوله في. . . أول كلامه «لم يرو. . . » إشارة إلى توهين الحكاية.

ويتضح وهن هذه الحكاية وسقوطها - بما يأتي:

أولاً: - تفرد شبيب بن سعيد بها كما قاله الطبراني. وشبيب بن سعيد هذا لخص الحافظ ابن حجر كلام أهل الجرح والتعديل فيه فقال: - «لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه، لا من رواية ابن وهب» ا هـ من التقريب. وهذا السند كما ترى من طريق ابن وهب عنه. وقد قال ابن عدي في ترجمة شبيب: - «وحدّث عنه ابن وهب بأحاديث مناكير. . . »، ثم قال: «وكان شبيباً إذا روى عنه ابنه أحمد بن شبيب نسخة يونس عن الزهري إذا هي أحاديث مستقيمة، ليس هو شبيب بن سعيد الذي يحدث عنه ابن وهب بالمناكير الذي يرويها عنه، ولعل شبيباً بمصر في تجارته إليها كتب عنه ابن وهب من حفظه فيغلط ويهم، وأرجو أن لا يتعمد شبيب هذا الكذب» ا هـ -

= كلام ابن عدي من الكامل ١٣٤٧/٤ وما أحسنه من كلام وما أدقه من حكم . ويتلخص منه أمران هامّان.

**أحدهما**: أن رواية أحمد بن شبيب عن أبيه مستقيمة بشرط أن يكون شيخ أبيه يونس فقط وأما روايته عن أبيه شبيب عن غير يونس فتبقى على الجادة وهي عدم الإحتجاج بها. وتعليل هذا: أن شبيباً عنده كتب يونس وكان يحدث منها فلذا جاءت أحاديثه عنه مستقيمة كما تقدم في كلام ابن عدي.

وبهذا يعلم ما في عبارة الحافظ ابن حجر من الإطلاق الموهم حيث قال «لا بأس به من روايةابنه أحمد عنه» فيزاد عليها قيداً وهو «إذا كان شيخه يونس بن يزيد»[1] والله تعالى أعلم.

**ثانيهما**: ـ أن أحاديث ابن وهب عن شبيب منكرة جميعها، وهذا الحديث منها.

فإن قيل: قد روى البيهقي هذا الحديث من طريق أحمد بن شبيب بن سعيد عن أبيه عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف قال... فذكره ١٦٧/٦ من دلائل النبوة، فهذه متابعة لابن وهب من رواية أحمد عن أبيه وهي جيدة.

قلنا: تقدم أن قبول رواية أحمد عن أبيه مشروطةٌ بكونها عن «يونس بن يزيد» وهذا منتفٍ هنا، فإن السند من رواية شبيب عن روح.

ومما يدل على أن هذه الرواية ليست بمحفوظة: أنه تارةً يذكر القصة، وتارة يهملها كما عند البيهقي في الدلائل ١٦٧/٦ ـ ١٦٨ بالوجهين. وعند شيخه الحاكم في المستدرك ٥٢٦/١ بالوجه الثاني وكذا عند ابن السني في عمل اليوم والليلة ص ١٧٠ . وقد رواه الحاكم في مستدركه من طريق: عون بن عمارة البصري ثنا روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان.. به بدون ذكر القصة وهذا هو المحفوظ لموافقته رواية الأثبات.

(١) وهذه الفائدة ذكرها المحدث الشيخ محمد ناصر الدين في رسالته «التوسل».

فهذا الاختلاف يوجب ردّ هذه القصة واطراحها وهذا هو الوجه الثاني من أوجه ردّها ـ وسيأتي له مزيد بحث ـ.

**الوجه الثالث**: ـ أن المتفرد بهذه القصة «شبيباً» قد خالف الثقات الأثبات الذين رووا الحديث مجرداً عن القصة في السند والمتن.

**قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ كما في مجموع الفتاوى ٢٦٨/١**: ـ

فرواية شبيب عن روح عن أبي جعفر الخطمي خالفت رواية شعبة وحماد بن سلمة في الإسناد والمتن، فإن في تلك أنه رواه: أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة. وفي هذه أنه رواه عن أبي أمامة.

وفي تلك الرواية أنه قال: «فشفعه فيَّ، وشفعني فيه» وفي هذه: «وشفعني في نفسي» لكن هذا الإسناد له شاهد آخر من رواية هشام الدستوائي عن أبي جعفر ا هـ.

قوله «وهذا الإسناد» يشير إلى سند شبيب عن روح. وقد ذكر البيهقي هذه المتابعة في الدلائل ١٦٨/٦ ولم يذكر من فوق هشام الدستوائي حتى يمكن الحكم على هذه المتابعة. كما أنه لم يذكر لفظ الرواية، إلا أن صنيعه يقضي أن القصة فيها.

لذا قال شيخ الإسلام ـ ٢٦٩/١ ـ: ـ قال ـ أي البيهقي ـ: ـ «ورواه أيضاً هشام الدستوائي عن أبي جعفر عن أبي أمامة بن سهل عن عمه عثمان ابن حنيف» ولم يذكر إسناد هذه الطرق ا هـ.

ولا شك أن رواية شعبة وحماد أولى بالقبول من رواية هشام. فضلاً عن رواية شبيب الموصوف بضعف الحفظ، المختلف عليه في هذه الرواية.

**بقي أن يقال**: هناك متابع لأحمد بن شبيب في روايته عن أبيه بذكر القصة. هو: إسماعيل بن شبيب أخو أحمد.

**والجواب** أن إسماعيل مجهول لا يعرف. قال الشيخ المحدث محمد ناصر الدين في رسالته «التوسل»: أما إسماعيل فلا أعرفه، ولم أجد من ذكره، ولقد أغفلوه حتى لم يذكروه في الرواة عن أبيه» ا هـ.

ويضاف إلى هذه العلة: ضعف شبيب في الحفظ.

بل قد قال بعضهم: إن إمارات الوضع لائحة عليه، فكيف يعارض جميع كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وعمل أصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين؟ وهل سمعت أحداً منهم جاء إليه بعد وفاته إلى قبره الشريف فطلب منه ما لا يقدر عليه إلا الله، وهم حريصون على مثل هذه المثوبات، لا سيما والنفوس مولعة بقضاء حوائجها تتشبث بكل ما تقدر عليه، فلو صح عند أحدهم أدنى شيء من ذلك لرأيت أصحابه يتناوبون قبره الشريف في حوائجهم زمراً زمراً، خصوصاً في الفتن الكبار[1] التي جرت بزمنهم وبصدهم على الإسلام والمسلمين، ومثل ذلك تتوفر الدواعي على نقله، ولا وَسَّعَ[2] الله طريقاً لم يتسع للصحابة والتابعين وصلحاء علماء الدين. نعم كان ابن عمر رضي الله عنهما يأتي القبر المكرم ويقول: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت» ثم ينصرف، وكذلك أنس وغيره، فإذا أرادوا الدعاء استقبلوا القبلة.

ثم اعلم أن هذا الحديث مخالف لعمل الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال ﷺ: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد».

وأما دعوى هؤلاء الغلاة أن الصحابة استعملوا هذا الدعاء بعد وفاته فإن هذا مما يعلم بالضرورة أنه من الكذب على

(١) في طبعة الرياض «الكباب».
(٢) في طبعة الرياض «ولا يسع».

الصحابة رضي الله عنهم، ولو كان هذا الاستعمال صحيحاً لتوفرت الهمم والدواعي على نقله، ولما عدل الفاروق إلى التوسل بدعاء العباس، ومعاوية بيزيد بن الأسود الجرشي، ولكان يمكنهم لو كان هذا الحديث صحيحاً معروفاً عندهم أن يتوسلوا بالنبي ﷺ، ولا يطلبون من العباس أن يدعوا لهم، ومما يوضح لك الأمر أن هذا الحديث غير صحيح أن رواته مختلفون في متنه وسنده، مع أنه لم يذكر في شيء من الكتب المعتمدة، وإنما ذكره مثل البيهقي والطبراني والترمذي وأبي نعيم، وهؤلاء يذكرون مثل هذه الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة على وجه التنبيه، وقد رأى علماء الإسلام الجهابذة النقاد ظلمات الوضع لائحة عليه فأعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه والله أعلم.

(١) في الأصل وطبعة الرياض «أبو نعيم».

## فصــل

قال الملحد: (وفي حاشية العلامة ابن حجر على الإيضاح للنووي ما نصه: ـ «وقد صح في حديث طويل أن الناس أصابهم قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك، فجاءه في النوم وأخبره أنهم يسقون فكان كذلك» انتهى.

**فالجواب أن يقال: ـ**

هذا الحديث الذي ذكره هذا الملحد في حاشية ابن حجر على الإيضاح للنووي قد رواه البيهقي وابن أبي شيبة عن بلال بن الحارث[1] وليس فيه دلالةٌ على جواز دعاء النبي ﷺ، والتوسل به، والإلتجاء إليه، والإستغاثة به بل هو من جنس المنامات التي لا يعتمد عليها في الأحكام، ولا يثبت بها حكم شرعي.

---

(1) رواية البيهقي وابن أبي شيبة عن رجل لم يسم، كما يتضح من كلام المؤلف الذي ذكره عقب كلام الحافظ ابن حجر. فلعل قوله هنا: «عن بلال بن الحارث» سبق قلم والله أعلم.

وأيضاً ففي هذا الحديث مقال مشهور، قال الحافظ في الفتح[1]: وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار[2] ـ وكان خازن عمر رضي الله عنه ـ قال: «أصاب الناس قحط في زمن عمر رضي الله عنه، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ في المنام، فقيل له إئت عمر» الحديث، وقد روى سيف في الفتوح أن الذي رأى في المنام المذكور هو بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة انتهى[3].

---

(١) جـ ٢/٤٩٥.

(٢) في الأصل وطبعة الرياض «الواري» تبعاً للفتح. وما أثبته من التاريخ الكبير للبخاري رحمه الله ٣٠٤/٧.

(٣) هذا الحديث بدون زيادة سيف بن عمر أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ـ كتاب الفضائل ـ ٣١/١٢ ـ ٣٢: ـ حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك الدار قال وكان خازن عمر على الطعام، قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر، فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجلُ في المنام فقيل له: ائت عمر فأقرئه السلام، وأخبره أنكم مستقيون، وقل له: عليك الكيس! عليك الكيس! فأتى عمر فأخبره فبكى عمر ثم قال: يا رب لا آلو إلا ما عجزت عنه.

وأخرجه الحافظ البيهقي ـ كما في البداية والنهاية لابن كثير ١٠١/٧: ـ أخبرنا أبو نصر ابن قتادة وأبو بكر الفارسي قالا: حدثنا أبو عمر بن مطر حدثنا إبراهيم بن علي الذهلي حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن مالك قال: أصاب الناس قحط في زمن عمر بن الخطاب فجاء رجل إلى قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استسق الله لأمتك فإنهم قد هلكوا. فأتاه رسول الله ﷺ في المنام فقال: «إيت عمر فأقره مني السلام، وأخبرهم أنهم مسقون...» قال الحافظ ابن كثير بعد سياقه =

= للحديث بسنده: ـ وهذا إسناد صحيح اهـ.

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٩٥/٢: «وروى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح من رواية أبي صالح السمان عن مالك الدار ـ وكان خازن عمر ـ قال وأصاب الناس. . .» فذكره اهـ.

وقد أعل الحديث بعلل منها: تدليس الأعمش.

وهذه علة عليلة وذلك لأن الأعمش وإن كان مدلساً فإن شيخه في هذا السند أبو صالح ذكوان بن عبد الله وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله في الميزان في ترجمة الأعمش: ـ «قلت: وهو يدلس، وربما دلس عن ضعيف، ولا يدري به، فمتى قال: حدثنا، فلا كلام، ومتى قال: عن، تطرق إليه احتمال التدليس، إلا في شيوخ له أكثر عنهم: كإبراهيم، وأبي وائل، وأبي صالح السمان، فإن روايته عن هذا الصنف محمولة على الإتصال» اهـ، وقد ذكره الحافظ ابن حجر في الطبقة الثانية من طبقات المدلسين، وهم الذين احتمل الأئمة تدليسهم. إلا أننا لا نسلم بهذا في الأعمش مطلقاً، بل إن كلام الذهبي فيه أعدل.

العلة الثانية: ـ جهالة مالك الدار ـ خازن عمر ـ فقد ذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢١٣/٨ وبيض له. وذكر عن أبيه: أن أبا صالح السمان روى عنه.

وكذا ذكره البخاري في التاريخ ٣٠٤/٧ وبيض له وساق حديثه هذا.

وقال الهيثمي في المجمع ١٢٥/٣: ـ «. . . ومالك الدار لم أعرفه. . .».

وقال المنذري في الترغيب والترهيب ٤٢/٢ ط المنيرية: ـ «. . . ومالك الدار لا أعرفه. . .».

قلت وقد روى عنه غير أبي صالح السمان. ففي الطبراني ٣٣/٢٠ رواية عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار.

وقد أشار الحافظ ابن حجر في التهذيب ١٨٧/٦ إلى أن عبد الرحمن بن سعيد من الرواة عن مالك الدار.

فارتفعت جهالة العين عنه بذلك كما هو مذهب جماعة من المحدثين. =

وفي هذه العلة نظرٌ وذلك: لأن مالك الدار قد ائتمنه عمر على الخزانة، ولا يضع عمر في هذا المنصب إلا من عرفت عدالته.

العلة الثالثة: -

أن الرجل الذي جاء إلى قبر النبي ﷺ مجهول لا يعرف، فكيف يعول في هذه القضية العظيمة على روايته!! ويؤصل هذا الأصل المتعلق بأهم العبادات على حادثته! لا شك أن الاعتماد على هذه الواقعة ضرب من الجنون والهوس. هذا إذا سلمنا جدلاً عدم وجود المخالف له. فكيف وقد خالفه الإجماع المنعقد على مقتضى النصوص الواردة فيما يشرع عند وجود القحط من استغفار الله تعالى والاستقامة على طريقه، والإيمان والتقوى، وتحكيم الشرع.

وقد اعترض على هذه العلة القوية باعتراض هو: -

أن الرجل المذكور صحابيٌ يدعى: بلال بن الحارث المزني كما صرحت بذلك بعض روايات هذا الحديث.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح ٤٩٦/٢: - وقد روى سيفٌ في «الفتوح» أن الذي رأى المنام المذكور هو: بلال بن الحارث المزني أحد الصحابة اهـ.

والجواب: أن هذه الرواية باطلة لا يحل الاستشهاد بها. وذلك لأن سيف بن عمر المتفرد بهذه الزيادة ضعيف باتفاقهم، بل قيل إنه كان يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة (الميزان للحافظ الذهبي ٢٥٦/٢).

ثم لو سلمنا جدلاً صحة هذه الزيادة فلا حجة فيها لأنها فعل صحابي خالف الأدلة، وعارضه فعل الصحابة.

أما مخالفته للأدلة من الكتاب والسنة فظاهر، وأما مخالفته لفعل الصحابة فقد ثبت عن عمر أنه قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، اللهم إنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فأسقنا، فيسقون.

فإن قيل: إن وجه الاحتجاج بهذه القصة عدم إنكار عمر على ذلك الرجل مجيئه إلى قبر النبي ﷺ. =

قيل: من أين لكم أنه أخبر عمرَ بهذا الاستسقاء؟ فالروايات التي بين أيدينا ليس فيها إلا الإخبار بالرؤيا. فمن زعم غير ذلك فعليه الإثبات.

وقد رأيت جواباً لبعضهم يقول فيه: ـ «وأما إخباره عمر، فلا نسلم أنه أخبره باستسقائه بالرسول ﷺ، ولعله أخبره بالرؤيا فقط، أو ببعضها وهو قوله: «قل له عليك الكيس الكيس»، والفعل الماضي في الإثبات بلسان العرب بمنزلة النكرة في الإثبات، فكما لا يعم قولنا: حصل منا إخبار، كذلك لا يعمم قولنا: أخبرنا. ولئن سلمنا إخباره عمر بالواقعة كلها فلا نسلم أن عمر أقرّه، إذ يحتمل أنه أنكره ولم ينقل، وعدم العلم ليس علماً بالعدم... إلخ» اهـ.

العلة الرابعة:

أن هذه القصة منكرة المتن، لمخالفتها ما ثبت في الشرع من استحباب إقامة صلاة الاستسقاء في مثل هذه الحالات. ولمخالفتها ما اشتهر وتواتر عن الصحابة والتابعين، إذ ما جاء عنهم أنهم كانوا يرجعون إلى قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الأموات عند نزول النوازل واشتداد القحط يستدفعونها بهم وبدعائهم وشفاعتهم. بل كانوا يرجعون إلى الله واستغفاره وعبادته، وإلى التوبة النصوح، قال تعالى: ﴿ وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً.. ﴾ وقال تعالى: ﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً... ﴾ وقال تعالى: ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض... ﴾.

وفي كتاب المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان ٢/٣٨٠ بإسناد صححه الحافظ ابن حجر في الإصابة ١٠/٣٨٢ عن سليم بن عامر الخبائري قال: ـ إن السماء قحطت، فخرج معاوية وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية فصعد على المنبر، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: (اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع =

فعلم أن ما روي بإسناد صحيح ليس فيه أن الجائي أحد الصحابة، وما فيه أن الجائي أحد الصحابة ضعيف غاية الضعف، قال الذهبي في الميزان: سيف بن عمر الضبي[1] الأسدي، ويقال التميمي البرجمي، ويقال السعدي الكوفي

---

= إليك اليوم بيزيد بن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يدك إلى الله، فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم، فما كان أو شك أن فارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت لها ريح، فسقتنا حتى كاد الناس أن لا يبلغوا منازلهم).

وأبلغ من هذا فعل عمر بن الخطاب الذي كان بجوار قبر النبي ﷺ فيعدل عنه إلى التوسل بالعباس لكونه حيًّا قادراً...

وهذا الأثر مع ضعفه ونكارته، قد خالف هذه الوقائع الصحيحة الثابتة عن خير القرون بأجمعهم. فلو كان ما تضمنه هذا الأثر صحيحاً لفعلوه ولو مرّة لبيان الجواز، ومن المعلوم أن المضطر يتعلق بأدنى ما يجده لكشف ضره، فلما لم يفعلوا ذلك مع وجود الدافع تبين بطلان هذا الأثر وسقوطه.

قال شيخنا العلامة البارع المحقق الجليل عبد العزيز بن باز في تعليقه على فتح الباري ٢/٤٩٥: -

هذا الأثر - على فرض صحته كما قال الشارح - ليس بحجة على جواز الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته، لأن السائل مجهول، ولأن عمل الصحابة رضي الله عنهم على خلافه، وهم أعلم الناس بالشرع، ولم يأتِ أحد منهم إلى قبره يسأله السقيا ولا غيرها، بل عدل عمر عنه لما وقع الجدب إلى الاستسقاء بالعباس، ولم ينكر ذلك عليه أحد من الصحابة، فعلم أن ذلك هو الحق، وأن ما فعله هذا الرجل منكر ووسيلة إلى الشرك، بل قد جعله بعض أهل العلم من أنواع الشرك.. إلخ» اهـ كلامه رحمه الله تعالى ومتّع به على طاعته.

(١) في الأصل وطبعة الرياض «الضبعي» وما أثبته من الميزان ٢/٢٥٥ - ٢٥٦.

مصنف الفتوح والرواة[1] وغير ذلك هو كالواقدي يروي عن هشام بن عروة، وعبد الله بن عمر، وجابر الجعفي، وخلق كثير من المجهولين، كان أخبارياً عارفاً، روى عنه جبارة بن المغلّس، وأبو معمر القطيعي، والنضر بن حماد العتكي، وجماعة، قال عباس: عن يحيى: ضعيف، وروى مطّين عن يحيى فلس[2] خير منه. وقال أبو داود: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك، وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة، وقال ابن عدي: عامة حديثه منكر، قال مكحول البيروني[3]: سمعت جعفر بن أبان، سمعت ابن نمير يقول: سيف الضبي[4] تميمي كان جُميع يقول: حدثني رجل من بني تميم، كان سيف يضع الحديث، وقد اتهم بالزندقة انتهى ملخصاً.

قال الحافظ في التقريب: سيف بن عمر التميمي صاحب الردة، ويقال له الضبي، ويقال غير ذلك الكوفي، ضعيف في الحديث، عمدة في الأخبار أفحش ابن حبان القول فيه انتهى.

وقال الذهبي في الكاشف: قال ابن معين وغيره ضعيف،

---

(١) كذا في الأصل، وطبعة الرياض. وفي الميزان للذهبي ٢/٢٥٥ «والردّة».

(٢) في الأصل وطبعة الرياض «عبادة بن المفلس» وما أثبته من الميزان وهو الصواب.

(٣) في الأصل وطبعة الرياض «فليس» وما أثبته من الميزان.

(٤) في الأصل وطبعة الرياض «البيروني».

وقال في الخلاصة: سيف بن عمر[1] الأسدي الكوفي، صاحب الردة، عن جابر الجعفي، وأبي الزبير، وعنه محمد بن عيسى الطباع، وأبو معمر الهذلي ضعفوه انتهى.

فهذا ما قيل في حديث بلال بن الحارث الذي رواه البيهقي وابن أبي شيبة[2] فإن كان الذي رواه الحافظ في الفتح وعلى الإيضاح للنووي ففيه ما قال الحافظ من المقال آنفاً وإن كان غير ذلك فغاية ما فيه أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس وهذا ليس من هذا الباب الذي نحن بصدد الكلام فيه فإن هذا قد يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام: وأيضاً ما يروي أن رجلاً جاء إلى قبر النبي ﷺ فشكى إليه الجدب عام الرمادة فرآه وهو يأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فإن هذا ليس من هذا الباب ومثل هذا يقع كثيراً لمن هو دون النبي ﷺ وأعرف من هذا وقائع وكذلك سؤال بعضهم للنبي ﷺ أو لغيره من أمته حاجة فتقضي له فإن هذا قد وقع كثيراً وليس مما نحن فيه

---

(1) في الأصل و ط الرياض «بن تميم» وما أثبته من الخلاصة للخزرجي ص ١٣٦ «ط. الخيرية بمصر، ١٣٢٢ هـ».

(2) رواية البيهقي وابن أبي شيبة ليس فيها أن الجائي هو الحارث بن بلال. فإن سيف بن عمر الضبي هو الذي ذكر الصحابي «الحارث بن بلال» وقد تقدم بسط هذا.

وعليك أن تعلم أن إجابة النبي ﷺ أو غيره لهؤلاء السائلين ليس هو مما يدل على استحباب السؤال فإنه هو القائل ﷺ إن أحدهم ليسألني المسألة فأعطيه إياها فيخرج يتأبطها ناراً فقالوا يا رسول فلم تعطيهم؟ قال: يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل وأكثر هؤلاء السائلين الملحين لما هم فيه من الحال لو لم يجابوا لاضطرب إيمانهم كما أن السائلين في الحياة كانوا كذلك وفيهم من أجيب وأمر بالخروج من المدينة فهذا القدر إذا وقع يكون كرامة لصاحب القبر أما أنه يدل على حسن حال السائل فلا فرق بين هذا وهذا انتهى.

وهذا الحديث على تقدير ثبوت صحته لا يدل على ما يتوهمه هذا الملحد غاية ما فيه أنه سأل النبي ﷺ أن يستسقي لأمته فأمره أن يأتي عمر فيأمره أن يخرج يستسقي بالناس فكان المستسقي بالناس عمر لا رسول الله ﷺ، فتبين من هذا أنه لا تطلب السقيا إلا من الحي بدعائه لا من الميت لأمره ﷺ بذلك وخروج عمر بالصحابة يستسقون فسقوا والله أعلم.

## فصـل

**قال الملحد:** (وأخرج البيهقي، والحاكم، والطبراني في الصغير، وأبو نعيم، وابن عساكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال يا رب: ـ أسألك بحق محمد لما غفرت لي»، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً؟ قال: لأنك يا رب لما خلقتني بيدك، ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوبا «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله تعالى: صدقت يا آدم إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه قد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك).

**والجواب أن يقال:** ـ هذا حديث ضعيف بل موضوع، فلا يعتمد عليه ولا يعول عليه، قال الذهبي في الميزان: عبد الله بن مسلم أبو الحارث الفهري، عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم[1] خبراً

(١) وقع في الميزان ٢/٥٠٤ «مسلم» وهو خطأ.

باطلاً فيه يا آدم لولا محمد ماخلقناك رواه البيهقي في «دلائل النبوة».

قال في «مجمع الزوائد»: رواه الطبراني في الأوسط والصغير، وفيه من لا أعرفهم، انتهى.

وذكر الحافظ ابن عبد الهادي عن الإمام مالك رضي الله عنه أنه قال فيه: اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يحدثك عن أبيه عن نوح.

وقال الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: سأل رجل عبد الرحمن بن زيد بن أسلم حدثك أبوك عن أبيه عن جده أن سفينة نوح طافت بالبيت، وصلت ركعتين؟ قال نعم.

وقال ابن خزيمة عبد الرحمن بن زيد ليس ممن يحتج أهل العلم بحديثه.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني: حدّث عن أبيه لا شيء.

وقال أيضاً في الصارم المنكي: وإني لأتعجب منه كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل، وفيه قول الله لآدم: «ولولا محمد ما خلقتك» مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبد الرحمن بن زيد

صحيحاً بل هو مفتعل على عبد الرحمن كما سنبينه، ولوكان صحيحاً إلى عبد الرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به، لأن عبد الرحمن في طريقه. وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه، وتناقض تناقضاً فاحشاً كما عرف له ذلك في غير موضع، فإنه قال في كتاب (الضعفاء) بعد أن ذكر عبد الرحمن منهم، وقال: ما حكيت عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا تخفى على من تأملها من أهل الصنعة، أن الحمل فيها عليه. قال في آخر الكتاب: ـ فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم، لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة، فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به، فإن الجرح لا استحله تقليداً، والذي أختاره لصاحب هذا الشأن أن لا يكتب حديثاً واحداً من هؤلاء الذين سميتهم، فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين» هذا كله كلام الحاكم أبي عبد الله صاحب المستدرك، وهو متضمن أن عبد الرحمن بن زيد قد ظهر له جرحه بالدليل، وأن الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ «من حدث بحديث وهو يرى[1] أنه كذب فهو أحد الكاذبين» انتهى.

---

(١) في الأصل، وطبعة الرياض «يروى». قال النووي في شرح مسلم على قوله «يرى»: ـ ضبطناه «يُرى» بضم الياء «والكاذبين» بكسر الباء، وفتح النون على الجمع، وهذا هو المشهور في اللفظتين.

ثم ذكر النووي وجهاً آخر بفتح الباء وكسر النون على التثنية. ثم قال: ـ

فتبين من كلام العلماء حملة السنة، وأهل الجرح والتعديل الذين حفظ الله بهم الدين عن تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الزائفين أن هذا الحديث موضوع مكذوب لا يعتمد عليه، وأقل أحواله أن يكون ضعيفاً، ولا نقول على رسول الله ﷺ حديثاً لا نجزم بصحته وثبوته، وإن كان قد صححه الحاكم فالجرح[1] مقدم على التعديل، مع أنه قد قال في عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ما قال[2]، فنأخذ بقوله مع أقوال أئمة هذا الشأن، ولا نأخذ بغلطه وخطئه فيما أخطأ فيه[3].

= وذكر بعض الأئمة جواز فتح الياء من «يُرى» وهو ظاهر حسن، فأما من ضم الياء فمعناه يظن. وأما من فتحها فظاهر ومعناه وهو يعلم... إلخ اهـ ١/٦٤.

(١) في طبعة الرياض «الجراح».

(٢) ويضاف إلى ذلك أن الحاكم رحمه الله تعالى متساهل في التصحيح غاية التساهل. والحديث الذي بين عينيك من أوضح الأدلة على ذلك. لا سيما في كتابه «المستدرك» قال الذهبي في «التذكرة» مترجماً للحاكم: - «... ولا ريب أن في المستدرك أحاديث كثيرة ليست على شرط الصحة بل فيه أحاديث موضوعة شان المستدرك بإخراجها فيه...»، ثم قال الذهبي: - «... وليته لم يصنف المستدرك فإنه غضّ من فضائله بسوء تصرفه».

وذكر شيخ الإسلام أبو العباس بن تيمية كلاماً حسناً بديعاً عن تصحيح الحاكم في المجلد الثاني والعشرين من مجموع الفتاوى قال في آخره: - «... وكثيراً ما يصحح الحاكم أحاديث يجزم بأنها موضوعة لا أصل لها...».

(٣) قال شيخ الإسلام مبيناً وضع هذا الحديث في ردّه على البكري: - =

إذا عرفت هذا وتحققته فالصحيح المأثور عن أئمة التفسير على قوله تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [البقرة ٣٧] أن هذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف - ٢٣] وهذا مروي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي العالية، والربيع بن أنس، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرضي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن زيد. وعن ابن عباس قال علم شأن الحج. وعبيد بن عمير أنه قال: قال آدم: «يا رب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته عليّ قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟» قال: - بل كتبته عليك قبل أن أخلقك. قال: - فكما كتبته علي فاغفر لي. قال: فذلك قوله: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ ﴾ [البقرة - ٣٧].

وعن ابن عباس قال آدم عليه السلام: ألم تخلقني بيدك؟ قيل له بلى. ونفخت في من روحك؟ قيل بلى. وعطست،

---

= «. . . وأيضاً فلو كان آدم قد قال هذا لكانت أمة محمد أحق به منه، بل كان الأنبياء من ذريته أحق به، وقد علم كل عالم بالآثار أن النبي ﷺ لم يأمر أمته به، ولا نقل عن أحدٍ من الصحابة الأخيار، ولا نقله أحد من العلماء الأبرار.

فعلم أنه من أكاذيب أهل الوضع والاختلاق الذين وضعوا من الكذب أكثر مما بأيدي المسلمين من التصحيح لكن الله فرق بين الحق والباطل بأهل النقد العارفين بالنقل علماء التعديل والجرح» اهـ ص ١٢.

فقلت: - يرحمك الله. وسبق رحمتك غضبك؟ قيل بلى. وكتبت علي أن أعمل هذا؟ قيل له بلى. قال: أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم. وكذا رواه العوفي، وسعيد بن جبير، وسعيد بن معبد. ورواه الحاكم في مستدركه إلى ابن عباس. وروى بن أبي حاتم حدثنا مرفوعاً شبيهاً بهذا.

وعن مجاهد قال: الكلمات (اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الراحمين، اللهم لا إله إلا أنت، سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم) هذا ما عليه المفسرون، لا ما قاله هذا الأحمق، فإن كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره فالحجة فيما ثبت عن الصحابة، وعن سلف الأمة، وأئمتها، ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة، أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث وأئمة التصحيح والترجيح انتهى.

**وأما قول هذا الملحد:** (قال في المواهب اللدنية: - روي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش، وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد ﷺ مقروناً باسمه تعالى، فقال: يا رب هذا محمد من هو؟! قال الله: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك. فقال: - يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد. فنودي يا آدم لو تشفعت إلينا بمحمد

في أهل السماوات والأرض لشفعناك).

**فالجواب أن نقول:** هذا من نمط ما قبله من الموضوعات المكذوبات التي لا أصل لها في الكتاب والسنة، ولا رواها أحد ممن يعتمد عليه من الأئمة، فلا يلتفت إليه، ولا يعول في الحكم عليه، والله أعلم.

**وأما قوله:** (ولله در من قال:

وكان لدى الفردوس في زمن الصبا
وأثواب شمل الأنس محكمة السدى
يشاهد في (عدن) ضياءً مشعشعاً
يزيد على الأنوار في الضوء والهدى
فقال: إلٰهي ما الضياء الذي أرى
جنود السماء تعشو إليه ترددا؟
فقال: نبي خيرٌ من وطيءَ الثرى
وأفضل من في الخير راح أو اغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيدا
وألبسته قبل النبيين سؤددا
وأعددته يوم القيامة شافعاً
مطاعاً إذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في إنقاذ كل موحد
ويدخله جنات عدن مخلدا

وإنّ لـه اسمـاء سميتـه بهـا
ولكنني أحببت منهـا (محمـدا)
فقـال: إلهي امنـن علي بتـوبـة
تكون على غسل الخطيئة مُسْعدا
بحرمة هـذا الاسم والزلفـة التي
خصصت بها دون الخليقة (أحمدا)
أقلني عثاري يـا إلهي فـإن لي
عدواً لعيناً جار في القصد واعتـدا
فتـاب عليـه ربـه وحمـاه مـن
جنـايـة مـا أخـطاهُ لا متعمـدا)

**والجواب ومن الله استمد الصواب: -**

أقـول لعمري مـا لهـذا حقيقـة
ولو صح هذا القول أو كان مسندا
لمـا طعن الحفـاظ فيـه وأوهنـوا
أسـانيـده حتى غـدا واهيـاً سُـدا
ولو صح هـذا في فضائـل (أحمد)
لكـان بـه الحفـاظ أولى وأسعـدا
فما كان في الفردوس (آدم) في الصبا
يشـاهد في (عـدن) ضيـاءاً ممـددا
يـزيـد على الأنـوار نـورّ ضيـائـه
(جنـود السمـاء تعشـو إليـه ترددا)

(فقال: نبي خير من وطىء الثرى
وأفضل من في الخير راح أو اغتدى)
فلم ير في الفردوس هذا ولم يقل
إلٓهي ما هذا الضياء الذي بدا
نعم كان في المعلوم أن نبينا
(محمدٌ) المعصومُ قد كان أوحدا
فليس له في الخلق حتماً مماثلاً
يماثله في الفضل والجود والندا
ولكنه ما قيل هذا لآدم
فننفي الذي ما قيل والفضلُ قد بدا
ولا قال في الفردوس يوماً لآدم
(تخيرته من قبل خلقكَ سيدا)
(وأعددته يوم القيامة شافعاً
وألبسته قبل النبيين سؤددا)
ولا قال في الفردوس يوماً لآدم
يخاطبه فيها خطاباً مؤكداً
(وإن له أسماء سميته بها
ولكنني أحببت منها محمدا)
(فقال إلٓهي أمنن علي بتوبة
تكون على غسل الخطيئة مسعدا)
(بحرمة هذا الاسم والزلفة التي
خصصت بها دون الخليقة أحمدا)

فكـل الذي قـد قال مـا صح نقله

ولا قيل في الفردوس هـذا ولا بدا

وسيدنـا المعصـوم أفضـل خلقـه

ولا شك في هذا الذي من تسودا

فكـان لعمـري سيـداً ذا جلالـة

بـبـعـثـتـه زال الـظلام وأبـعـدا

ومـات وديـن الله للنـاس واضـح

ومهيعـة قـد كـان نهجـاً معبـدا

وغـادر في أتباعـه النـور فـاهتـدوا

فكانوا على هذا الضياء وفي الهدى

فكـان لهم يـوم القيـامـة شـافعـاً

لإخلاصهم في الدين إذ كان أحمدا

وأعـداؤه في ظلمة الكفـر والهـوى

قد انهمكوا في الغي والجهل والردى

فليس لهم يـوم القيـامـة شـافعـاً

لإشـراكهم جـهـلاً وإلا تعـمـدا

فـدع ذا ولا يغـررك ألـوان وشيـه

فليت لعمـرو الله محكمـة السـدى

فذاك من الموضوع إذ كان لم يكن

رواه عن الأعـلام من كـان سيـدا

فسيـدنـا المعصـوم أكمـل خلقـه

وأكـرمهم بيتـاً ونفسـاً ومحتـداً

وإن لـه فـضـلاً عـن الـنـاس كـلهـم
يـزيد على هـاذي الأقاويـل مسنـدا
رواه عن المعصـوم حفـاظ دينـه
ومنهم بـه كـانـوا أحق وأسعـدا
وأعـظم ممـا قـالـه الكسم والـذي
روى عنه في المعصوم دراً منضدا
ففيما روى الحفاظ في حق (أحمد)
من الفضل ما يغني أولي الدين والهدى
عن الكذب الموضوع والحقُّ واضحٌ
وإن لم يَرَ ذا الحق من كان أرمدا
وخال سفاهـا أن مـا قـال فـريـة
مـجـاوزة للحـد أهـدى وأرشـدا
لعمري لقد أخطأ من الحق مهيعاً
سـويـاً سميـاً مستقيمـاً ممهـدا
وأمَّ طـريقـاً مـظلمـاً غـيـر نـاصـع
ولا مستقيم قـد غـلا فيـه واعتـدا
لعمـري لقـد أعـطاه ربي فضـائـلاً
وخص بهـا الرحمن فضـلاً محمـدا
فأعطي لـواء الحمد والكوثر الذي
حبـاه إلـه العـرش حقـاً وأصعـدا
وإن لـه حـوضـاً هنيئـاً شـرابـه
بـه يشـرب السنيّ كـأسـاً مـنـددا

وأحلى من الشهد المصفى عذوبة

وعنه ينحى من عتا وتمردا

ويشفع في يوم القيامة للورى

ليحكم بين الخلق ذو العرش بالهدى

ويقعده سبحانه فوق عرشه

كما جاء هذا في الأحاديث مسندا

فيغبطه كل الخلائق جملة

بما قد حباه الله فضلاً واصعدا

وقد خصه المولى بما لم نحط به

ونحصيه علماً أو حساباً محددا

فدع عنك ما قال الغلاة وإن رووا

بذلك أخباراً ودرأ منضدا

فأخبارهم موضوعة ونظامهم

لعمري إلهي باطل واهي السدى

# فصـــل

**قال الملحد:** (وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ «من خرج من بيته إلى الصلاة فقال: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وأسألك بحق ممشاي هذا، إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا رياء، ولا سمعة، وإنما خرجت اتقاء سخطك، وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تعيذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. أقبل الله عليه بوجهه، واستغفر له سبعون ألف ملك» رواه ابن ماجة ورواه ابن السني بإسناد صحيح عن بلال).

**والجواب أن يقال:** هذا الحديث ضعيف رواه عطية العوفي وفيه ضعف.

**قال شيخ الإسلام:** ولكن بتقدير ثبوته، هو من هذا الباب، فإن حق السائلين عليه سبحانه أن يجيبهم، وحق المطيعين له أن يثيبهم، فالسؤال له، والطاعة له سبب لحصول إجابته وإثابته، فهو من التوسل به، والتوجه، والتسبب به، ولو قدر أنه قَسَمٌ لكان قسماً بما هو من صفاته، فإن إجابته وإثابته

من أفعاله وأقواله، فصار هذا كقوله ﷺ في الحديث الصحيح «أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك»[1]. والإستعاذة لا تصح بمخلوق، كما نص عليه الإمام أحمد وغيره من الأئمة إلى آخر كلامه رحمه الله.

فتبين من كلام الشيخ أن السؤال بحق السائلين هو إجابتهم، وسؤاله بحق الطائعين إثابتهم، فيكون السائل بهذين سائلاً بصفات الله، فإن الإجابة والإثابة من أفعاله وأقواله سبحانه وتعالى، وسؤال الله بأسمائه وصفاته والتوسل بها ثابت بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [ الأعراف - ١٨٠ ] وفي الحديث عن عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: «دعا[2] الله باسمه الأعظم، الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب» رواه الترمذي وأبو داود[3] إلى غير ذلك من الأحاديث، وكذلك

---

(١) أخرجه مسلم عن عائشة - كتاب الصلاة - ١/٣٥٢.

(٢) في طبعة الرياض «ادع».

(٣) أخرجه أبو داود ٢/١٦٦ عن مسدد حدثنا يحيى عن مالك بن مغول حدثنا عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: - «اللهم إني أسألك أني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»، فقال: «لقد سألت الله بالاسم الذي إذا =

التوسل بالأعمال الصالحة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة. كما روي عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر، فمالوا إلى غار في الجبل، فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم، فقال بعضهم لبعض: ـ انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها» الحديث متفق عليه.

فليس في حديث أبي سعيد الخدري ما يدل على ما ادعوه من التوسل بذوات الأنبياء والأولياء والصالحين، فضلاً عن دعائهم والإستغاثة بهم والإلتجاء إليهم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

**وأما قوله**: (**ومما جاء عنه ﷺ من التوسل قوله «اغفر لأمي فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلي»**) إلى آخره.

---

= سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب».

حدثنا عبد الرحمن بن خالد الرقي حدثنا زيد بن الحباب حدثنا مالك بن مغول ـ بهذا الحديث ـ قال فيه: «لقد سأل الله عزّ وجلّ باسمه الأعظم»، وأخرجه الترمذي في الدعوات من جامعه ٥/٥١٥ من جهة زيد بن الحباب عن زهير بن معاوية عن مالك.. به بلفظ أبي داود الثاني إلا أنه قال: ـ «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم...».

وأخرجه ابن ماجه ٢/١٢٦٧ من جهة مالك.. به وفيه «**اللهم إني** أسألك بأنك أنت الله الأحد الصمد...».

وبهذا اللفظ أخرجه أحمد ٥/٣٦٠.

**فالجواب**: أن هذا من نمط ما قبله، وقد تقدم الكلام على جنسه، وفي سند روح بن صلاح المصري ضعفه ابن عدي. وتصحيح الحاكم لن[1] يجدي شيئاً[2]، وقد تقدم عن أهل العلم أنه لما جمع المستدرك على الشيخين ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة بل والموضوعة جملة كثيرة، وقد روى فيه لجماعة من المجروحين في كتابه في الضعفاء انتهى.

وأما رواية الطبراني له، فيقال لهذا الملحد: ـ كم في الطبراني من حديث يخالف هذا ويدل على وجوب التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته وإنابة الوجوه إليه؟ فما أعمى عينك عنها! هل هناك شيء أعماها سوى الجهل والهوى؟ وقد تكلم

---

(١) في الأصل، وطبعة الرياض «لان».

(٢) هذا الحديث رواه الطبراني في الكبير ٢٤/٣٥١ ـ ٣٥٢، والأوسط من جهة روح بن صلاح ثنا سفيان الثوري عن عاصم الأحول عن أنس قال: لما ماتت فاطمة بنت أسد أم علي بن أبي طالب دخل عليها رسول الله ﷺ فجلس عند رأسها فقال: ـ «رحمك الله يا أمي. . .»، وذكر القصة.

قال الطبراني: ـ لم يروه عن عاصم إلا الثوري، تفرد به روح بن صلاح اهـ.

وقال الهيثمي في المجمع ٩/٢٥٧: ـ وفيه روح بن صلاح وثقه ابن حبان والحاكم وفيه ضعف. وبقية رجاله رجال الصحيح ا. هـ فتبين أن الحديث معلول بروح لا وعبرة بتوثيق ابن حبان والحاكم لما علم من تساهلهما لذا عقب الهيثمي كلامهما بحكمه في الرجل فقال: «وفيه ضعف». وإضافة إلى ضعفه فإنه قد تفرد به من بين أصحاب الثوري.

في هذا الحديث غير واحد.

وقال شيخ الإسلام: قد بالغت في البحث والإستقصاء فما وجدت أحداً قال بجوازه، إلّا ابن عبد السلام في حق نبينا عليه أفضل الصلاة والسلام. أترى هذا الحديث خفي على علماء الأمة لم يعلموا ما دل عليه، ثم لو سلما صحته أو حسنه ففيه ما مر في حديث الأعمى أن المراد بدعاء نبيك إلى آخره، وأي وسيلة بذوات الأنبياء لمن عصى أمرهم، وخرج عما جاؤوا به من التوحيد والشرع.

قال شيخ الإسلام: فإذا قال الداعي: أسألك بحق فلان وفلان لم يدع له، وهو لم يسأله باتباعه لذلك الشخص أو محبته وطاعته، بل بنفس ذاته، وما جعله له ربه من الكرامة لم يكن قد سأله بسبب يوجب المطلوب انتهى.

## فصــل

**قال الملحد:** (وفي الأذكار للنووي ما نصه: ـ روينا في كتاب ابن السني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد يا عباد الله احبسوا يا عباد الله احبسوا، فإن لله[1] عزَّ وجلَّ في الأرض حاضراً سيحبسه»).

**والجواب أن يقال:** هذا حديث في مقال، فإن فيه ابن حسان وهو ضعيف قال الذهبي في الميزان[2] معروف ابن حسان أبو معاذ السمرقندي عن عمر[3] بن ذر قال ابن عدي: منكر الحديث قد روى عن عمر[4] بن ذر نسخة طويلة كلها غير محفوظة.

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «الله» وما أثبت من الأذكار للنووي ١٥٠/٥ ـ بشرح ابن علان ـ.
(٢) في الأصل، وطبعة الرياض: «أو معروف».
(٣) سقطت «عن» من طبعة الرياض.
(٤) سقطت «عن» من النسختين، وما أثبت من «الميزان» ١٤٣/٤.

وعلى تقدير صحته إنما يفيد نداء حاضر[1]، كنداء زيد عمرواً مثلاً ليمسك دابة أو ليرجعها، أو ليناوله ماء أو طعاماً، أو نحو ذلك، وهذا مما لا نزاع فيه، غاية ما في الباب أن عمروا مثلاً محسوس، وهؤلاء لا يرون لأنهم إما مسلمو الجن أو ملائكة مكلمون، لا نداء على شيء لا[2] يقدر عليه إلاّ الله تعالى. وأين هذا من الاستغاثة بأصحاب القبور من الأولياء والمشائخ؟ والمقصود أنه ليس في الحديث إلا نداء الأحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الأحياء عليه وذلك لا ننكره.

**وأما قول هذا الملحد**: (وأما ما تمسك به الوهابية من قوله لابن عباس: ـ «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جف القلم بما أنت لاق، فلو جهدت الخليقة على أن تنفعك لم تنفعك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو جهدت على أن تضرك لم تضرك إلا بشيء كتبه الله عليك» فلا يدل على عدم التوسل، لأن المتوسل إلى الله برسوله ما سأل إلا الله ولا استعان إلا به، مع اعتقاده بأن النفع والضر صار منه سبحانه وتعالى).

**فالجواب أن نقول**: نعم هذه كانت حال (الوهابية) فإنهم كانوا يتمسكون بكتاب الله، وبما صح الخبر به عن رسول الله ﷺ، ويعملون به، ويتركون ما خالف الكتاب والسنة،

(1) في النسختين «حاظر».
(2) سقطت «لا» من النسختين.

ويعملون بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، ولا يحدثون في دين الله ما لم يشرعه الله ورسوله، فهم بخلاف من نبذ كتاب الله وسنة رسوله وراء ظهورهم، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، ولو جهد أعداء الله ممن خالف الوهابية أن يستدركوا على الوهابية في أصول الدين وفروعه أنهم استدلوا على ما يذهبون إليه بحديث موضوع أو ضعيف لا يصح الاحتجاج به لما وجدو إلى ذلك سبيلاً، فضلاً من الله ونعمة والله ذو الفضل العظيم.

وهذا الحديث خرجه الترمذي من حديث حنش الصنعاني عن ابن عباس، وقال: حديث حسن صحيح، وخرجه الإمام أحمد من حديث حنش الصنعاني، وقد روى هذا الحديث عن ابن عباس من طرق كثيرة من رواية ابنه علي، ومولاه عكرمة، وعطاء بن أبي رباح وعمرو بن دينار، وعبيد الله بن عبد الله، وعمر مولى عفرة، وابن أبي مليكة وغيرهم.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى على هذا الحديث: وقوله ﷺ «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» هذا منتزع من قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[الفاتحة ـ ٥] فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة كما روي عن النبي ﷺ من حديث النعمان بن بشير وتلا قوله ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر ـ ٦٠] خرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي

والنسائي وابن ماجه. وخرج الترمذي من حديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ (الدعاء مخ العبادة). فتضمن هذا الكلام أن يسأل الله عزَّ وجلَّ ولا يسأل غيره، وأن يستعان بالله دون غيره، وأما السؤال فقد أمر الله بسؤاله، فقال ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [ النساء: آية ٣٢ ] وفي الترمذي عن ابن مسعود مرفوعاً: «اسألوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل» وفيه أيضاً عن أبي هريرة مرفوعاً «من لم يسأل الله يغضب عليه»، وفي حديث آخر: «يسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأل شسعا نعله إذا انقطع».

وفي النهي عن مسألة المخلوقين أحاديث كثيرة صحيحة، وقد بايع النبي ﷺ جماعة من أصحابه على أن لا يسألوا الناس شيئاً منهم أبو بكر الصديق، وأبو ذر، وثوبان، وكان أحدهم يسقط السوط وخطام ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله إياه، وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود «أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن بني فلان أغاروا علي فذهبوا بابني وإبلي». فقال النبي ﷺ: «إن آل محمد كذا وكذا أهل بيت ما لهم مُدّ من طعام أو صاع، فاسأل الله عزَّ وجلَّ»، فرجع إلى امرأته فقالت مالك؟ فأخبرها فقالت: نعم ما رد عليك، فما لبث أن رد الله عليه إبله وابنه أوفر ما كانت. فأتى النبي ﷺ فأخبره فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وأمر الناس بمسألة الله عزَّ وجلَّ والرغبة إليه وقرأ

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق ٢ - ٣].

وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ: أن الله عزَّ وجلَّ يقول: «هل من داع فاستجيب له دعاءه؟ هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من مستغفر فاغفر له؟» وخرج المحاملي وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال الله تعالى: «من ذا الذي دعاني فلم أجبه، ويسألني فلم أعطه، واستغفرني فلم أغفر له، وأنا أرحم الراحمين»؟ انتهى.

**وأما قوله**: (فلا يدل على عدم التوسل، لأن المتوسل إلى الله برسوله ما سأل إلا الله، ولا استعان إلا به، مع اعتقاده بأن النفع والضر صادر منه سبحانه وتعالى).

**فالجواب أن نقول**: أما دعواه أن المتوسل إلى الله برسوله ما سأل إلاّ الله ولا استعان إلاّ به فمن[1] أقبح الكلام، وأبطل الباطل، وأمحل المحال، وهو مصادم لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة - ٥] فإن تقديم المفعول وهو «إياك» وتكريره للاهتمام والحصر، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نتوكل إلا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، فالأول التبرىء من الشرك، والثاني التبرىء من الحول والقوة، فقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾ أي إياك نوحد، ومعناه أنك تعاهدُ ربَّكَ أن لا تشرك في عبادته أحداً، لا ملكاً ولا نبياً

(١) في الأصل وطبعة الرياض «من».

ولا غيرهما، فإن السؤال هو دعاؤه والرغبة إليه، والدعاء هو العبادة، وقوله: ﴿ إياك نستعين ﴾ هذا فيه سؤال الله الإعانة وهو التوكل والتبريء من الحول والقوة، وفرق بين سؤال الله وسؤاله برسوله، ومن قال: إن المتوسل إلى الله برسوله ما سأل إلا الله، ولا استعان إلا به لم يفرق بين الخالق والمخلوق، والمسؤول والسائل، وهذا هو حقيقة مذهب الإتحادية، وكفى بسلوك طريق أهل الوحدة ضلالاً وخروجاً عن الصراط المستقيم.

وإن كان أراد هذا الملحد أن المتوسل إلى الله برسوله ما سأل ولا استعان إلا بالله، يعني أن المسؤول والمستعان به في الحقيقة هو الله، وأما النبي ﷺ فهو واسطة بينه وبين السائل المستعين، فهو سبحانه وتعالى المسؤول المستعان به حقيقة منه بالخلق والإيجاد، والنبي ﷺ مستعان مسؤول منه بالكسب والتسبب العادي، فإن كان أراد هذا فهذا هو فعل المشركين الذين بعث الله فيهم رسوله ﷺ، فإنهم كانوا يعلمون أن الله تعالى هو الخالق الموجد النافع الضار، وأما الأصنام وغيرهم من الملائكة والأولياء والصالحين، فيقولون إنها أسباب ووسائل عادية، فمن أجل ذلك كانوا يدعونهم ويستغيثون بهم وينحرون لهم وينذرون لهم، والدعاء والنذر والذبح والإستغاثة والسؤال والاستعانة والاستعاذة كلها من أقسام العبادة، وإذا حملتم لفظ الدعاء والإستغاثة والاستعانة والنحر والنذر التي هي من أقسام العبادة على معناها المجازي، فليحمل لفظ العبادة الواقع في كلام المشركين

الأولين الذي حكا الله تعالى عنهم حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: آية ٣] فما وجه الفرق وأنى ذلك؟.

فإذا عرفت هذا فاعلم أن سؤال الله عزَّ وجلَّ دون خلقه هو المتعين، لأن السؤال فيه إظهار الذل من السائل والمسكنة والحاجة والإفتقار، وفيه الاعتراف بقدر المسؤول على دفع الضر ونيل المطلوب وجلب المنافع ودفع المضار، لا يصلح الذل والإفتقار إلا لله وحده، لأنه حقيقة العبادة.

وكان الإمام أحمد رحمه الله يدعو ويقول: «اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك، فصنه عن المسألة لغيرك، ولا يقدر على كشف الضر وجلب النفع سواك» كما قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [يونس - ١٠٧] وقال: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ [فاطر - ٢] والله تعالى يحب أن يسأل ويرغب إليه في الحوائج، ويلح في سؤاله ودعائه، ويغضب على من لا يسأله، ويستدعي من عباده سؤله، وهو قادر على إعطاء خلقه كلهم سؤلهم من غير أن ينقص من ملكه شيء، والمخلوق بخلاف ذلك كله يكره أن يسأل، ويحب أن لا يسأل لعجزه وفقره وحاجته، ولهذا قال وهب بن منبه لرجل كان يأتي الملوك: «ويحك تأتي من يغلق عنك بابه، ويظهر لك فقره،

ويواري عنك غناه، وتدع من يفتح لك بابه نصف الليل ونصف النهار، ويظهر لك غناه، ويقول: ادعني استجب لك!» وقال طاوس لعطاء: «إياك أن تطلب حوائجك إلى من أغلق دونك بابه، ويجعل دونها حجابه، وعليك بمن بابه مفتوح إلى يوم القيامة، أَمَرَكَ أن تسأله، ووعدك أن يجيبك»، وأما الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ دون غيره من الخلق، فلأن العبد عاجز عن الاستقلال بجلب مصالحه ودفع مضاره، ولا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عزَّ وجلَّ، فمن أعانه الله فهو المعان، ومن خذله فهو المخذول، وهذا تحقيق معنى قول «لا حول ولا قوة إلا بالله» فإن المعنى لا تَحَوُّلَ للعبد من حال إلى حال، ولا قوة له على ذلك إلا بالله، وهذه كلمة عظيمة، وهي كنز من كنوز الجنة، فالعبد محتاج إلى الاستعانة بالله في فعل المأمورات، وترك المحظورات، والصبر على المقدرات كلها في الدنيا وعند الموت وبعده من أهوال البرزخ ويوم القيامة، ولا يقدر على ذلك إلا الله عزَّ وجلَّ، فمن حقق الاستعانة عليه في ذلك كله أعانه، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز»، ومن ترك الاستعانة بالله واستعان بغيره وكله الله إلى من استعان به فصار مخذولاً. كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز «لا تستعن بغير الله فيكلك الله إليه» ومن كلام بعض السلف: «يا رب عجبت لمن يعرفك كيف يستعين لغيرك؟» انتهى.

## فصــل

**قال الملحد**: (الباب الثالث: في أقوال العلماء العاملين الذين هم أئمة الدين بالتوسل بـالأنبياء والصالحين، وفي الخصائص: واختص أيضاً بجواز القسم به على الله الكريم المنعم، واختص ﷺ بجواز أن يُقْسم على الله به، وفي المواهب اللدنية قال ابن عبد السلام: ـ وهذا ينبغي أن يكون مقصوراً على النبي ﷺ، لأنه سيد ولد آدم، وأن لا يقسم على الله بغيره من الملائكة والأنبياء والأولياء لأنهم ليسوا في درجته، وأن يكون هذا مما اختص به لعلو درجته ومرتبته انتهى).

**والجواب أن يقال**: إن مسألة التوسل بـالأنبياء والصالحين قد نص على المنع منها جمهور أهل العلم، بل ذكر الشيخ في رده على ابن البكري أنه لا يعلم قائلاً بجوازه إلا ابن عبد السلام في حق النبي ﷺ، ولم يجزم بذلك بل علق القول به على ثبوت حديث الأعمى وصحته، وفيه من لا

يحتج به عند أهل الحديث[1]، ولم يجز التوسل بالنبي ﷺ ولا بالأنبياء والصالحين أحد ممن يعتد به ويقتدى به كالأئمة الأربعة وأمثالهم من أهل العلم والحديث. قال شيخ الإسلام: بل لو أقسم على الله ببعض خلقه من الأنبياء والملائكة وغيرهم لنهي عن ذلك، ولو لم يكن عند قبره، كما لا يقسم بمخلوق مطلقاً، وهذا القسم منهي عنه غير منعقد باتفاق الأئمة، وهل هو نهي تحريم أو تنزيه على قولين: أصحهما أنه نهي تحريم، ولم ينازع العلماء إلا في الحلف بالنبي ﷺ خاصة، فإن فيه قولين في مذهب أحمد، وبعضُ أصحابه كابن عقيل طرد[2] الخلاف في الحلف بسائر الأنبياء، لكن القول الذي عليه جمهور الأئمة كمالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم أنه لا ينعقد اليمين بمخلوق البتة، ولا يقسم بمخلوق البتة، وهذا هو الصواب، والإقسام على الله بنبيه محمد ﷺ ينبني على هذا الأصل، ففي هذا النزاع، وقد نقل عن أحمد في التوسل بالنبي ﷺ في منسك المروذي ما يناسب قوله بانعقاد اليمين، لكن الصحيح أنه لا تنعقد اليمين به فكذلك هذا.

**ثم قال هذا الملحد**: وخالف في ذلك بعضهم، فجوز القسم على الله تعالى بكل نبي، بل جوّز بعضهم التوسل

---

(١) سبق الكلام على حديث الأعمى، وبيان أنه حديث صحيح، إلا أنه لا دلالة فيه على ما ادعاه القبوريون.

(٢) في طبعة الرياض «لطرده».

بالصالحين، حتى قال الأستاذ أبو العباس المرسي الشاذلي: من له حاجة إلى الله تعالى فليتوسل في قضائها بأبي حامد الغزالي).

**فالواجب أن نقول**: لا يجوز الإقسام على الله بخلقه لا الأنبياء ولا غيرهم باتفاق الأئمة، كما حكاه شيخ الإسلام آنفاً، وحكى الخلاف في النبي ﷺ خاصة، قال: وأما غيره فما علمت بين الأمة فيه نزاعاً، بل قد صرح العلماء بالنهي عن ذلك، واتفقوا على أن الله يُسْأل ويقسم عليه بأسمائه وصفاته كما تقدم بيانه مراراً.

**وأما قول الشاذلي**: من كانت له حاجة إلى الله فليتوسل في قضائها بأبي حامد الغزالي. **فأقول**: قد كان من المعلوم أن الشاذلي هذا من الغلاة، وليس من أهل العلم المعروفين بالصلاح والدين، ولا من حملة سنة سيد المرسلين، بل من الدعاة إلى عبادة الأولياء والصالحين، فلا حجة في قوله. وقد تكلم العلماء في أبي حامد الغزالي، فقال الفقيه ابن العربي المالكي: شيخنا أبو حامد دخل في جوف الفلسفة ثم أراد أن يخرج فلم يحسن الخروج. هذا كلام تلميذه وهو من أعرف الناس به، وقال أبو بكر الطرطوشي: شحن أبو حامد كتاب الإحياء بالكذب على رسول الله ﷺ، وما على بسيط الأرض أكذب منه، شبكه بمذاهب الفلسفة ومعاني رسائل إخوان

الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة، زعموا أن المعجزات حيل ومخاريف[1] انتهى.

فإذا كان هذا كلام العلماء في أبي حامد، مع أنه لو كان سالماً من القول المذكور، وكان في درجة أحد من الصحابة أو أفاضل التابعين والأئمة المُقَلَّدين لم يكن التوسل به جائزاً بعد مماته، وأنه يقضي حاجة من سأله قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وقد منع العلماء ذلك في حق جميع الأنبياء، فضلاً عمن دونهم، ووقع النزاع في الحلف بنبينا ﷺ على القول بصحة الحديث، ولا يصح[2]، فكيف الحال بالشاذلي الذي يدعو الناس إلى التوسل إلى الله في قضاء حوائجهم بأبي حامد وقد عرفت ما يعنون هؤلاء الغلاة بالتوسل أنه دعاء الأموات والغائبين، والالتجاء إليهم في طلب الحوائج، وكشف الكربات، وإغاثة اللهفات، والإستغاثة بهم في جميع الطلبات، وقد ذكر شيخ الإسلام أن أبا حامد الغزالي رجع عن مقالاته، وندم على هفوات ورطاته، ومات والبخاري على صدره، فيكون المقصود بالكلام رَدّ ما في كلامه من الباطل، وإبطال قول من زعم أن من كانت له حاجة إلى الله فليتوسل في قضائها بأبي حامد، لأن العلماء قد منعوا من ذلك في حق من هو أفضل منه، فكيف به وبأمثاله.

---

(١) في طبعة الرياض «مخاريق».
(٢) تقدم الكلام على الحديث.

## فصــل

**قال الملحد:** (قال السبكي: ويحسن التوسل والاستغاثة والتشفع بالنبي إلى ربه، ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك، وعدل عن الصراط المستقيم، وابتدع ما لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثلة. انتهى).

**والجواب أن يقال** قد تقدم الكلام على التوسل، وما يراد به في لغة الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين، وما يراد به في عرف هؤلاء الغلاة المنحرفين، الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً، ويسعون في الأرض فساداً، والله لا يحب المفسدين.

وأما الاستغاثة والتشفع بالنبي إلى ربه، فروى الطبراني أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذي المؤمنين، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه قوموا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث

بالله»[1] فقوله: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق لأنه ﷺ يقدر على كف أذاه. وأما قوله: إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله. فيه النص على أنه لا يستغاث بالنبي ﷺ ولا من دونه، كره ﷺ أن يستعمل هذا اللفظ في حقه، وإن كان مما يقدر عليه في حياته حماية لجناب التوحيد، وسداً لذرائع الشرك، وأدباً وتواضعاً لربه، وتحذيراً للأمة من وسائل الشرك في الأقوال والأفعال، فإذا كان هذا فيما يقدر عليه ﷺ في حياته، فكيف يجوز أن يستغاث به بعد وفاته، ويطلب منه أموراً لا يقدر عليها إلا الله عز وجل، ومن المعلوم بالضرورة أن الإستغاثة هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة كالاستنصار: طلب النصر، والاستعانة: طلب العون، وقال أبو عبد الله الحليمي: الغياث هو المغيث، وأكثر ما يقال: غياث المستغيثين، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيبهم ومخلصهم وقال أبو يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق وقال الشيخ أبو عبد القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون وفي دعاء موسى عليه السلام «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله» ولما كان هذا المعنى هو المفهوم عند الإطلاق وكان مختصاً بالله

(1) تقدم الكلام على هذا الحديث في «الردّ على القبوريين».

صح إطلاق نفيه عما سواه، ولهذا لا يعرف عن أحد من أئمة المسلمين أنه جوز مطلق الاستغاثة بغير الله، وكذلك الاستعانة أيضاً منها ما لا يصح إلا لله[1] وهي المشار إليها بقوله: ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ فإنه لا يعين على العبادة الإعانة المطلقة إلا الله.

وقال ابن القيم رحمه الله: ومن أنواعه ـ أي الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى والإستغاثة بهم، وهو أصل شرك العالم، فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً لمن استغاث به وسأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه، والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه، وإنما السبب كمال التوحيد، فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن، وهو بمنزلة من استعان في حاجة بما يمنع حصولها، وهذه حالة كل مشرك، فجمعوا بين الشرك بالمعبود، وتغيير دينه، ومعاداة أهل التوحيد، ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك، أولياءه[2] الموحدين بذمهم وعيبهم ومعاداتهم، وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص، إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا، وأنهم أمروهم به، وأنهم يوالونهم عليه، وهؤلاء هم أعداء الرسل في كل

(١) في النسختين «الله».
(٢) في الأصل «أولياءه».

زمان ومكان، وما أكثر المستجيبين لهم، وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جَرَّد توحيده لله، وعادى المشركين في الله، وتقرب بمقتهم إلى الله، واتخذ الله وحده وليه وإلهه ومعبوده، فجرد حبه لله، وخوفه لله، ورجاءه لله، وذله لله، وتوكله على الله، واستعانته بالله، والتجاءه إلى الله، واستغاثته بالله، وقصده لله، فهو لله، وبالله، ومع الله انتهى.

**وأما قوله**: (ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك، وعدل عن الصراط المستقيم، وابتدع ما لم يقله عالم قبله، وصار بين أهل الإسلام مثله).

**فأقول: إن هذا الكلام كلامٌ من لا يخاف الله ولا يتقيه**، فإنه قد كذب فيما قاله، وافترى وقد خاب من افترى، وأكمل الناس وأكرمهم على الله سيد ولد آدم أنكر هذا، وقال: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله، وقال ﷺ: «لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده» ولو كان عند هذا الرجل من الدين ما يزعه، ومن الحياء ما يردعه، ما فاه بهذه المخرقة، فإنه قد سبق شيخ الإسلام على ذلك الأئمة الأعلام سلفاً وخلفاً، وما خالفهم في ذلك إلا كل من لا يعتد به، ولا يعتمد عليه في الخلاف والوفاق، وقد تقدم كلام أبي عبد الله الحليمي، وكلام أبي يزيد البسطامي، وأبي عبد الله القرشي، وكلام العلماء في ذلك سلفاً وخلفاً كثير جداً لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته، وقد اشتهر وظهر عند الخاص والعام.

مِنْ عَدْلِ شيخ الإسلام وإنصافه أن ليس عنده في مسائل الفروع ميل إلا إلى ما دل عليه الكتاب والسنة، وإذا ذكر المسألة فإنه يذكر فيها مقالات الأئمة الأربعة وأصحابهم وغير أصحابهم ممن بعدهم أو قبلهم من الصحابة والتابعين وتابعيهم، ويذكر دليل كل قول وتقريره على وجه لا يكاد يوجد في الكتب المصنفة لهم، فكيف في مسائل أصول الدين التي ليس بين الأمة في مسائلها المشهورة خلاف، وإنما يخالف فيها أهل الأهواء والبدع، وهو من أعرف خلق الله بمذاهب أهل الأهواء ووقت حدوثها.

قال الإمام الذهبي في معجم شيوخه: هو شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للأمة وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه وكتابته، وخرج ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصله غيره، وبرع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه بطبع سيال وخاطر وقاد إلى مواضع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه فقل من يحفظ ما يحفظ من الحديث، مع شدة استحضاره له وقت الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، وأتقن العربية أصولاً وفروعاً، ونظر في العقليات، وعرف أقوال المتكلمين ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم،

ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذي في الله تعالى من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحفوظة، حتى أعلى الله تعالى مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكَبَتَ أعداءه، وهدى به رجالاً كثيراً[1] من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الإنقياد له غالباً وعلى طاعته، وأحيا به الشام بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم، خصوصاً في كائنة التتار، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلي، فلو حلفت بين الركن والمقام أني ما رأيت بعيني مثله، وأنه ما رآى هو مثل نفسه لما حَنِثْتُ.

فانظر إلى ما قاله هذا الإمام المنصف من أنه من أعرف خلق الله بمذاهب أهل الأهواء ووقت حدوثها، وأنه نصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأنه أوذي في الله تعالى، ومن جملتهم هذا الرجل لأنه من المخالفين، وأخيف في نصر السنة حتى أعلا الله تعالى مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له.

وهذا الرجل لو كان عند أهل العلم ممن يتقي الله لكان من جملة أهل التقوى المحبين له والداعين له. وأن الله كَبَتَ أعداءه، وهدى به رجالاً كثيراً من أهل الملل والنحل، وأن الله أحيا به الشام بل الإسلام، إلى غير ذلك مما ذكر في فضله.

(١) في طبعة الرياض «كثراً».

وهذا الرجل ـ عامله الله بعدله ـ يقول: «ولم ينكر ذلك أحد من السلف والخلف حتى جاء ابن تيمية فأنكر ذلك، وعدل عن الصراط المستقيم، وابتدع ما لم يقله عالم قبله» إلى آخر كلامه. وإنما حمله على هذا الكلام الحسد والهوى، وعدم خشية الله، والغلو الذي خرج به عن الصراط المستقيم وسلوك طريق أئمة الدين من الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين الذين لهم قدم صدق في العالمين، فشيخ الإسلام هو الذي نصر الله به السنة، وقمع به أهل البدعة، فصاروا ببدعتهم مستترين، وأعز الله به الإسلام بعد أن كاد ينثلم.

وقال الإمام محمد التافلاتي مفتي الحنفية بعد كلام له: وقد أثنى عليه جمهور معاصريه، وجمهور من تأخر عنه، وكانوا خير مناصريه، وهم ثقاة صيارفة حفاظ عرّيفهم في النقد دونه عرِّيف عكاظ، وطعن فيه بعض معاصريه بسبب أمور أشاعها مشيع لحظ نفسه، أو لأجل معاصرة التي لا ينجو من سُمِّها إلا من قد كمل في قدسه، فخلف من بعدهم مقلدهم في الطعن فتجاوز فيه الحد، ورماه بعظائم موجبة للتعزير والحد، ولو قال هذا المقلد كقول بعض السلف حين سئل عما جرى بين الإمام علي ومعاوية فقال «تلك دماء طهر الله منها سيوفنا أفلا نطهر منها ألسنتنا» لنجا من هذا العنا، وهذا الإمام تصانيفه قد ملأت طباق الثرى، واطلع عليها القاصي والداني من علماء الورى، فما وجدوا فيها عقيدة زائغة، ولا عن الحق

**وابغة**[1]، كم سل السيوف الصوارم على فرق الضلال، وكم رماهم بصواعق براهين محرقة كالجبال، تنادي عقيدته البيضاء بعقيدة السلف، ولا ينكر صحتها وأفضليتها من خلف منا ومن سلف، شهد له الأقران بالإجهاد، ومن منع له فقد خرط بكفه شوك القتاد.

وقال الإمام الحافظ بن عبد الهادي في رده على السبكي لما قال: «إن المبالغة في تعظيمه أي الرسول واجبة» فقال: إن أريد به المبالغة بحسب ما يراه كل أحد تعظيماً، حتى الحج إلى قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاده أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج الكروب، وأنه يشفع فيمن يشاء، ويدخل الجنة من يشاء، فدعوى المبالغة في هذا التعظيم مبالغة في الشرك، وانسلاخ من جملة الدين. انتهى.

ولو ذهبنا نذكر ما ذكره العلماء في مناقبه وفضائله، وما ردوا به على مخالفيه في هذه المباحث لطال الكلام.

فإذا تحققت ما ذكره أهل العلم في شيخ الإسلام تبين لك أن السبكي هو الذي خرج عن الصراط المستقيم، وخالف ما عليه الأئمة من علماء المسلمين، وأنه هو الذي ابتدع ما لم

---

(١) في الأصل «رأيقة» وفي الرياض «رأبنه».

يقله عالم قبله، فصار بافترائه وعدوانه مثلة بين أهل الإسلام، ممن له معرفة بالعلوم ومدارك الأحكام، فلا يلتفتُ إلى مفترياته عاقل، ولا ينظر في أساطيل أساطيرها فاضل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

## فصـــل

**وأما قوله**: (وروى القشيري عن معروف الكرخي أنه قال لتلامذته: إذا كانت لكم إلى الله حاجة، فاقسموا عليه بي، فإني الواسطة بينكم وبينه وذلك بحكم الوراثة عن المصطفى ﷺ انتهى).

**فالجواب**: أن هذا من الكذب المعلوم كذبه بالإضطرار عند من له معرفة بالنقل، ومقادير الأئمة الأخيار، فإن مثل هذه الحكاية الواهية الساقطة المنتنة المظلمة لا يتصور صدورها عمن هو دون معروف الكرخي فضلاً عن ذلك الزاهد الفاضل إلا من هو من أبعد الناس معرفة بحقيقة دين الإسلام، فإنه لا يقول هذا ويفتريه على أهل الإسلام والعلماء العاملين إلا أمثال هؤلاء الغلاة المنحرفين الحيارى المفتونين، فنعوذ بالله من طمس القلوب، ورين الذنوب.

**ثم قال هذا الملحد**: (وفي الفتوحات ما نصه: ـ مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ، إذ هو قطب الأقطاب، فهو ممد لجميع الناس أولاً وآخراً، فهو ممد كل

نبي وولي، سابق على ظهوره حال كونه بالغيب، وممد أيضاً لكل ولي لا حق فيوصله بذلك إلى مرتبة كماله في حال كونه موجوداً في عالم الشهادة، وفي حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة، فإن أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين، فكل نبي تقدم زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته لتلك الشريعة انتهى).

**والجواب أن نقول**: ما ذكره هذا الملحد من كلام صاحب الفتوحات كلام باطل، فإن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين إنما هو الوحي الذي نزل به الأمين من رب العالمين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: آية ١٦٣] وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [الشورى: آية ١٣] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: آية ٢٥] وقال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ﴾ [البقرة: آية ٢٥٣] وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ﴾ [الأنعام: آية ٩١] وقال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ﴾ [الأعراف: آية ١٤٥] الآية

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، فمستمد جميع الأنبياء والرسل ما أنزل الله عليهم من وحيه، فقوله: إن مستمد جميع الأنبياء والمرسلين من روح محمد ﷺ مصادم ومناف لما تقدم من الآيات، ولقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ﴾ [ هود: آية ٤٩ ] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ ﴾ [ الشورى: آية ٥٢ ] وقوله: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾ [ يوسف: اية ٣ ]

وهذا مبني على أن روح محمد ﷺ مخلوقة قبل جميع المخلوقات، وقد تقدم بطلان هذا القول، ومخالفته لصريح العقل والنقل في الكلام على ما نقله عن القسطلاني وما ذكره عن المناوي، وأن هذا القول مبتدع لم يقل به أحد من الأئمة المقتدى بهم، بل هذا مبني على مذهب الفلاسفة القائلين بأن الكتب المنزلة فيض فاض من العقل الفعال، على النفس المستعدة الفاضلة الزكية، فتصورت تلك المعاني وتشكلت في النفس بحيث يتوهمها أصواتاً تخاطبه، وربما قوي الوهم حتى يراها أشكالاً نورانية تخاطبه، وربما قوي ذلك ببعض الحاضرين فيرونها ويسمعون خطابها ولا حقيقة لشيء من ذلك في الخارج، وهذا يكون عندهم بتجرد النفس عن العلائق، واتصالها بالمعارفات من العقول والنفوس المجردة، وهذه

الحقائق تحصل عندهم بالاكتساب، ولهذا طلب النبوة من تصرف على مذهب هؤلاء.

فتبين من كلام هذا الملحد أن الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لم ينزل عليهم وحي من الله، كما نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ، وإنما ذلك فيض فاض على أرواح الأنبياء من روح محمد ﷺ، واستمدوا من روحه ما أنزل الله عليهم وشرعه لهم من الدين، ويزعمون أن الولاية أعظم من النبوة، لأن الولي يأخذ عن الله بغير واسطة، والنبي الرسول بواسطة وينشدون: -

مَقَامُ النُبـوةِ فـي بـرزخٍ
فُـوَيْـقَ الـرَّسُـوْلِ وَدُوْنَ الـولـي

ويقولون: إن ولاية النبي أعظم من نبوته، ونبوته أعظم من رسالته، ثم قد يدعي أحدهم أن ولايته وولاية سائر الأولياء تابعة لولاية خاتم الأولياء، وأن جميع الأنبياء والرسل من حيث ولايتهم هي عندهم أعظم من نبوتهم ورسالتهم، وإنما يستفيدون العلم بالله الذي هو عندهم القول بوحدة الوجود من مشكاة[1] خاتم الأولياء، وشبهتهم في أصل ذلك أن قالوا: الولي يأخذ عن الله بغير واسطة، والنبي والرسول بواسطة، ولهذا جعلوا ما يفيض في نفوسهم يجعلونه

(١) في النسختين «شكاة».

من باب المخاطبات الإلهية، والمكاشفات الربانية أعظم من تكليم موسى بن عمران، وهو في الحقيقة إيحاءات شيطانية، ووساوس نفسانية، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم.

**وأما قوله:** (وفي حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة. فإن أنوار رسالته ﷺ غير منقطعة عن العالم من المتقدمين والمتأخرين).

**فالجواب أن يقال:** إن كان أراد إنه ﷺ له قدرة على إيصال الخيرات، ورفع المضرات بعد الممات، فقد قال تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [ الأعراف: آية ١٨٨ ] وقال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾ [ يونس: آية ١٠٧ ] فإذا كان هذا حاله في الحياة فما الظن به أو بغيره بعد الممات؟.

وإن كان أراد أن الخلق يستمدون منه أي مما جاء به من توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه كائناً من كان، والعمل بسنته، والاهتداء بهديه، وترك ما نها عنه، فقد قال ﷺ في خطبته يوم عرفة: «وقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا إن اعتصمتم به كتاب الله» الحديث[1]. وقال ﷺ: «تركتكم على الحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ

---

(١) تقدم الكلام عليه.

عنها بعدي إلا هالك»[1] وقال ﷺ: «إنها ستكون فتنٌ»[2] فقلنا له ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، مـن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، هو الذي لم تنته الجن إذ[3] سمعته حتى قالوا: ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ﴾ [ الجن: آيات ١ ـ ٢ ] من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم» رواه الترمذي وقال غريب[4].

---

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) في النسختين «فتنا» وما أثبت من سنن الترمذي.

(٣)ذي النسختين «إذا» وما أثبت من سنن الترمذي.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه ـ كتاب فضائل القرآن ـ ١٧٢/٥ ـ ١٧٣ من جهة حمزة الزَّيات عن أبي المختار الطائي عن ابن أخي الحارث الأعور عن الحارث... عن علي.. به مرفوعاً.

وقال عقبة: هذا حديث [غريب] لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. ا هـ.

وتعقبه ابن كثير فقال في فضائل القرآن ص ٧: ـ قلت: لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات، بـل رواه محمـد بن إسحاق عن محمد بـن كعب القرظي عن الحارث الأعور. فبرىء حمزة من عهدته. على أنه وإن كان=

**فإذا عرفت هذا** فلا يكون الاستمداد منه حال كونه منتقلاً إلى الغيب الذي هو البرزخ والدار الآخرة، ولكن بما ترك فينا من كتاب الله وسنة رسوله، لأن أنوار رسالته ﷺ لا تنقطع ما عمل بالكتاب والسنة.

**وأما قوله**: (فكل نبي تقدم على زمان ظهوره فهو نائب عنه في بعثته لتلك الشريعة).

**فالجواب أن نقول**: هذا كلام باطل مصادم لقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [ المائدة: آية ٤٨ ] ولقوله ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أولاد علات» الحديث[1]، وقد قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ

* ضعيف الحديث فإنه إمام في القراءة.

والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور، وقد تكلموا فيه، بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده، أما أنه تعمد الكذب في الحديث فلا والله أعلم.

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وقد وهم بعضهم في رفعه، وهو كلام حسن صحيح، على أنه قد روي له شاهد عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه عن النبي ﷺ... إلخ ا هـ.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياءمن صحيحه ٦/٤٧٧ ـ ٤٧٨ باب قوله تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها ﴾.

ومسلم في كتاب الفضائل من صحيحه ٤/٨٣٧، [باب فضائل عيسى عليه السلام] عن أبي هريرة.

وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾[الأعراف: آية ١٥٧] ومن المعلوم بالضرورة أن الأغلال والآصار التي كانت عليهم وفي شريعتهم من قتل أنفسهم وغير ذلك من الأغلال، لم يكن موسى عليه السلام نائباً عن نبينا في بعثته لتلك الشريعة من التكاليف الشاقة، من الآصار والأغلال التي كانت عليهم، بل من بركة هذا النبي الكريم، وأن الله أرسله رحمة للعالمين وضع عنهم الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وأحل لهم الطيبات مما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل والشحوم، ويحرم عليهم الخبائث كالدم ولحم الخنزير والميتة والربا، فكان من المعلوم أن لكل رسول أرسله الله إلى أمته شريعة ومنهاجاً، وأما الأصل الذي هو دين الإسلام فجميع الرسل والأنبياء فيه على طريقة واحدة كما قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ﴾ [الشورى: آية ١٣] ولا حاجة بنا إلى الكلام إلى استقصاء الكلام[1] على ما ذكره من كلام صاحب الفتوحات لسقوطه وتهافته، ومخالفته لصريح الكتاب والسنة، فلا نطيل برد كلامه، لكن هذا على سبيل التنبيه والإشارة، ثم كيف يستجيز من يؤمن بالله واليوم

(١) الكلام مكرر في النسختين.

الآخر النقل في هذه المباحث وغيرها عن ابن عربي صاحب «الفصوص» و«الفتوحات» الذي هو من أكفر خلق الله، وأبعدهم عن سلوك الصراط المستقيم، ويعد من العلماء العاملين؟.

وإذا أردت حقيقة ما قلنا فانظر إلى ما قاله في «الفصوص» قال في الإدريسة: ومن أسمائه الحسنى العلي، على من وما ثَمَّ إلا[1] هو، فهو العلي لذاته أو عن ماذا، وما هو إلا هو، فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو ـ إلى أن قال ـ: فهو عين ما ظهر وهو عين ما بطن في حال ظهوره، وما ثم من يراه غيره، ومن ثم من يبطن عنه فهو الظاهر لنفسه باطن عنه، وهوالمسمى أبوسعيد الحزاز، وغير ذلك من أسماء المحدثات ـ إلى أن قال ـ: ومن عرف ما قررناه في الأعداد، وأن نفيها عين إثباتها علم أن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وإن كان قد تميز الخلق من الخالق فالأمر الخالق المخلوق، والأمر المخلوق الخالق كل ذلك من عين واحدة، لا بل هو العين الواحدة، وهو العيون الكثيرة ﴿ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ ﴾ [ الصافات: آية ١٠٢ ] والولد عين أبيه فما رأى[2] يذبح سوى نفسه، وفداه بذبح عظيم، فظهر بصورة كبش من ظهر بصورة إنسان، فظهر بصورة لا بحكم ولد من

(١) في «ط الرياض» (إلى).

(٢) في النسختين «راء».

هو عين الوالد، وخلق منها زوجها فما نكح سوى نفسه ـ إلى أن قال ـ: فالعلي لنفسه هو الذي يكون له الكمال الذي يستغرق جميع الأمور الوجودية والنسب العدمية، بحيث لا يمكن أن يفوقه نعت منها، وسواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليس ذلك إلا لمسمى[1] الله خاصة.

فصرح عدو الله بأن الحق المنزه هو الخلق المشبه، وصرح بأنه المنعوت بكل نعت مذموم ومحمود، وصرح بأنه أبو سعيد الخزاز وغيره من المحدثات، كما صرح بأن المسمى محدثات هي العلية لذاتها، وليست إلا هو. وقال أيضاً: ولما كان فرعون في منصب التحكم، وأنه الخليفة بالسيف، وإن جاز في العرف الناموسي لذلك قال: «أنا ربكم الأعلى» أي وإن كان الكل أرباباً بنسبة مّا، فأنا الأعلى منهم بما أعطيته في الظاهر من التحكم فيهم، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه، وأقروا له بذلك، وقالوا له: إنما تقضي هذه الحياة الدنيا، فاقض ما أنت قاض، فالدولة لك فصح قوله: «أنا ربكم الأعلى، وإن كان عين الحق. إلى أمثال هذه الكفريات، ولله در الأمير محمد بن إسماعيل حيث يقول:ـ

وأكفرُ خلق الله من قال: إنه
إلـهٌ فإن الله جلَّ عن النِّدِ

(1) في «ط الرياض» (إلا المسمى).

مُسَمَّاه كلُّ الكائناتِ بأسْرِها
من الكلبِ والخنزيرِ والقِرْدِ والفَهْدِ
وأن عذابَ النارِ عَذْبٌ لأهلها
سواءٌ عذابُ النارِ أو جنةُ الخلدِ
وينشدنا عنه نصوصُ فصوصه
ينادي خذوا في النظمِ مكنونَ ما عندي
(وكنت امرأً من جندِ إبليسَ فارتمى
بي الدهرُ حتى صارَ إبليسُ من جندي!!)
فلو مات قبلي كنتُ أدركتُ بعدَه
دقائقَ كفرٍ ليس يدركها بعدِ

فمن كان بهذه المثابة كيف يستجيز من يؤمن بالله واليوم الآخر أن يذكر كلامه في جملة العلماء العاملين، أو يصغي إلى شبهات هؤلاء الغالين.

وأما دعوى هؤلاء الملاحدة أن خاتم الأولياء هو أفضلهم، كما أن خاتم الرسل أفضلهم، بل يزعم ابن عربي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الرسل، لأن خاتم الأولياء يأخذ عن الله بلا واسطة، وخاتم الرسل إنما يأخذ عن الملك، فقد ذكر شيخ الإسلام أن خاتم الأولياء كلمة لا حقيقة لفضلها ومرتبتها، وإنما تكلم أبو عبد الله الترمذي بشيء من ذلك ولم يستند فيه إلى شيء، ومسمى هذا اللفظ هو آخر مؤمن يبقى، ويكون بذلك خاتم الأولياء، وليس ذلك أفضل الأولياء باتفاق

المسلمين، بل أفضل الأولياء سابقهم، وأقربهم إلى الرسول، وهو أبو بكر، ثم عمر، إذ الأولياء يستفيدون من الأنبياء فأقربهم إلى الرسول أفضل، بخلاف خاتم الرسل فإن الله أكرمه بالرسالة ولم يحله على غيره، فقياس أحد اللفظين على الآخر في وجوب كونه أفضل من أفسد القياس.

وقال أيضاً:

## فصـــل

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أولياء الله تعالى على أن الأنبياء أفضل من الأولياء الذين ليسوا بأنبياء، وقد رتّب الله عباده السعداء المنعم عليهم أربع مراتب، فقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [ النساء - ٦٩ ] وفي الحديث «ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر» وأفضل الأمم أمة محمد ﷺ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [ آل عمران - ١١٠ ] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [ فاطر - ٣٢ ] وقال النبي ﷺ في الحديث الذي في المسند «أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله» وأفضل أمة محمد القرن الأول، وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال: «خير القرون القرن الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم» وهذا ثابت في الصحيحين من غير وجه، وفي الصحيحين أيضاً ﷺ أنه قال:

«لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار أفضل من سائر الصحابة قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ﴾ [ الحديد - ١٠ ] ، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [ التوبة - ١٠٠ ] والمراد بالفتح صلح الحديبية، فإنه كان أول فتح مكة، وفيه أنزل الله ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا • لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ مِن ذَنبِكَ ﴾[ الفتح - ١ ] فقالوا يا رسول الله أو فتح هو؟ قال نعم.

وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الأربعة، وأفضلهم أبو بكر، ثم عمر، وهذا هو المعروف عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الأمة وجماهيرها، وقد دلت على ذلك دلائل بسطناها في «منهاج أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية».

وبالجملة اتفق طوائف السنة والشيعة على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها واحد من الخلفاء، ولا يكون من بعد الصحابة أفضل من الصحابة.

وأفضل أولياء الله تعالى أعظمهم معرفة بما جاء به

الرسول واتباعاً له كالصحابة الذين هم أكمل الأمة في معرفة دينه واتباعه، وأبو بكر الصديق أكمل معرفة بما جاء به، وعملا به فهو أفضل أولياء الله، إذا كانت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وأفضلها أصحاب محمد ﷺ، وأفضلهم أبو بكر رضي الله عنه.

وقد ظن طائفة غالطة أن «خاتم الأولياء» أفضل الأولياء قياساً على خاتم الأنبياء، ولم يتكلم أحد من المشائخ المتقدمين بخاتم الأولياء إلا محمد بن علي الحكيم الترمذي، فإنه صنف مصنفاً غلط فيه في مواضع، ثم صار طائفة من المتأخرين يزعم كل واحد منهم أنه خاتم الأولياء، ومنهم من يدعي أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته، كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب كتاب «الفتوحات المكية» وكتاب «الفصوص» فخالف الشرع والعقل، مع مخالفته جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه، كما يقال لمن قال: فخر عليهم السقف من تحتهم: لا عقل ولا قرآن، وذلك أن الأنبياء أفضل في الزمان من أولياء هذه الأمة [والأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أفضل من الأولياء، فكيف الأنبياء كلهم؟ ][1] والأولياء[2] إنما

(١) ما بين المعكوفين سقط من طبعة الرياض. وما أثبته من الأصل، ومن مجموع فتاوى ابن تيمية لابن قاسم ١١/٢٢٤.

(٢) في طبعة الرياض «الأنبياء»، وهو خطأ. وما أثبته من الأصل، ومجموع الفتاوى.

يستفيدون معرفة الله ممن يأتي بعدهم، ويدعي أنه خاتم الأولياء، وليس آخر الأولياء[1] أفضلهم، كما أن آخر الأنبياء أفضلهم، فإن فضل محمد ﷺ ثبت بالنصوص الدالة على ذلك كقوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» كقوله «آتي باب الجنة فاستفتح، فيقول الخازن من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك[2] أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» وليلة المعراج رفع الله درجته فوق الأنبياء كلهم، فكان أحقهم بقوله تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ [ البقرة: آية ٢٥٣ ] إلى غير ذلك من الدلائل، كل منهم يأتيه الوحي من الله، لا سيما محمد ﷺ لم يكن في نبوته محتاجاً إلى غيره، فلم تحتج شريعته إلى سابق ولا إلى لاحق، بخلاف المسيح أحالهم في أكثر الشريعة على التوراة، وجاء المسيح فكملها، ولهذا كان النصارى محتاجين إلى النبوات المتقدمة على المسيح كالتوراة، والزبور، وتمام الأربع وعشرين نبوة، وكان الأمم قبلنا محتاجين إلى مُحدثين، بخلاف أمة محمد ﷺ فإن الله أغناهم به[3] فلم يحتاجوا معه إلى نبي ولا إلى مُحدَّث، بل جمع له من الفضائل والمعارف والأعمال الصالحة ما فرَّقه في غيره من الأنبياء، فكان ما فضله

(١) تكرر في طبعة الرياض «وليس آخر الأولياء».
(٢) في الأصل. وط الرياض «كما» وما أثبته من صحيح مسلم ١٨٨/١.
(٣) سقطت «به» من النسختين. وما أثبته من «مجموع الفتاوى».

الله[1] به من الله[1] بما أنزله إليه وأرسله إليه لا بتوسط بشر، وهذا بخلاف الأولياء فإن كل من بلغه رسالة محمد ﷺ لا يكون ولياً لله إلا باتباع محمد ﷺ، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد ﷺ، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه لا يكون ولياً لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه.

ومن ادعى من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من أن له طريقاً[2] إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد[3]، وإذا قال أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمداً[4] رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفاراً بذلك، وكذلك الذي يقول إن محمداً بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن [آمن ببعض ما جاء به وكفر

---

(١) سقطت لفظ الجلالة الأولى من النسختين، والثانية من طبعة الرياض وما أثبته من «الفتاوى».

(٢) في الأصل «طريق».

(٣) كذا في النسختين. وفي الفتاوى «ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد ﷺ من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد».

(٤) في الأصل. وط الرياض «محمد».

ببعض فهو كافر، وهو أكفر من أولئك لأن علم الباطن[1] الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف[2] من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعى المدعي أن محمداً ﷺ إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهذا شر[3] ممن يقول أؤمن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين.

وهؤلاء الملاحدة يدعون أن الولاية أفضل من النبوة، ويلبسون على الناس فيقولون: ولايته أفضل من نبوته وينشدون[4]: -

مقام النبوة في برزخ
فويق الرسول ودون الولي!

ويقولون: نحن[5] شاركناه في ولايته التي هي أعظم من

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من النسختين. وأثبته من «الفتاوى».
(٢) في طبعة الرياض «شرف».
(٣) سقطت «شر» من ط. الرياض.
(٤) في النسختين «ويستبدون».
(٥) سقطت «نحن» من طبعة الرياض.

رسالته، وهذا من أعظم ضلالهم، فإن ولاية محمد لم يماثله فيها أحد لا إبراهيم ولا موسى، فضلا أن يماثله فيها هؤلاء الملحدون.

وكل رسول نبي ولي، فالرسول نبي ولي، ورسالته متضمنة لنبوته، ونبوته متضمنة لولايته، وإذا قدروا مجرد إنباء [1] الله إياه بدون ولايته لله فهذا تقدير ممتنع، فإنه حال انبائه إياه ممتنع أن يكون إلا ولياً [2] لله، ولا تكون مجردة عن ولايته، ولو قدرت مجردة لم يكن أحد مماثلاً للرسول في ولايته إلى أن قال: ـ

وهؤلاء المتفلسفة قد يجعلون «جبرائيل» هو الخيال الذي يتشكل في نفس النبي ﷺ، والخيال تابع للعقل، فجاء الملاحدة الذين شاركوا هؤلاء الملاحدة المتفلسفة وزعموا أنهم «أولياء الله» وأن أولياء الله أفضل من أنبياء الله، وأنهم يأخذون عن الله بلا واسطة كابن عربي صاحب «الفتوحات» و«الفصوص» فقال: إنه يأخذ من المعدن الذي أخذ منه الملك الذي يوحي به إلى الرسول، والمعدن عنده هو العقل، والملك هو الخيال، والخيال تابع للعقل، وهو بزعمه يأخذ عن الذي هو أصل الخيال، والرسول يأخذ عن[3] الخيال، فلهذا

---

(١) في النسختين «أنبياء» وما أثبته من «مجموع الفتاوى».
(٢) في طبعة الرياض «الأولياء».
(٣) في طبعة الرياض «على».

صار عند نفسه فوق النبي ولو كان خاصة النبي ما ذكروه[1] ولم يكن هو من جنسه، فضلاً عن أن يكون فوقه، فكيف وما ذكروه يحصل لآحاد المؤمنين؟ والنبوة أمر وراء ذلك، فإن ابن عربي وأمثاله وإن ادعوا أنهم من الصوفية فهم من صوفية الملاحدة الفلاسفة، ليسوا من صوفية أهل العلم، فضلاً عن أن يكونوا من مشائخ أهل الكتاب والسنة كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، وأبي سليمان الداراني، ومعروف الكرخي، والجنيد بن محمد، وسهل بن عبد الله التستري، وأمثالهم رضوان الله تعالى عليهم أجمعين إلى آخر كلامه رحمه الله تعالى.

(١) الواو ليست في «الفتاوى» ١١/٢٣٣.

## فصـــل

**وأما قول الملحد:** (ولذا أنشد القطب الكبير سيدي محمد بن أبي الحسن البكري المصري: -

مـا أرسـلَ الـرحمن أو يـرسـلُ
مـن رحمـةٍ تصـعـدُ أو تـنـزلُ
فـي مـلكـوتِ الله أو مُـلْكِـه
من كـلِّ مـا يَخْتَصُّ أو يَشْمَـلُ
إلا وطَـه الـمـصطفـى عبـدُه
نـبـيـه مـخـتـاره الـمـرسـلُ
واسطةٌ فـيـهـا وأصـلٌ لـهـا
يـعلم هـذا كـلُّ مـن يـعـقـل
فَعُـذْبـه من كـل مـا تشتكي
فـهـو شـفـيـع دائـمـاً يـقـبل
وَلُـذْ بـه في كـل مـا تـرتجي
فـإنـه الـمـأمَنُ والـمـعـقـل

وحط أحمال الرجا عنده
فإنه المرجع والموئل
وناده إن أزمة انشبت
أظفارها واستحكمَ المعضلُ
يا أكرم الخلق على ربه
وخير من فيهم به يسأل
قد مسّني الكربُ وكم مرةٍ
فرجت كرباً بعضه يذهل
فبالذي فضلك بين الورى
برتبة عنها العلا تنزل
عجل بإذهاب الذي اشتكي
فإن توقفت فمن أسأل
فحيلتي ضاقت وصبري انقضى
ولست أدري ما الذي أفعل
وإن ترى أعجز مني فما
لشدة أقوى ولا أجمل
وأنت باب الله أيّ امرىء
أتاه من غيرك لا يدخل
عليك صلى الله ما صافحت
زهر الروابي نسمة شمأل
مسلماً ما فاح عطر الحمى
وطاب منه الند والمندل

والآل والأصحاب ما غردت
ساجعة أملودها مخضل

**والجواب أن أقول: -**

أقول هذا كلُّه لا يعقلُ
ولا له في الشرع أصلٌ مُنَزَّلُ
إلا أكاذيب رواها عصبةٌ
مرفوضة أقوالهم لا تُنْقَلُ
بل كلُّها موضوعةٌ مكذوبةٌ
والطعنُ فيها كلُّها مُسْتَعْمَلُ
بل الذي في الشرع أن المصطفى
محمداً رسولُه والأفضَلُ
مختارُه من خلقه وأنه
إلى جميع الخلقِ حقاً مُرْسَلُ
وأنه للناس فيما بينهم
وبين ربي بالهدى يفصل
واسطة بوحيه يهديهموا
بما به الله الكريم يُنْزِلُ
فمن يقول إنه أصل له
ذا الخلق طراً أوه لما قد ينزل
من رحمة من ربنا سبحانه
في الملك والملكوت أو ما يرسل

إلا وهـذا المصطفى أصـل لهـا
من كل ما يختص أو ما يشمل
فـقـد أتى بـفـريـة معـلومـة
بل ليس هذا في العقـول يعقل
فليـأتنـا[1] بـآيـة من قـال ذا
أو سنـة محفـوظـةٍ لا تجهـلُ
وقـد أتى من بعـد هـذا كله
بمنكـر لا يـرتضيـه الكُمّـل
بـأنـه معـاذُ من يـشكـو لـه
أفٍّ لمـا قد قـالـه ذا المبطل
أو أنـه مـن غيـر أذن شـافـع
فهـو شفيـع سـرمـديـاً يقبـل
وأنـه المـلاذ فيمـا يـرتجى
وأنـه الكهف المنيـع المعقـل
وأنـه مـحط أحـمـالِ الـرجـا
لأنـه الـرجعى لـه والمـوئـل
وأن يـنـادي إن ألـمـت أزمـة
وانشبـت أظفـارهـا لا تمـهـل
فـهـذا كلـه شـرك بـه
سبحـانـه عمـا يقـول المبطل

(1) في ط الرياض «فالياتنا».

فهـو المنـادي وحـده سبحـانـه
وهـو الملاذ المـرتجى والمـوئـل
وهـو الـمـعـاذ وحـده إن أزمـة
أو كـربـة تعـدو لنـا أو تـنـزل
لا عبـده المعصـوم فهـو المجتبي
وهـو الـمطاع أمـره لا يـهـمـل
لـكـنـنـا لا نـدعُ إلا ربـنـا
في كل مـا نـرجـوه ومـا نـأمـل
مـا مس عبـد كـربـة أو نـابـه
من نـائبات الـدهـر ممـا يعضـل
إلا وربـي فَـرَّاجٌ لـهـا
لا عبـده إن كنت ممـن يعقـل
تـالله مـا هـذا بقـول يـرتضى
في المصـطفى مما يقول المبطل
فـالمشتكى لله لا للمصـطفى
وهو الذي إن لم يجب من نسأل
وهـو الـذي إن لم يعنـا لم نطق
حمـلا لعجزان دهـا مـا يشغـل
وهـو الـذي لا رب حق غيـره
وهـو الرجـا والملتجا والمـوئل
هـذا الـذي قـالـتـه وهـابيـة
والحق مـا قـالـوه وهـو الأكمـل

وهـو الصـواب حقيقـة إذ كلـه

حق وتحـقيـق وأمـرٌ يُعْـقَـلُ

لا مـا ادعـاه الكسـم أو قـالـه

من قـد دعوه القطب وهـو الأرذل

تـالله مـا هـذا بقـطب الـورى

في دينهم بـل كـان ممن يجهـل

بل كان قطب الكفر والشرك الذي

أغـوى بـه الشيـطان من لا يعقل

فـانبذه خلف الظهر لا تعبأ بمـا

قـد قـالـه هـذا الغـوى المبطل

## فصـــل

**قال الملحد:** (وفي الشفا للقاضي عياض قال: ناظر[1] أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، فقال: لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله أدب قوماً فقال ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ [ الحجرات - ٢ ] الآية ومدح قوماً فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ ﴾ الآية [ الحجرات - ٣ ] ، وذم قوماً فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ ﴾ الآية، [ الحجرات - ٤ ] وحرمته ميتاً كحرمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر وقال: يا أبا عبد الله استقبل القبلة وادعو، أم استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ـ ولِمَ تصرفُ وجهك عنه، وهو وسيلتك، ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله تعالى يوم القيامة؟ بل استقبله، واستشفع به، فيشفعك الله وفي نسخة فيشفعه الله قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ الآية [ النساء - ٦٤ ]، انتهى.

---

(١) في الأصل وطبعة الرياض «ناضره».

**والجواب أن يقال هذه الحكاية لا حجة فيها لمبطل لما** سنذكره إن شاء الله تعالى، قال الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في «الصارم المنكي» قلت المعروف عن مالك أنه لا يستقبل القبر عند الدعاء، وهذه الحكاية التي[1] ذكرها القاضي عياض، ورواها بإسناده عن مالك ليست بصحيحة عنه.

وقد ذكر المعترض[2] في موضع من كتابه أن إسنادها إسناد جيد، وهو مخطىء في هذا القول خطأً فاحشاً، بل إسنادها إسناد ليس بجيد، بل هو إسناد مظلم منقطع، وهو مشتمل على من يتهم بالكذب، وعلى من يجهل حاله، وابن حميد هو محمد بن حميد الرازي، وهو ضعيف كثير المناكير غير محتج بروايته، ولم يسمع من مالك شيئاً، ولم يلقه، بل روايته عنه منقطعة غير متصلة.

وقد ظن المعترض أنه أبو سفيان محمد بن حميد المعمري أحد الثقاة المخرج لهم في صحيح مسلم، قال: فإن الخطيب ذكره في الرواة عن مالك، وقد أخطأ فيما ظنه خطأً فاحشاً، ووهم وهماً قبيحاً. إلى أن قال:

**وأما محمد بن حميد الرازي فإنه في طبقة الرواة عن**

---

(١) في النسختين «الذي» وما أثبته من «الصارم» ص ٢١٨.
(٢) المقصود به صاحب «شفاء السقام».

**المعمري كأبي خيثمة[1]، وابن نمير، وعمر والناقد، وغيرهم إلى أن قال:**

وقد تكلم في محمد بن حميد الرازي وهو الذي رويت عنه هذه الحكاية من غير واحد من الأئمة، ونسبه بعضهم إلى الكذب. قال يعقوب بن شيبة السدوسي محمد بن حميد الرازي كثير المناكير. وقال البخاري: حديثه فيه نظر. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: رديء المذهب غير ثقة. وقال فضلك الرازي عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف، وقال أبو العباس أحمد بن محمد الأزهري: سمعت إسحاق بن منصور يقول: أشهد على محمد بن حميد، وعبيد بن إسحاق العطار بين يدي الله أنهما كذابان. وقال صالح بن محمد الحافظ: كان كل[2] ما بلغه من حديث سفيان يحيله على مهران، وما بلغه من حديث منصور يحيله على عمرو بن أبي قيس[3]، وما بلغه من حديث الأعمش يحيله على مثل هؤلاء وعلى عنبسة، ثم قال: كل شيء كان يحدثنا ابن حميد كنا نتهمه فيه. وقال

---

(١) في النسختين «أبي حنيفة» وما أثبته من «الصارم» ص ٢١٨ ط المصرية وص ٣٤٦ ط دار الافتاء بالرياض - تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.

(٢) في النسختين «على» وما أثبته من «الصارم» ومن تهذيب التهذيب ١٢٩/٩.

(٣) لفظة «أبي» سقطت من النسختين. ومن نسخة «الصارم» المصرية. وأثبتها من «التهذيب» ونسخة «الصارم» تحقيق الشيخ إسماعيل.

في موضع آخر: كانت أحاديثه تزيد، وما رأيت أحداً أجرأ[1] على الله منه كان يأخذ أحاديث الناس فيقلب بعضهم على بعض، وقال في موضع آخر: ما رأيت أحداً أحذق بالكذب من رجلين: سليمان الشاذكوني، ومحمد بن حميد الرازي كان يحفظ حديثه كله، وكان حديثه كل يوم يزيد - ثم أطال الحافظ الكلام فيه[2] إلى أن قال - :

فإذا كانت هذه حال محمد بن حميد الرازي عند أئمة هذا الشأن فكيف يقال في حكاية رواها[3] منقطعة: إسنادها جيد، مع أن في طريقها إليه من ليس بمعروف، إلى أن قال:

فانظر هذه الحكاية وضعفها، وانقطاعها، ونكارتها، وجهالة بعض رواتها، ونسبة بعضهم إلى الكذب، ومخالفتها لما ثبت عن مالك، وغيره من العلماء. وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه في «اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم»: ولم يكن أحد من السلف يأتي إلى قبر نبي، أو غير نبي لأجل الدعاء عنده، ولا كان الصحابة

(١) في النسختين «وأجرى».

(٢) وقد لخّص الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - القول فيه، فقال في «التقريب»: - «محمد بن حميد بن حَيّان الرازي، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه. . » اهـ.

(٣) في النسختين. والنسخة المصرية من «الصارم» (رواتها). وما أثبته من نسخة الشيخ إسماعيل الأنصاري المطبوعة بدار الإفتاء. وقد عَلّقَ عليها بقوله: - «قوله (رواها) بصيغة الماضي، من المخطوطتين، وهو الصواب».

يقصدون الدعاء عند قبر النبي ﷺ، ولا عند قبر غيره من الأنبياء، وإنما كانوا يصلون ويسلمون على النبي ﷺ، وعلى صاحبيه، واتفق الأئمة على أنه إذا دعا بمسجد النبي ﷺ لا يستقبل قبره، وتنازعوا عند السلام عليه، فقال مالك وأحمد وغيرهما: يستقبل قبره، ويسلم عليه، وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي، وأظنه منصوصاً عنه.

وقال أبو حنيفة: بل يستقبل القبلة ويسلم عليه هكذا في كتب أصحابه. وقال مالك: فيما ذكره إسماعيل بن إسحاق في «المبسوط» والقاضي عياض، وغيرهما[1]: ـ لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ويدعو، ولكن يسلم ويمضي، وقال أيضاً في «المبسوط»: لا بأس لمن قدم من سفر، أو خرج أن يقف على قبر النبي ﷺ ويدعو له، ولأبي بكر وعمر، قيل له: فإن ناساً من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم مرة أو أكثر، وربما وقفوا في الجمعة، أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر يسلمون ويدعون ساعة فقال: لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا، وتركه واسع، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون ذلك، ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده. وقد تقدم في ذلك من الآثار عن السلف والأئمة ما يوافق هذا ويؤيده من أنهم كانوا

---

(١) في النسختين «وغيرهم» وما أثبت من نسختي «الصارم».

إنما يستحبون عند قبره ما هو من جنس الدعاء له والتحية كالصلاة والسلام، ويكرهون قصده للدعاء، والوقوف عنده للدعاء[1]، ومن يرخص منهم في شيء من ذلك فإنه إنما يرخص فيما إذا سلم عليه، ثم أراد الدعاء أن يدعو مستقبل القبلة إما مستدبر القبر، وإما منحرفاً عنه، وهو أن يستقبل القبلة ويدعو، ولا يدعو مستقبل القبر، وهكذا المنقول عن سائر الأئمة، ليس في أئمة المسلمين من استحب للمرء[2] أن يستقبل قبر النبي ويدعو عنده.

وهذا الذي ذكرناه عن مالك يبين حقيقة الحكاية المأثورة عنه، وهي الحكاية التي ذكرها القاضي عياض عن محمد بن حميد قال ناظر[3] أبو جعفر أمير المؤمنين مالكاً في مسجد رسول الله ﷺ، قال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد، فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ ﴾ الآية [الحجرات - ٢] وذكر باقي الحكاية، ثم قال: فهذه الحكاية على هذا الوجه إما أن تكون ضعيفة، أو مُغيَّرة، وإما أن تفسر بما يوافق مذهبه إذ قد يفهم منها ما هو خلاف مذهبه المعروف بنقل الثقاة من أصحابه، فإنه لا يختلف مذهبه أنه لا يستقبل القبر عند

(١) سقطت الواو من ط- الرياض.
(٢) في ط- الرياض «المرء».
(٣) في النسختين «ناضر».

الدعاء، وقد نص على أنه لا يقـف عند الدعاء مطلقاً، وذكر طائفة من أصحابه أنه يدنو من القبر، ويسلم على النبي ﷺ، ثم يدعو مستقبل القبلة ويوليه ظهره، وقيـل: [لا يوليه ظهره][1] فاتفقوا في استقبال القبلة، وتنازعوا في تولية القبر ظهره وقت الدعاء، ويشبه والله أعلم أن يكون مالك[2] رحمه الله سئل[3] عن استقبال القبر عند السلام عليه، وهو يسمي ذلك دعاء، فإنه قد كان من فقهاء العراق من يرى أنه عند السلام عليه يستقبل القبلة أيضاً، ومالك يرى استقبال القبر في هذا الحال كما تقدم. وكما قال في رواية ابن[4] وهب عنه: إذا سلم على النبي ﷺ يقف ووجهه إلى القبر، لا إلى القبلة[5]، ويدنو، ويسلم، ويدعو، ولا يمس القبر بيده. وقد تقدم قوله: إنه يصلي عليه، ويدعو له.

ومعلوم أن الصلاة عليه، والدعاء له توجب شفاعته للعبد يوم القيامة كما قال في الحديث الصحيح: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلّى علي

---

(١) ما بين المعكوفين سقط من النسختين. وما أثبته من نسختي «الصارم» ومن «اقتضاء الصراط المستقيم» ٢/٧٥٦.

(٢) وقع في نسخة «الاقتضاء» المحققة «أن يكون مالكاً»، مع أن نسخة محمد حامد الفقي فيها «مالكٌ»!!

(٣) في ط: الرياض «سأل».

(٤) سقطت «ابن» من النسختين.

(٥) في النسخة المحققة من «الاقتضاء» [أو].

مرة صلّى الله عليه عشرا، ثم اسألوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون ذلك العبد، فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي يوم القيامة»(١).

فقول مالك في هذه الحكاية - إن كان ثابتاً عنه - معناه أنك إذا استقبلته، وصليت عليه، وسلمت عليه، وسألت الله له الوسيلة، يشفع فيك يوم القيامة، فإن الأمم يوم القيامة يتوسلون بشفاعته، واستشفاع العبد به في الدنيا هو فعله ما يشفع به له يوم القيامة، كسؤال الله تعالى له بالوسيلة، ونحو ذلك، وكذلك ما نقل عنه من رواية ابن وهب: إذا سلم على النبي ﷺ ودعا، يقف ووجهه إلى القبر لا إلى القبلة، ويدعو ويسلم، يعني دعاءه(٢) للنبي ﷺ وصاحبيه.

فهذا هو الدعاء المشروع هناك، كالدعاء عند زيارة قبور سائر المؤمنين، وهو الدعاء لهم، فإنه أحق الناس أن يُصلى عليه، ويسلم عليه، ويدعى له، بأبي هو وأمي ﷺ. وبهذا تتفق أقوال مالك، ويفرق بين الدعاء الذي أحبه، والدعاء الذي كرهه وذكر أنه بدعة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٢٨٨/١ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «... الحديث».

(٢) في النسختين «دعاء للنبي» وكذا في النسخة المصرية من «الصارم» وما أثبته من الاقتضاء ٧٥٧/٢، ونسخة الشيخ الأنصاري ص ٣٥١.

وأما الحكاية في تلاوة مالك هذه الآية[1]: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ الآية [ النساء - ٦٤ ] فهو - والله أعلم - باطل[2]، فإن هذا لم يذكره أحد من الأئمة فيما أعلم، ولم يذكر أحد منهم أنه استحب أن يسأل بعد الموت لا استقلالاً[3] ولا غيره، وكلامه المنصوص عنه وأمثاله ينافي هذا، انتهى[4]. وقد تقدم الجواب على هذه الآية.

**وأما قول هذا الملحد**: (والمراد من قوله وحرمته ميتاً أي حال انتقاله إلى البرزخ، فلا ينافي ما تقدم: أنه حي في قبره ﷺ).

**والجواب أن يقال**: ليس هذا مراد مالك رحمه الله، فإنه إمام عالم عربي فقيه، ومن أعلم أهل زمانه بالحديث ومعانيه، فإنه حال حكايته مع المنصور - لو ثبت - لا يخاطب المنصور بحال انتقاله إلى البرزخ بأنه ميت، وإنما يخاطبه حال الحكاية معه وقت المناظرة بعد وفاته بزمان طويل، أن حرمته ميتاً في هذا الوقت - أي وقت المناظرة - كحرمته في حال الحياة في

---

(١) سقطت كلمة «هذه الآية» من النسختين. وأثبتها من نسختي «الصارم» و «الاقتضاء».

(٢) في نسخة «الاقتضاء» المحققة [ باطلة ].

(٣) في نسخة «الإقتضاء» ونسختي «الصارم» [لا استغفاراً].

(٤) أي كلام ابن عبد الهادي من «الصارم» الذي نقله من «الاقتضاء» لشيخه شيخ الإسلام.

غض الصوت عنده وعدم رفعه، فما قاله مالك رحمه الله ينافي ما تقدم من الحكايات الموضوعة، والأحاديث المكذوبة، وما كان منها ضعيفاً فمؤلف محرف، من تحريفات هؤلاء الغلاة المارقين.

وأما حكايته عن شارح (نور الإيضاح) فككلام[1] غيره من المصنفين في الزيارة ممن لا يوثق به، ولا يعتمد على قوله ونقله، وليسوا من أهل الحديث المعروفين بالرواية والدراية والأمانة، وفيما نقلنا عن مالك وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد وأصحابه، والشافعي وأصحابه ما يكفي ويشفي عن كلام هؤلاء، وليس[2] المراد من ذكر أصحاب مالك، وأبي حنيفة، وأحمد، والشافعي من تأخر منهم، إنما المراد بأصحاب الأئمة من نهجوا منهجهم، وأخذوا بمذهبهم، وكانوا على طريقتهم في الأقوال، والأفعال، والمآخذ من الأصول المنقولة المأثورة عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) في الأصل «كلام».
(٢) وقع في ط: الرياض تحريف شنيع «وليس المراد بأصحاب الأئمة من نهجوا منهجهم، وأخذوا بمذاهبهم».

## فصـــل

**قال الملحد:** (وفي «الإيضاح» للنووي المؤلف في مناسك الحج على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى ما نصه: ومن أحسن ما يقول ما حكاه أصحابنا عن العتبي مستحبين له، قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾ [ النساء: آية ٦٤ ] وقد جئتك مستغفراً من ذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يـا خير من دفنت بـالقـاع أعـظمه
فـطاب من طيبهن القـاع والأكـم
نفسي الفـداء لقبر أنت سـاكنـه
فيه العفاف وفيه الجود والكرم
أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته
على الصراط إذا ما زلَّتِ القـدم

وصاحباك فلا أنساهما أبداً
مني السلام عليكم ما جرى القلم

قال: ثم انصرف، فغلبتني عيناي، فرأيت رسول الله ﷺ في النوم، فقال يا عتبي: إلحق الأعرابي وبشره بأن الله قد غفر له، انتهى).

والجواب أن يقال: هذه الحكاية على تسليم صحتها ليس فيها دليل شرعي يجب المصير إليه عند أهل العلم والإيمان، فقد ذكر العلماء الأدلة الشرعية، وحصروها، وليس أحد منهم استدل على الأحكام برؤيا آحاد الأمة، لا سيما إذا تجردت عما يعضدها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس.

قال شيخنا الشيخ عبد اللطيف رحمه الله: وهذه القصة ذكرها طائفة من متأخري الفقهاء، ولم يذكرها غيرهم ممن يعتد به، ويقتدى به، كالأئمة المتبوعين، وأكابر أصحابهم، وأهل الوجوه في مذاهبهم، كأشهب، وابن القاسم، وسحنون، وابن وهب، وعبد الملك، وابنه، والقاضي إسماعيل من المالكية. ولا من الشافعية كالمزني، والبويطي، وابن عبد الحكم، ومن بعدهم كابن خزيمة، وابن سريج، وأمثالهم ونظرائهم من أهل الوجوه. وكأبي يوسف من أصحاب أبي حنيفة، ومحمد بن الحسن اللؤلؤي، وزفر بن الهذيل، ومن بعدهم كالطحاوي حامل لواء المذهب. وكذلك أصحاب

أحمد، وأصحاب الوجوه في مذهبه، لم يذكرها أحد منهم كعبد الله، وصالح، والخلال، والأثرم، وأبي بكر عبد العزيز، والمروذي، وأبي الخطاب، ومن بعدهم كابن عقيل، وابن بطة.

وبعض[1] من ذكر هذه الحكاية يرويها بلا إسناد، وبعضها عن محمد بن حرب الهلالي، وبعضهم يرويها عن محمد بن حرب عن أبي الحسن الزعفراني عن الأعرابي، وقد ذكرها البيهقي[2] بإسناد مظلم عن محمد بن روح بن يزيد البصري حدثني أبو حرب الهلالي قال: حج أعرابي فذكر نحو ما تقدم.

ووضع لها بعض الكذابين إسناداً إلى علي بن أبي طالب[3]. كما روى أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن الكرخي، عن علي بن محمد بن علي، حدثنا أحمد بن محمد بن الهيثم الطائي، قال حدثنا أبي عن أبيه سلمة بن كهيل عن أبي صادق عن علي بن

---

(١) الكلام من هنا لابن عبد الهادي ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
(٢) في شعب الإيمان. كما في «الصارم المنكي» لابن عبد الهادي ص ٣٣٨.
(٣) إلى هنا موضع الكلام لابن عبد الهادي في «الصارم» ص ٣٣٨ من طبعة الإفتاء. وما بعده نَقْلٌ من «الصارم» ص ٤٣٠.

أبي طالب، فذكر نحو ما تقدم[1].

قال الحافظ بن عبد الهادي: هذا الخبر منكر موضوع[2] لا يصلح الاعتماد عليه، ولا يحسن المصير إليه، وإسناده ظلمات بعضها فوق بعض، والهيثم جد أحمد بن محمد بن الهيثم أظنه ابن عدي الطائي، فإن لم يكن هو فهو كذاب متروك[3]، وإلا فمجهول[4]، وقال عباس[5] الدوري: سمعت يحيى بن معين يقول: الهيثم بن عدي كوفي ليس بثقة كان يكذب، وقال العجلي وأبو داود: كذاب، وقال أبو حاتم الرازي[6] والنسائي والدولابي والأزدي متروك الحديث، وقال

---

(١) ولفظها كما في «الصارم»: ـ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قدم علينا أعرابي بعدما دفنّا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام فرمي بنفسه إلى قبر النبي ﷺ وحثا على رأسه من ترابه. وقال: يا رسول الله قُلْتَ فسمعنا قولك، ووعيت عن الله عز وجل فما وعينا عنك، وكان فيما أنزل الله عز وجل عليك ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفرْ لي.

فنودي من القبر أنه قد غفر لك.

(٢) في «الصارم»: وأثر مختلق مصنوع.

(٣) في «الصارم»: متروك كذاب.

(٤) في «الصارم» بعد قوله: ـ مجهول: ـ وقد ولد الهيثم بن عدي بالكوفة ونشأ بها وأدرك زمان سلمة بن كهيل فيما قيل ثم انتقل إلى بغداد فسكنها. قال عباس...

(٥) في الأصل و ط: الرياض «ابن عباس».

(٦) في الأصل و ط: الرياض «الرازي النسائي».

**السعدي**: ساقط قد كشف قناعه، وقال أبو زرعة: ـ ليس بشيء[1]، وقال ابن عدي: ما أقل ما له من المسند، وإنما هو صاحب أخبار، وأسمار، ونسب، وأشعار[2]، وقال الحاكم أبو عبدالله: ـ الهيثم بن عدي الطائي في علمه ومحله حدث عن جماعة من الثقات أحاديثه منكرة، وقال العباس بن محمد: سمعت بعض أصحابنا يقول: قالت جارية الهيثم: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي فإذا أصبح جلس يكذب؟.

فإذا كانت هذه الحكاية عند أهل العلم بهذه المثابة لم تثبت بسند يعول عليه ويحتج به.

قال الشيخ: ولو سلمنا ثبوت هذه الحكاية فلا دليل فيها على ما ذهب إليه هذا الأحمق من تجويز دعاء الأنبياء والصالحين، وطلب الحوائج منهم. والأعراب لا يُحْتَجُّ بأفعالهم ويجعلها دليلاً شرعياً إلا مصاب في عقله، مفلس في فهمه وعلمه، وكذلك نقل العتبي ومن مضى من رجال سندها ليسوا بشيء. وقد تقدم أن أدلة الأحكام هي الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس المعتبر فيه خلاف، وغير ذلك ليس من

---

(1) في «الصارم» ص ٤٣١: وقال البخاري سكتوا عنه ـ أي تركوه ـ.

(2) في «الصارم»: وقال ابن حبان: كان من علماء الناس بالسير وأيام الناس وأخبار العرب إلا أنه روى عن الثقات أشياء كأنها موضوعات يسبق إلى القلب أنه كان يدلسها.

وقال الحاكم أبو أحمد: ذاهب الحديث.

الأدلة في شيء، ولم يأت عن أحد من الأئمة من عهد الصحابة إلى آخر القرون المفضلة في هذا الباب ما يثبت، لا طلب الاستغفار ولا غيره، وقد تقدم عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعلى أنه حكي الإجماع على منعه.

ولو فرض أن هذا الأعرابي قد غفر له فذلك أيضاً لا يدل على حسن حاله، وأسباب الكائنات لا يحصيها إلا الله تعالى، وقد يستجاب لعباد الأصنام استدراجاً، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» ثم ليس في الحكاية أنه سأل الرسول شيئاً، غايته أنه توسل به، ومسألة التوسل بذاته ﷺ غير مسألة دعائه والاستغاثة به والطلب منه، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [ آل عمران: آية ١٣٥ ] فإذا كان هذا المختص بمغفرة الذنوب فكيف تطلب المغفرة من غيره تعالى وتقدس، وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿ ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم ﴾ بما أغنى عن إعادته هنا.

**وأما ما ذكره في** (المستوعب) لأبي عبدالله السامري الحنبلي وفيه «اللهم إنك قلت في كتابك لنبيك عليه السلام: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ﴾ «الآية».

**فنقول** هذا من نمط ما قبله وقد تقدم الكلام عليه.

**ثم قال الملحد**: (سئل العلامة الشهاب الرملي عن ما يقع

من العامة من قولهم عند الشدائد: يا شيخ فلان ونحو ذلك، فأجاب: بأن الاستغاثة بالأنبياء والمرسلين والأولياء والعلماء والصالحين جائزة، وللرسل والأنبياء والأولياء إغاثة بعد موتهم، لأن معجزة الأنبياء وكرامة الأولياء لا تنقطع، انتهى).

فالجواب أن يقال: قد تقدم أن الإستغاثة هي طلب الغوث، وهو: إزالة الشدة، كالاستنصار طلب النصر، والاستعانة طلب العون، وذكرنا فيما تقدم كلام أبي عبد الله القرشي أحد مشايخ الطريقة أنه قال: إستغاثة المخلوق بالمخلوق كإستغاثة الغريق بالغريق، وعن ذي النون[1] إستغاثة المخلوق بالمخلوق كإستغاثة المسجون بالمسجون.

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في الرسالة السنية: فإذا كان على عهد رسول الله ﷺ ممن انتسب إلى الإسلام مَنْ مَرَقَ منه مع عبادته العظيمة، فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام لأسباب منها: الغلو في بعض المشائخ، بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح عليه السلام، فكل من غلا في نبي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية مثل أن يقول: يا سيدي فلان أنصرني، أو أغثني، وارزقني، أو أنا في حسبك، ونحو هذه الأقوال، فهذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه وتعالى إنما أرسل الرسل، وأنزل

(١) في الأصل والمطبوعة بالرياض «ذا النون».

الكتب ليعبد وحده لا شريك له، ولا يدعى معه إله، والذين يدعون مع الله آلهة أخرى مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلائق، أو تنزل المطر، أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدونهم، أو يعبدون قبورهم، أو يعبدون صورهم يقولون: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله فبعث الله سبحانه رسله تنهى أن يُدْعى أحد من دونه، لا دعاء عبادة ولا دعاء إستغاثة انتهى.

وقال أيضاً: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم، ويتوكل عليهم، ويسألهم كفر إجماعاً. نقله عنه[1] صاحب الفروع، وصاحب الإنصاف، وصاحب الإقناع.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: ومن أنواعه ـ يعني الشرك ـ طلب الحوائج من الموتى، والإستغاثة بهم، والتوجه إليهم، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلاً لمن إستغاث به أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده، وقد تقدم بتمامه.

وبالجملة فضابط هذا أن كل ما شرعه الله لعباده، وأمرهم به ففعله لله عبادة، فإذا صَرَفَ العبد من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك، مصادم لما بعث الله به رسوله من قوله: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴾ [ الزمر: آية ١٤ ].

(١) في الأصل و ط: الرياض «عن» ولعل الصواب ما أثبته.

فإذا عرفت هذا فهذا الرجل المسمى الشهاب الرملي إن كان من المعروفين بالعلم ـ لأني لا أعرف ما حاله ـ فهو من جنس السبكي وأضرابه الغالين الذين يصنفون في إباحة الشرك وجوازه زاعمين أن ذلك من تعظيم الرسول، وتعظيم الأنبياء، والأولياء، وذلك لجهلهم، وعدم إدراكهم لحقائق الدين، ومدارك الأحكام، وليس لهم قدم صدق في العالمين، ولا كانوا من العلماء العاملين، فلا حجة في أقوالهم ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [ النور: آية ٤٠ ] ثم لو كان الشهاب الرملي من أهل الفضل والعلم والعبادة وأكابر أهل الفقه والورع والزهادة لكان قد أخطأ فيما قاله وأراده، ودعا إلى عبادة غير الله، وهذا يوجب كفره وارتداده.

وأما معجزات الأنبياء وكرامة الأولياء فهي لا تدل على دعائهم، ولا الإستغاثة بهم، وصرف خالص حق الله لهم، وإنما تدل على علو درجتهم، وكرامتهم على الله، وقربهم منه. وقد قال ﷺ لما طلب الصحابة رضي الله عنهم من النبي أن يغيثهم من المنافق الذي آذاهم: «إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله عز وجل»[1] وقد قال الله

(١) تقدم الكلام عليه في «الردّ على القبوريين» لابن معمّر. وأن في سنده ابن لهيعة لكن تكلم عليه شيخ الإسلام بكلام حسن عندما تعقبه البكري في إيراد هذا الحديث فقال في ردّه على البكري ص ١٥٣:

هذا الخبر لم يذكر للاعتماد عليه، بل ذكر في ضمن غيره ليتبين أن معناه موافق للمعاني المعلومة بالكتاب، والسنة، كما أنه إذا ذكر حكم بدليل =

تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ [ الزمر: آية ٦٥ ] وهؤلاء الغلاة لا يأتمرون بما أمر الله به ورسوله، ولا ينتهون عما نهى الله عنه ورسوله، فالله المستعان.

= معلوم، ذكر ما يوافقه من الآثار والمراسيل وأقوال العلماء وغير ذلك لما في ذلك من الاعتضاد والمعاونة، لا لأن الواحد من ذلك يعتمد عليه في حكم شرعي.

ولهذا كان العلماء متفقين على جواز الاعتضاد والترجيح بما لا يصلح أن يكون هو العمدة من الأخبار التي تُكلم في بعض رواتها لسوء حفظ أو نحو ذلك، وبآثار الصحابة والتابعين، بل بأقوال المشايخ والإسرائيليات والمنامات مما يصلح للاعتضاد، فما يصلح للاعتضاد نوع، وما يصلح للاعتماد نوع.

وهذا الخبر من النوع الأول فإنه رواه الطبراني في معجمه من حديث ابن لهيعة، وقد قال أحمد: قد تكتب حديث الرجل لأعتبر واستشهد به مثل حديث ابن لهيعة.

فإن عبد الله بن لهيعة قاضي مصر كان من أهل العلم والدين باتفاق العلماء، ولم يكن ممن يكذب باتفاقهم. ولكن قيل: إن كتبه احترقت فوقع في بعض حديثه غلط، ولهذا فرّقوا بين من حدّث عنه قديماً، وبين من حدث عنه حديثاً. وأهل السنن يروون له.

إلى أن قال: -

وقد روى الناس هذا الحديث من أكثر من خمسمائة سنة إن كان ضعيفاً، وإلا فهو مروي في زمان النبي ﷺ، وما زال العلماء يقرؤون ذلك، ويسمعونه في المجالس الكبار والصغار، ولم يقل أحد من المسلمين إن إطلاق القول: إنه لا يستغاث بالنبي ﷺ كفر ولا حرام... إلخ كلامه رحمه الله تعالى.

## فصـــل

**قال الملحد:** (وروي عن ابن عباس أن عمر رضي الله عنه قال: «اللهم إنا نستقيك بعم نبيك ﷺ، ونستشفع إليك بشيبته، فسقوا» وفي ذلك يقول عباس بن عتبة بن أبي لهب:

بِعَمِّيَ سقـا الله الحجـازَ وأهْلَه
عشيَّةَ يَسْتَسْقِي بِشَيْبَتِهِ عُمَرْ)

**والجواب أن يقال:** هذا الحديث الذي ذكره عن ابن عباس لم يذكره بإسناده، ولم يعزه إلى شيء من الكتب المعتمدة، وفيه ألفاظ مخالفة للأخبار الصحيحة، فلا اعتماد على ما ذكره، والمحفوظ المعتمد عليه ما ذكره البخاري في صحيحه عن أنس أن عمر استسقى بالعباس بن عبد المطلب، وقال: «اللهم إنا كنا إذا أجد بنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» فيسقون.

قلت: وقد ورد في بعض الألفاظ: قم يا عباس فادع الله. فاستسقوا به كما كانوا يستسقون بالنبي ﷺ في حياته، وهو

أنهم يتوسلون بدعائه وشفاعته، فيدعو ويدعون معه، كالإمام والمأمومين من غير أن يكونوا يقسمون على الله بمخلوق، كما ليس لهم أن يقسم بعضهم على بعض بمخلوق، ولما مات ﷺ توسلوا بدعاء العباس واستسقوا به.

ولهذا قال الفقهاء: يستحب الإستسقاء بأهل الخير والدين، والأفضل أن يكونوا من أهل بيت النبي ﷺ، وقد استسقى معاوية بيزيد بن الأسود الجرشي، وقال: «اللهم إنا نستسقي بيزيد بن الأسود: يا يزيد أرفع يديك، فرفع يديه ودعا، ودعا الناس حتى امطروا، وذهب الناس. ولم يذهب أحد من الصحابة إلى قبر نبي ولا غيره يستسقي عنده ولا به.

**وأما قوله:** (وفي رواية للزبير بن بكار أن العباس رضي الله عنه قال في دعائه: وقد توجه بي القوم إليك لمكاني من نبيك ﷺ فأسقنا الغيث، فأرخت السماءُ مثلَ الجبالِ حتى أخصبت الأرض. انتهى).

**فأقول:** قال الحافظ في الفتح، وقد بين الزبير بن بكار في الأنساب صفة ما دعا به العباس لما استسقى به عمر قال: اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماءُ مثل الجبالِ، حتى أخصبت الأرض، وعاش الناس.

وقد أسقط هذا الملحد من هذا الأثر قوله: اللهم إنه لم

ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة. لعلمه أنه يعود على مقصوده بالهدم، وذلك أنهم إنما سألوا به ليدعو لهم، فاستكان لله تعالى بالاعتراف وبالذنب، وأنهم قد أتوه تائبين منيبين.

وكذلك أسقط منه قوله: «ونواصينا إليك بالتوبة» وهذا توسل منه بهذا العمل الصالح، وهو التوبة، وعلى تقدير صحة هذا الأثر فلا دليل فيه على ما يتوهمه، فإن توسلهم بالعباس بدعاء حي يقدر على الدعاء، وهذا لا محذور فيه، وقد فعله أصحاب رسول الله ﷺ. وإنما المحذور المنهي عنه دعاء الأموات، والتوجّه بهم، والتوسل بهم وهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا الأئمة المهديين، والعلماء والراسخين.

**وأما قوله**: (وفي هذا يبطل قول من منع التوسل مطلقاً سواء كان في الأحياء وبالأموات، وقول من منع ذلك بغير النبي ﷺ لأن فعل عمر رضي الله عنه حجة لقوله ﷺ: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» رواه الإمام أحمد والترمذي)[1].

---

(١) في الأصل: «تسلوا» وفي ط الرياض: «سلوا».

(٢) هذا الحديث روي عن جماعة من الصحابة. منهم ابن عمر أخرجه الترمذي في الفضائل من جامعه ٥/٦١٧ وفي سنده خارجه بن عبد الله.

ومنهم أبو ذر كما في مسند أحمد ٥/١٧٧ وابن ماجه ٢/٤٠ وأبو داود ٣/٣٦٥.

فالجواب على هذا من وجوه: -

**الأول**: أن في سنده خارجة بن عبد الله الأنصاري، وهو ضعيف ضعفه أحمد.

**الثاني**: أن عمر استسقى بدعاء حي حاضر يقدر على الدعاء، وليس في هذا ما يدل على الاستسقاء بالأموات، ولو كان هذا جائزاً لما عدل الفاروق عن الاستسقاء بالنبي ﷺ إلى الاستسقاء بالعباس الحيّ، فالقياس باطل، والتوهم تحكم.

**الثالث**: أن جعل الحق على لسان عمر وقلبه لا يستلزم كون فعله رضي الله عنه حجة، ومن يدعيه فعليه البيان، خصوصاً إذا خالفه غيره من الصحابة.

**الرابع**: أن المقصود أن الله تعالى أجرى الحق على لسان عمر رضي الله عنه في وقائع، كما قال ابن عمر راوي الحديث: ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال فيه عمر إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر. ويقويه الحديث المتفق عليه عن أنس وابن عمر أن عمر قال:[1] وافقت ربي في ثلاث. قلت يا رسول الله: لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى؟ فنزلت ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [ البقرة: آية

= ومنهم أبو هريرة، وعمر بن الخطاب نفسه، وابن عمر، وبلال، ومعاوية ابن أبي سفيان، وعائشة، وعلي بن أبي طالب موقوفاً عليه، وابن مسعود كذلك، وطارق بن شهاب كذلك. ذكرها كلها الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٦٦-٦٧.

(١) في طبعة الرياض «وابن عمر إن قال عمر».

١٢٥ ] وقلت يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن يحتجبن فنزلت آية الحجاب، واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه فقلت: ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ ونزلت كذلك. إلى غير ذلك من الأمور التي وافق فيها عمر، كقصة أسارى بدر، وقصة الصلاة على المنافقين.

وجملة القول أن هذا الحديث على تقدير ثبوته ليس معناه إلا ما روي في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد كان فيمن قبلكم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر» المُحَدَّث الملهم[1]، وقيل الرجل الصادق الظن، وهو من ألقي في روعه شيء من قبل الملأ الأعلى فيكون كالذي حدثه غيره به، وقيل من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، وقيل المُكَلَّم أي تكلمه الملائكة بغير نبوة، وقيل الملهم بالصواب الذي يلقى على فيه، وعلى كل تقدير لا يحكم بما وقع للمُحَدَّث بل لا بد له من عرضه على الكتاب والسنة، ومن ثم أجمع أهل السنة على أن إلهام غير النبي ﷺ ليس بحجة، وعلى هذا المعنى ينبغي أن يحمل حديث ابن عمر المذكور، وليس الغرض أن الله جعل الحق في كل حادثه وواقعة على لسان عمر وقلبه، وأن فعله وقوله حجة شرعية، وأنه لا يقع منه خطأ قط، وإلا لما خالفه ونازعه أحد

(١) ذكر هذه الأقوال الحافظ ابن حجر في الفتح عند كلامه على هذا الحديث ٥٠/٧.

من الصحابة والتابعين من بعدهم من أهل الحديث والفقه، والثاني باطل فإن مخالفات الصحابة لعمر رضي الله عنه أكثر من أن يكتب في هذا المختصر، وأشهر من أن يخفى على من له إلمام بكتب الحديث والأثر، ثم كيف يصح القول بحجية فعل عمر رضي الله عنه عموماً كما زعم هذا المؤلف فقد أخطأ عمر رضي الله عنه في مسائل: منها عدم جواز التيمم عنده لمن أجنب فلم يجد الماء. ومنها عدم جواز التمتع في الحج عنده. ومنها قوله: إن لمعتدة[1] الثلاث السكنى والنفقة، إلى غير ذلك من الأمور التي أخطأ فيها، ورجع فيها إلى الصواب. وكان الصديق رضي الله عنه يقومه في أشياء كثيرة، كما قوّمه يوم صلح الحديبية، ويوم موت النبي ﷺ، بل كان آحاد الناس يبين له الصواب فيرجع إلى قوله، كما راجعته امرأة في قوله: «لئن بلغني أن أحداً زاد صداقه على صداق أزواج النبي ﷺ وبناته إلا رددت الفضل في بيت المال» فقالت له امرأة: لم تحرمنا شيئاً أعطانا الله إياه؟ وقرأت قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا﴾[2] [ النساء: آية ٢٠ ] فرجع إلى قولها وقال في لفظ آخر: الله أكبر أصابت امرأة وأخطأ عمر، وأمثال هذا كثير.

إذا عرفت هذا فليس في قوله ﷺ: «إن الله جعل الحق

(١) في الأصل وط الرياض: «المعتدة».
(٢) الحديث رواه أحمد وأهل السنن. وسرد طرقه ابن كثير في تفسير الآية.

على لسان عمر وقلبه» حجة على جواز التوسل بالنبي، والإستغاثة به بعد موته ﷺ، ولا بأحد من الأموات والغائبين، لا من الأنبياء والأولياء، ولا غيرهم من الصالحين، غاية ما فيه أن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه، ومن ذلك أنه عدل عن التوسل بالنبي ﷺ بعد موته إلى التوسل بدعاء العباس، وهذا من الحق الذي جعل الله على لسان عمر وقلبه، وسيأتي إيضاح هذا فيما بعد عن قريب إن شاء الله تعالى.

**وأما قول الملحد**: (ولا يقال فيه دليل على امتناع التوسل بالنبي ﷺ بعد انتقاله لأن التوسل والاستسقاء بالنبي ﷺ كان معلوماً عندهم كما تقدم في القصة التي رواها ابن حنيف، وكما في توسل آدم في الحديث المتقدم الذي رواه عمر رضي الله عنه، وإنما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم أن الاستسقاء بغير النبي ﷺ لا يجوز).

**فالجواب أن نقول**: قد تقدم الجواب عن هذا، وأنه لم يكن يفعله أحد من الصحابة، ولا التابعين، ولا من بعدهم من الأئمة المقلدين، ولذلك عدل عمر رضي الله عنه عن التوسل به ﷺ إلى التوسل بالعباس، وقد ألهم الصواب لأن الله جعل الحق على لسانه وقلبه.

وأما حديث الأعمى فليس فيه ما يدل على غيبته ﷺ، وهو توسل بدعائه، كما كان الصحابة يتوسلون بذلك، ويسألونه الاستغفار والدعاء، وهذا كان هديهم وفعلهم في حياته ﷺ

كما تقدم، وأما بعد وفاته فلم يفعله أحد من الصحابة رضي الله عنهم.

وأما الذي حدثه عثمان بن حنيف فلم يخاطبه، ولم يثبت ذلك في حديث الأعمى - أعني مخاطبته ﷺ - والذي رواه من أهل السنن المعتبرة لم يثبت مخاطبة الرسول، بل هي ساقطة في الأصول المحررة، ومسألة السؤال به أو بحقه غير مسألة نفسه ودعائه.

وأما الحديث الذي عزاه لعمر بن الخطاب بتوسل آدم بجاه محمد فهو حديث موضوع مكذوب باتفاق أهل العلم بالحديث.

**وأما قوله**: - (وإنما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم أن الاستسقاء بغير النبي ﷺ لا يجوز.).

**فالجواب أن يقال**: قد ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانوا إذا قحطوا استسقى بالعباس رضي الله عنه، قال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فأسقنا فيسقون. فإنه لو كان التوسل به عليه الصلاة والسلام بعد انتقاله من هذه الدار جائز لما عدلوا إلى غيره بل كانوا يقولون: اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. وحاشاهم أن يعدلوا عن التوسل بسيد الناس إلى التوسل بعمه العباس وهم يجدون أدنى مساغ لذلك، فعدولهم هذا مع أنهم السابقون

الأولون وهم أعلم منا بالله تعالى ورسوله ﷺ بحقوق الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، وما يشرع من الدعاء وما لا يشرع، وهم في وقت ضرورة ومخمصة يطلبون تفريج الكربات، وتيسير العسير، وإنزال الغيث بكل طريق، دليل واضح على أن المشروع ما سلكوه دون غيره.

**وأما قوله**: (وإنما فعله عمر رضي الله عنه لدفع توهم أن الاستسقاء بغير النبي لا يجوز).

**فأقول فيه كلام من وجوه**: -

**الأول**: أن المراد بالاستسقاء بالعباس والتوسل به الوارد في حديث أنس رضي الله عنه هو الاستسقاء بدعاء العباس، على طريقة معهودة في الشرع، وهي أن يخرج من يستسقي به إلى المصلي، فيستسقي ويستقبل القبلة داعياً، ويحوّل رداءه، ويصلي ركعتين أو نحوه من هيئات الاستسقاء التي وردت في الصحاح، والدليل عليه قول عمر رضي الله عنه: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. ففي هذا القول دلالة واضحة على أن التوسل بالعباس كان مثل توسلهم بالنبي ﷺ، والتوسل بالنبي ﷺ لم يكن إلا بأن يخرج، ويستقبل القبلة، ويحوّل رداءه، ويصلي ركعتين أو نحوه من الهيئات الثابتة في الاستسقاء، ولم يرد في حديث ضعيف فضلاً عن الحسن والصحيح أن الناس طلبوا السقيا من الله في حياته متوسلين به ﷺ من غير أن يفعل ما يفعل في

الاستسقاء المشروع من طلب السقيا والدعاء والصلاة وغيرهما مما ثبت بالأحاديث الصحيحة، ومن يدعي وروده فعليه الإثبات.

إذا تمهد هذا فاعلم أن الاستسقاء والتوسل على الهيئة التي وردت في الصحاح من الاستسقاء لا يمكن إلا بالحي لا بالميت، فالقول بإمكان هذا الاستسقاء بالنبي ﷺ بعد وفاته من أبطل الباطل، وكان القول بأنه لو استسقي بالنبي ﷺ لربما يفهم منه بعض الناس أو يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره بديهي البطلان، فإن ما ثبت بفعله ﷺ هو مشروع لنا لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [ الحشر: آية ٧ ] وقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [ الأحزاب: آية ٢١ ] ما لم يدل دليل على كونه مخصوصاً بالنبي ﷺ، فلا مجال لهذا التوهم حتى يحتاج إلى دفعه.

**والثاني**: أن المقصود لو كان دفع التوهم المذكور لكان أولى بأن يتوسل بحي غير النبي ﷺ في حياته، أو بميت غير النبي ﷺ بعد وفاته، أو بميت غير النبي ﷺ في حياته، فإن هذه الصور الثلاث أبعد من أن يبدو فيها الاحتمال الآتي من أنه إنما استسقي بالعباس لأنه حي، والنبي ﷺ قد مات، وأن الاستسقاء بغير الحي لا يجوز، فلما ترك عمر رضي الله عنه تلك الصور، واختار الصورة التي يتأتى فيها الاحتمال المذكور

دل هذا الصنيع عل أن مقصوده رضي الله عنه ليس دفع التوهم المذكور.

**الثالث:** أن توهم عدم جواز الاستسقاء بغير النبي ﷺ أخف من توهم عدم جواز الاستسقاء بالميت، لا سيما إذا كان ذلك الميت غير النبي ﷺ، فكان هذا التوهم أولى بالدفع، فكان الأنسب حينئذ أن يستسقي بميت غير النبي ﷺ.

**الرابع:** أن هذا التعليل فاسد لأن المعلل لم يقم عليه برهان ولا دليل فلا يصغي إليه.

## فصـــل

**قال الملحد:** (وقد ذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى «بالخيرات الحسان في مناقب الإمام أبي حنيفة» في الفصل الخامس والعشرين أن الإمام الشافعي أيام هو ببغداد كان يتوسل بالإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، يجيء إلى ضريحه يزور فيسلم عليه، ثم يتوسل إلى الله تعالى في قضاء حاجاته، وقد ثبت توسل الإمام أحمد بالشافعي رضي الله عنهما، حتى تعجب ابنه عبد الله من ذلك، فقال له الإمام أحمد: إن الشافعي كالشمس للناس وكالعافية للبدن).

**والجواب أن يقال لهذا الجاهل البليد كيف يثبت دين الله** تعالى بمثل هذه الأقوال الكاسدة، والشبه المعتلة الفاسدة. **أيظن أن كل أحد يروج عليه الباطل، ويشتبه عليه العاطل؟** **كَلّا فإن لله رجالاً ينفون عن دينه زيغ المبطلين، وتحريف الملحدين.**

**ثم إن هذه الحكاية من الكذب المعلوم كذبه بالاضطرار**

(١) كذّب شيخ الإسلام ابن تيمية هذه القصة في «الاقتضاء» ٢/٦٨٥.

عند من له معرفة بالنقل والآثار[1]، فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده ألبتة، بل ولم يكن هذا على عهد الشافعي معروفاً، وقد رأى الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين، من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده.

ثم إن أصحاب أبي حنيفة الذين أدركوه مثل أبي يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر، والحسن بن زياد، وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء عند قبر أبي حنيفة ولا غيره.

ثم إن الشافعي قد صرح في بعض كتبه بكراهة تعظيم قبور المخلوقين خشية الفتنة بها، وإنما يضع هذه الحكايات من يقل علمه ودينه، وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لا يعرف، ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكايات المسيِّبة أحاديث عمن لا ينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت، فكيف بالمنقول عن غيره.

ثم هذه الحجج دائرة بين نقل لا يجوز إثبات الشرع به، أو قياس لا يجوز استحباب العبادات بمثله، مع العلم بأن الرسول لم يشرعها، وتركه مع قيام المقتضي بمنزلة فعله، وإنما يُثْبت العبادات بمثل هذه الحكايات والمقاييس من غير

(1) في ط: الرياض «نقل».

نقل عن الأنبياء[1] النصارى وأمثالهم، وإنما المتبع في إثبات أحكام الله وسنة رسوله ﷺ وسبيل السابقين الأولين لا يجوز إثبات حكم شرعي بدون هذه الأصول الثلاثة نصاً واستنباطاً بحال.

**وأما قوله**: (وقد تثبت توسل الإمام أحمد بالشافعي) **فهو من نمط** ما قبله مما يعلم كل عاقل بالضرورة أنه من الكذب بل لا بد من رفع هذه الأمور إلى أصحابها بسند يعتمد عليه، ودونه لا يسمع، ثم لو ثبت ذلك فأفعالهم وتقريراتهم ليست من الحجة في شيء، وحاشاهم من ذلك فهم أجل قدراً، وأعظم خطراً من أن تجري منهم هذه الأمور، وهي لم يفعلها أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، وشيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه أجاب في كتابه «اقتضاء الصراط المستقيم» عن مثل شبه هذا الملحد بوجهين . ـ مجمل ومفصل، وقد أجاد فيها وأفاد، وحيث أن ذلك مما لا يمكننا نقل جميعه فلا بأس أن نذكر المجمل.

قال رحمه الله تعالى: أما المجمل فالنقض، فإن اليهود والنصارى عندهم من الحكايات والقياسات من هذا النمط كثير، بل المشركون الذين بعث إليهم رسول الله ﷺ كانوا يدعون عند أوثانهم فيستجاب لهم أحياناً كما يستجاب لهؤلاء أحياناً، وفي وقتنا هذا عند النصارى من هذا طائفة، فإن كان

---

[1] وفي الأصل «أنبياء».

هذا وحده دليلاً على أن الله يرضى ذلك ويحبه فليطرد الدليل، وذلك كفر متناقض، ثم إنك تجد كثيراً من هؤلاء الذين يستغيثون عند نبي أو غيره، كل منهم قد اتخذ وثنا أحسن به الظن بآخر، وكل منهم يزعم أن قرينه يستجاب عنده، ولا يستجاب عند غيره، فمن المحال أصابتهم جميعاً، موافقة بعضهم دون بعض تحكم وترجيح بلا مرجح، والتدين بدينهم جميعاً جمع بين الأضداد، فإن أكثر هؤلاء إنما يكون تأثيرهم فيما يزعمون بقدر إقبالهم على وثنهم، وانصرافهم عن غيره، وموافقتهم جميعاً فيما يثبتونه دون ما ينفونه يضعف التأثير على زعمهم، فإن الواحد إذا حسن الظن بالإجابة عند هذا، وهذا لم يكن تأثره مثل تأثر الحسن الظن بواحد دون آخر، وهذه كلها من خصائص الأوثان، ثم قد استجيب لبلعام بن باعورا في قوم موسى المؤمنين، وسلبه الله تعالى الإيمان، والمشركون قد يستسقون فيسقون، ويستنصرون فينصرون انتهى.

وفيه كفاية لمن كشف الله عن بصيرته حجب الغفلة، والله الهادي إلى سواء السبيل.

## فصـــل

**قال الملحد:** (وذكر العلامة ابن حجر في كتابه المسمى «بالصواعق المحرقة لأهل الضلال والزندقة» إن الإمام الشافعي رضي الله عنه توسل بأهل البيت النبوي حيث قال: -

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمنى صحيفتي

انتهى، من كتاب «خلاصة الكلام» مع بعض تقرير واختصار).

**والجواب أن نقول:** وهذا أيضاً من نمط ما قبله، وفيه من الكلام كما فيما قبله. وابن حجر المكي - عامله الله بعدله - من الغالين في الصالحين، ومن الثالبين لأئمة المسلمين، الذين جردوا توحيد العبادة لله رب العالمين، وجاهدوا في الله ولله من خرج عن سبيل المؤمنين ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [ النساء - ١١٥ ] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [ النور - ٤٠ ] ومن كانت هذه حاله،

وهذه أقواله فحقيق أن لا يلتفت إليه. وعلى تقدير ثبوته وصحته إن كان النقل صحيحاً أن المضاف هنا مقدرٌ تقديره: إن حب آل محمد، وتعظيمهم، واتباعهم، والصلاة عليهم ذريعتي ووسيلتي، وكان في قوله: أرجو بهم، أي أرجو بحبهم وتعظيمهم واتباعهم.

**وأما قول هذا الملحد**: (فتحصل لنا من هذا جميعه أنه يجوز التوسل بالنبي ﷺ قبل وجوده، وفي حياته، وبعد انتقاله، وأنه يصح التوسل بغيره أيضاً من الأحياء).

**فأقول**: أما التوسل به ﷺ قبل وجوده فمسند[1] **هؤلاء** الغلاة فيه على حديث موضوع مكذوب كما بيناه فيما سبق **وأما** في حياته ﷺ فقد بينا فيما تقدم أن ذلك بدعائه كما ذكرنا كلام أهل العلم بما أغنى عن إعادته. وأما بعد وفاته فقد بينا أنه ليس من هدي الصحابة رضي الله عنهم، وأنهم لم يكونوا يفعلونه، ولا نَقَلَ ذلك عنهم أحد من العلماء الذين يعتد بهم.

وإذا علمت هذا فقد قال النبي ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»، وفي رواية (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وما ذكره هؤلاء المشبهون من الأحاديث في جواز ذلك فمنها ما هو موضوع، ومنها ما هو معلول لا تقوم به الحجة، ولا تثبت به الأحكام الشرعية، وكذلك ما ذكر من

(١) في الأصل، وط: الرياض «ومسند».

الحكايات التي هي كالخيالات والخرافات التي يوردها أهل الشبهات هي كلها من الموضوعات المكذوبات، والله الهادي إلى الصواب.

**وأما قوله**: (وقد أجمع من يعتد بإجماعه من المسلمين على ذلك).

**فأقول**: هذه دعوى مجردة، وقوله: (وهو مذهب الأئمة الأربعة) فأقول: وهذا أيضاً أبطل مما قبله، فإنه لم يذكر عن الأئمة الأربعة إلا هذه الحكايات الموضوعة المكذوبة التي وضعها بعض الغلاة في الصالحين.

**وقوله**: (ومستندهم الكتاب والسنة لما قدمنا، والإجماع حجة قاطعة).

**فأقول**: هذا قول على كتاب الله، وعلى سنة رسول الله، وعلى جميع العلماء بغير علم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف - ٣٣].

وهذا الملحد لم يذكر من كتاب الله، وسنة رسوله، والإجماع القاطع ما يدل على ما توهمه، بل هو عليه لا له، ولا يعجز كل مبطل عن مثل هذه الدعوى فالله المستعان.

وإذا كان هذا جميع ما تحصل له من ما مَرّ حكايته عنه من

القول القاسط، والهذيان الساقط، فيتعين أن نذكر من كلام أهل العلم ما يبطل دعواه: إن مستنده كتاب الله، وسنة رسوله، والإجماع القاطع، وما يترتب على ذلك من المفاسد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:

## فصـــل

ثم إن في اتخاذ القبور أعياداً من المفاسد العظيمة التي لا يعلمها إلا الله تعالى ما يغضب لأجله كل من في قلبه وقار لله تعالى، وغيرة على التوحيد[1]، وتهجين وتقبيح للشرك، ولكن ما لجرح بميت إيلام.

فمن مفاسد اتخاذها أعياداً: الصلاة إليها، والطواف بها، وتقبيلها، واستلامها، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها، والاستغاثة بهم، وسؤالهم النصر والرزق والعافية وقضاء الديون، وتفريج الكربات، وإغاثة اللهفات وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم، فلو رأيت غلاة المتخذين لها عيداً، وقد نزلوا عن الأكوار والدواب إذا رأوها من مكان بعيد، فوضعوا لها الجباه، وقبّلوا الأرض، وكشفوا الرؤوس، وارتفعت الأصوات بالضجيج، وتباكوا حتى تسمع لهم النشيج، ورأوا أنهم قد أربوا في الربح على

(١) في النسختين: «وغيرة التوحيد» وما أثبته من إغاثة اللهفان ص١٠٢ ط الميمنية بمصر.

الحجيج، فاستغاثوا بمن لا يبدي ولا يعيد، ونادوا ولكن من مكان بعيد، حتى إذا نزلوا منها صلوا عند القبر ركعتين، ورأوا أنهم قد أحرزوا من الأجر ولا أجر من صلى إلى القبلتين، فتراهم حول القبر ركعاً وسجداً، يبتغون فضلاً من الميت ورضوانا، وقد ملؤا أكفهم خيبة وخسرانا، فلغير الله بل للشيطان ما يراق هناك من العبرات، ويرتفع من الأصوات، ويطلب من الميت من الحاجات، ويسأل من تفريج الكربات، وإغناء ذي الفاقات، ومعافاة أولي العاهات والبليات، ثم انثنوا بعد ذلك حول القبر طائفين، تشبيهاً له بالبيت الحرام الذي جعله الله مباركاً وهدى للعالمين، ثم أخذوا في التقبيل والاستلام، أرأيت الحجر الأسود وما يفعل به وفد البيت الحرام؟ ثم عفروا لديه تلك الجباه والخدود، الذي يعلم الله أنها لم تعفر كذلك بين يديه في السجود، ثم كمّلوا مناسك حج القبر بالتقصير هناك والحلاق، واستمتعوا بخلاقهم من ذلك الوثن إذ لم يكن لهم عند الله من خلاق، وقربوا لذلك الوثن القرابين، وكانت صلاتهم ونسكهم وقربانهم لغير الله رب العالمين، فلو رأيتهم يهنىء بعضهم بعضاً، ويقول: أجزل[1] الله لنا ولكم أجراً وافراً وحظاً، فإذا رجعوا سألهم غلاة المتخلفين أن يبيع أحدهم ثَوَابَ حَجّه القبرَ بحج المتخلف إلى البيت الحرام، فيقول: لا ولو بحجك كل عام. هذا ولم

(١) في النسختين: «أجزء وما أثبته من «إغاثة اللهفان».

نتجاوز ما حكينا عنهم، ولا استقصينا جميع بدعتهم وضلالتهم إذ هي فوق ما يخطر بالبال، أو يدور في الخيال.

وهذا كان مبدأ عبادة الأصنام في قوم نوح كما تقدم، وكل من شم أدنى رائحة من العلم والفقه يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى هذا المحذور، وأن صاحب الشرع أعلم بعاقبة ما نهى عنه، وما يؤول إليه، وأحكم في نهيه عنه، وتوعده عليه، وأن الخير والهدى في اتباعه وطاعته، والشر والضلال في معصيته ومخالفته.

ورأيت لأبي الوفاء[1] بن عقيل في ذلك فصلاً حسناً، فذكرته بلفظه، قال: لما صعبت التكاليف على الجهال والطغام، عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم، فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم، قال: وهم عندي كفار، مثل تعظيم القبور وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران، وتقبيلها، وتخليقها، وخطاب الموتى بالحوائج، وكَتْب الرقاع فيها: يا مولاي افعل بي كذا أو كذا، وأَخْذِ تربتها تبركاً، وإفاضة الطيب على القبور، وشد الرحال إليها، وإلقاء الخرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى، والويل عندهم لمن لم يُقَبِّلْ مشهد الكف، ولم يتمسح بآجرة مسجد الملموسة يوم الأربعاء، ولم يقل

(١) في النسختين «ورأيت لأبي عبد الله الوفاء بن عقيل» وما أثبته من «الإغاثة».

الحمالون على جنازته: الصديق أبو بكر أو محمد وعلي، أو لم يعقد[1] على قبر أبيه أزجا بالجص والآخر، ولم يخرق ثيابه إلى الذيل، ولم يرق ماء الورد على القبر، انتهى.

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور، وما أمر به، ونهى عنه، وما كان عليه أصحابه، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر، مناقضاً له، بحيث لا يجتمعان أبداً.

فنهى رسول الله ﷺ عن الصلاة إلى القبور، وهؤلاء يصلون عندها.

ونهى عن اتخاذها مساجد، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله تعالى.

ونهى عن إيقاد السرج عليها، وهؤلاء يُوَقِّفُون الوُقُوفَ على إيقاد القناديل عليها.

ونهى أن يتخذ عيداً، وهؤلاء يتخذون أعياداً ومناسك، ويجتمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر.

وأمر بتسويتها كما روى مسلم في صحيحه عن أبي الهياج الأسدي، قال قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألا أدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته، وفي صحيحه أيضاً عن

(١) في النسختين ولم يعقده وما أثبته من الإغاثة.

ثمامة بن شفي قال: كنا مع فضالة بن عبيد بأرض الروم برودس فتوفى صاحب لنا فأمر فضالة بقبره فسوي، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها، وهؤلاء يبالغون في مخالفة هذين الحديثين، ويرفعونها من الأرض كالبيت، ويعقدون عليها القباب.

ونهى عن تجصيص القبر والبناء عليه، كما روي مسلم في صحيحه عن جابر قال: نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليها وأن يبنى عليه بناء.

ونهى عن الكتابة عليها، كما روى أبو داود في سننه عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن تجصيص القبور، وأن يكتب عليها. قال الترمذي حديث حسن صحيح، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح، ويكتبون عليها القرآن وغيره.

ونهى أن يزاد عليها غير ترابها، كما روى أبو داود من حديث جابر أيضاً أن رسول الله ﷺ نهى أن يجصص القبر، أو يكتب عليه، أو يزاد عليه. وهؤلاء يزيدون عليه سوى التراب والآجر والأحجار والجص.

ونهى عمر بن عبد العزيز أن يبنى القبر بآجر، وأوصى أن ألا يفعل ذلك بقبره، وأوصى الأسود بن يزيد ألا تجعلوا على قبري آجراً. وقال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون الآجر على قبورهم. وأوصى أبو هريرة حين حضرته الوفاة: أن لا تضربوا

علي فسطاطاً. وكره الإمام أحمد أن يضرب على القبر فسطاطاً.

والمقصود أن هؤلاء المعظمين للقبور المتخذينها أعياداً الموقدين عليها السرج، الذين يبنون عليها المساجد والقباب مناقضون لما أمر به رسول الله ﷺ، محادون لما جاء به، وأعظم ذلك اتخاذها مساجد، وإيقاد السرج عليها، وهو من الكبائر.

قال رحمه الله: وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجا، ووضعوا له مناسك حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتاباً وسماه «مناسك حج المشاهد» مضاهاةً منه بالقبور للبيت الحرام، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام، ودخول في دين عباد الأصنام.

فانظر إلى هذا التباين العظيم بين ما شرعه رسول الله ﷺ وقصده من النهي عما تقدم ذكره في القبور، وبين ما شرعه هؤلاء وقصدوه، ولا ريب أن في ذلك من المفاسد ما يعجز العبد عن حصره.

**فمنها** تعظيمها الموقع في الافتتان بها.
**ومنها** اتخاذها عيداً.
**ومنها** السفر إليها.
**ومنها** مشابهة عباد الأصنام بما يفعل عندها من العكوف

عليها، والمجاورة عندها، وتعليق الستور عليها، وسدانتها، وعبادتها يرجحون المجاورة عندها على المجاورة عند المسجد الحرام، ويرون سدانتها أفضل من خدمة المساجد، والويل عندهم لقيِّمها ليلة يطفي القنديل المعلق عليها،

**ومنها** النذر لها، ولسدنتها،

**ومنها** اعتقاد المشركين بها أن بها يكشف البلاء، وينصر على الأعداء، ويستنزَلُ غيث السماء، ويفرج الكروب، وتقضى الحوائج، وينصر المظلوم، ويجار الخائف إلى غير ذلك،

**ومنها** الدخول في لعنة الله تعالى، ورسوله باتخاذ المساجد عليها، وإيقاد السرج عليها،

**ومنها** الشرك الأكبر الذي يفعل عندها،

**ومنها** إيذاء أصحابها بما يفعله المشركون بقبورهم، فإنهم يؤذيهم ما يفعل عند قبورهم، ويكرهونه غاية الكراهة، كما أن المسيح يكره ما تفعله النصارى عند قبره[1] وكذلك غيره من الأنبياء، والأولياء، والمشائخ يؤذيهم ما يفعله أشباه النصارى عند قبورهم، ويوم القيامة يتبرؤون منهم، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝ قَالُوا۟

(١) في النسختين «قبورهم».

﴿ سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴾ [ الفرقان - ١٧ - ١٨ ]، قال الله للمشركين ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [ الفرقان ١٩ ] وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ﴾ [ المائدة - ١١٦ ] الآية، وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴾ [ سبأ - ٤٠ ] ومنها مشابهة اليهود والنصارى في اتخاذ المساجد والسرج عليها،

**ومنها** محادة الله ورسوله، ومناقضة ما شرعه فيها،

**ومنها** التعب العظيم، مع الوزر الكثير، والإثم العظيم،

**ومنها** إماتة السنن، وإحياء البدع،

**ومنها** تفضيلها على خير البقاع وأحبها إلى الله، فإن عباد القبور يقصدونها من التعظيم، والاحترام، والخشوع، ورقة القلب، والعكوف بالهمة على الموتى بما لا يفعلونه في المساجد، ولا يحصل لهم فيها نظيره، ولا قريب منه،

**ومنها** أن ذلك يتضمن عمارة المشاهد، وخراب المساجد، ودين الله الذي بعث به رسوله بضد ذلك، ولهذا

لما كانت الرافضة من أبعد الناس عن العلم والدين عمروا المشاهد، واخربوا المساجد،

ومنها أن الذي شرعه الرسول ﷺ عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة، والإحسان إلى المزور بالدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له، وسؤال العافية له، فيكون الزائر محسناً إلى نفسه، وإلى الميت، فقلب هؤلاء المشركون الأمر، وعكسوا الدين، وجعلوا المقصود بالزيارة الشرك بالميت، ودعاءه، والدعاء به، وسؤالهم حوائجهم، واستنزال البركات منه، ونصره لهم على الأعداء، ونحو ذلك، فصاروا مسيئين إلى نفوسهم، وإلى الميت، ولو لم يكن إلا محروماً به تركه ما شرعه الله تعالى من الدعاء له، والترحم عليه، والاستغفار له. . .

ثم ذكر رحمه الله تعالى الزيارة الشرعية، والأحاديث الواردة في ذلك، ثم ذكر أقوال السلف، ومن بعدهم من العلماء ثم قال:

فإذا كنا على جنازته ندعو له، لا ندعو به، ونشفع له، لا نستشفع به، فبعد الدفن أولى وأحرى، (فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم) بدلوا الدعاء له بدعائه نفسه، والشفاعة له بالاستشفاع به، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله ﷺ إحساناً إلى الميت وإحساناً إلى الزائر وتذكيراً بالآخرة سؤال الميت، والاقسام به على الله، وتخصيص تلك

البقعة بالدعاء الذي هو في العبادة، وحضور القلب عندها، وخشوع أعظم منه في المساجد وأوقات الأسحار، ومن المحال أن يكون دعاء الموتى، والدعاء به، أو الدعاء عندهم مشروعاً، وعملاً صالحاً، ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص رسول الله ﷺ، ثم يرزقها الخلوف الذين يقولون مالا يفعلون، ويفعلون ما يؤمرون، فهذه سنة رسول الله ﷺ في أهل القبور بضعاً وعشرين سنة حتى توفاه الله تعالى، وهذه سنة خلفائه الراشدين، وهذه طريقة جميع الصحابة والتابعين لهم بإحسان هل يمكن بشراً على وجه الأرض أن يأتي عن أحد منهم بنقل صحيح أو حسن أو ضعيف أو منقطع أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها، وتمسحوا بها، فضلاً أن يصلوا عندها، أو يسألوا الله بأصحابها، أو يسألوهم حوائجهم، فليوقفونا على أثر واحد، أو حرف واحد في ذلك، بل يمكنهم أن يأتوا عن الخلوف التي خلفت بعدهم بكثير من ذلك، وكلما تأخر الزمان وطال العهد كان ذلك أكثر، حتى لقد وجد في ذلك عدة مصنفات ليس فيها عن رسول الله ﷺ، ولا عن خلفائه الراشدين، ولا عن أصحابه حرف واحد من ذلك، بلى فيها من خلاف ذلك كثير كما قدمناه من الأحاديث المرفوعة.

قال رحمه الله بعد ذكره ما فعله الصحابة رضي الله عنهم بقبر دانيال وتعميته بين القبور قال: ففي هذه القصة ما فعله

المهاجرون والأنصار من تعمية قبره، لئلا يفتتن به الناس، ولم يبرّزوه للدعاء عنده، والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف، ولعبدوه من دون الله، فهم قد اتخذوا من القبور أوثاناً من لا يداين هذا ولا يقاربه، وأقاموا لها سدنة، وجعلوها معابد أعظم من المساجد، فلو كان الدعاء عند القبور والصلاة عندها، والتبرك بها فضيلة أو سنة أو مباحاً لنصب المهاجرون والأنصار هذا القبر علماً لذلك، ودعوا عنده، وسنّوا ذلك لمن بعدهم، ولكن كانوا أعلم بالله، ورسوله، ودينه من الخلوف التي خلفت بعدهم، وكذلك التابعون لهم بإحسان راحوا على هذا السبيل، وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله ﷺ بالأمصار عدد كثير وهم متوافرون، فما منهم من استغاث عند قبر صاحب، ولا دعاه، ولا دعا به ولا عنده، ولا استشفى به، ولا استنصر به، ومن المعلوم أن مثل هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله، بل على نقل ما هو دونه.

وحينئذ فلا يخلوا إما أن يكون الدعاء عندها والدعاء بأربابها أفضل منه في غير تلك البقعة، أو لا يكون، فإن كان أفضل فكيف خفي علماً وعملاً عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فتكون القرون الثلاثة الفاضلة جاهلة بهذا الفضل العظيم، وتظفر به الخلوف علماً وعملاً، ولا يجوز أن يعلموه ويزهدوا فيه[1] مع حرصهم على كل خير، لا سيما الدعاء فإن

(١) في النسختين «به» وما أثبته من الإغاثة ص١٠٧.

المضطر يتشبث بكل سبب وإن كان فيه كراهة ما، فكيف يكونون مضطرين في كثير من الدعاء، وهم يعلمون فضل الدعاء عند القبور، ثم لا يقصدونه، هذا محال طبعاً وشرعاً، فتعين القسم الآخر وهو أنه لا فضل للدعاء عندها، ولا هو مشروع، ولا مأذون فيه بقصد الخصوص، بل تخصيصها بالدعاء عندها ذريعة إلى ما تقدم من المفاسد، ومثل هذا مما لا يشرعه الله ولا رسوله البتة، بل استحباب[1] الدعاء عندها شَرْعُ عبادةٍ لم يشرعها الله، ولم ينزل بها سلطاناً، وقد أنكر الصحابة ما هو دون هذا بكثير.

ثم قال رحمه الله:

ومن أعظم كيد الشيطان أنه ينصب لأهل الشرك قبر معظم يعظمه الناس، ثم يجعله وثناً يعبد من دون الله، ثم يوحي إلى أوليائه أن من نهى عن عبادته واتخاذه عيداً وجعله وثناً فقد تنقصه وهضم حقه، فيسعى الجاهلون المشركون في قتله وعقوبته ويكفرونه، وذنبه عند أهل الإشراك أمْرُه بما أمر الله به ورسوله، ونهيه عما نهى الله عنه ورسوله من جعله وثناً وعيداً.

وإيقاد السرج عليها[2]، وبناء المساجد، والقباب عليه، وتجصيصه، وتقبيله، واستلامه، ودعائه، أو الدعاء به، أو

(١) في النسختين «استحب»، والمثبت من الإغاثة، ص ١٠٧.

(٢) في الإغاثة «عليه» ص ١١١.

السفر إليه، أو الاستعانة به من دون الله مما قد علم بالاضطرار من دين الإسلام أنه مضاد لما بعث الله به رسوله، من تجريد التوحيد لله، وأن لا يعبد إلا الله، فإذا نهى الموحد عن ذلك غضب المشركون، واشمأزت قلوبهم، وقالوا قد تنقص أهل الرتب العالية، وزعم أنهم لا حرمة لهم ولا قدر، وسرى ذلك في نفوس الجهال والطغام وكثير ممن ينسب إلى العلم والدين، حتى عادوا أهل التوحيد، ورموهم بالعظائم، ونفّروا الناس منهم، ووالوا أهل الشرك وعظموهم، وزعموا أنهم هم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله، ويأبى الله ذلك فما كانوا أولياءه، إن أولياؤه إلا المتقون له، الموافقون له، العارفون بما جاء به، الداعون إليه، لا المتشبعون بما لم يعطوا لابسو ثياب الزور، الذين يصدون الناس عن سنة نبيهم، ويبغونها عوجاً، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً،

ثم ذكر كلاماً طويلاً، إلى أن قال:

قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المبتدعة عند القبور مراتب: أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته، ويستغيث به فيها، كما يفعله كثير من الناس، قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب، كما قد يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة،

وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله.

**المرتبة الثانية**: [1]يسأل الله عزَّ وجلَّ به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين، وهو بدعة باتفاق المسلمين.

**الثالثة**: أن يسأله نفسه.

**الرابعة**: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، فيقصد زيارته، والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه، فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة، وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين، وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك، ويقول بعضهم: ـ قبر فلان ترياق مجرب، والحكاية المنقولة عن الشافعي أنه كان يقصد الدعاء عند قبر أبي حنيفة من الكذب الظاهر، انتهى من إغاثة اللهفان.

(١) في ط الرياض «ألا» وما أثبته من الأصل. ومن الإغاثة ص ١١٤.

## فصــل

**قال الملحد:** (وقد روي الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله لا يجمع أمتي على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ في النار»).

**والجواب أن يقال:** هذا الحديث رواه الترمذي في أبواب الفتن من حديث ابن عمر، ولفظه هكذا: إن رسول الله ﷺ قال: «إن الله لا يجمع أمتي ـ أو قال أمة محمد ـ على ضلاله، ويد الله على الجماعة، ومن شذشذ في النار». هذا الحديث غريب من هذا الوجه، وسليمان المديني هو عندي سليمان بن سفيان.

قلت هذا حديث ضعيف ففي سنده سليمان بن سفيان، قال الذهبي في الميزان: سليمان بن سفيان أبو سفيان المدني عن عبد الله بن دينار وبلال بن يحيى قال ابن معين: ـ ليس بشيء. وقال مرة: ليس بثقة. وكذا قال النسائي وقال أبو حاتم والدارقطني: ـ ضعيف انتهى.

والمقصود بالأمة أمة الإجابة لا أمة الدعوة، وأمته المستجيبون لدعوته، المتبعون لأمره، المنتهون عما نهى عنه، الآخذون بسنته وهديه هم الأمة الناجون المنصورون إلى قيام الساعة، الذين لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، بخلاف عباد القبور المتخذين الأولياء والصالحين شركاء في خالص حقه سبحانه، يستغيثون بهم في الشدائد، ويلجؤون إليهم، ويذبحون لهم، وينذرون لهم، ويستعينون بهم في قضاء الحوائج، ويطلبون منهم ما لا يقدر عليه إلا الله، ويدعونهم، ويرغبون إليهم في الطلبات، ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، فهؤلاء ليسوا من أمة محمد ﷺ الذين استجابوا لله ورسوله، بل هؤلاء مجتمعون على خلاف الكتاب والسنة، مخالفون لما عليه الأمة من أهل السنة والجماعة، مجمعون على الضلالة، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه.

**وأما قول الملحد**: (وفي سنن ابن ماجة عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ ابغوا السواد الأعظم، فإنه من شذشذ في النار).

**فالجواب أن يقال**: إن السواد الأعظم والجماعة هم من كانوا على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ لقوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إثنين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث

وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة قالوا: يا رسول الله ومن هي؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

فمن كان على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فهم السواد الأعظم، وهم الجماعة وإن كانوا قليلاً، يدل عليهم حديث عبد الله بن عمر وقال: قال رسول الله ﷺ: «ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل» وفيه، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه اليوم وأصحابي، رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن غريب مفسر.

وفي رواية عوف بن مالك قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة.

وفي رواية أنس بن مالك «كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة» رواها ابن ماجة والأحاديث بعضها يفسر بعضاً، فعلم أن السواد الأعظم هو الجماعة، وهي جماعة الصحابة، ولعله بهذا المعنى.

قال إسحاق بن راهويه حين سئل عن معنى حديث «عليكم بالسواد الأعظم»: هو محمد بن أسلم وأتباعه، فأطلق على محمد بن أسلم وأتباعه لفظ السواد الأعظم، تشبيهاً لهم بالصحابة في شدة ملازمة السنة والتمسك بها. ولذا كان سفيان الثوري يقول: المراد بالسواد الأعظم هم من كان من أهل السنة والجماعة ولو واحداً. كذا في «الميزان» للشعراني.

قال ملا سعد الرومي في مجالس الأبرار: فلا بد لك أن تكون شديد التوقي من محدثات الأمور، وإن أتفق الجمهور فلا يغرنك اتفاقهم على ما أحدث بعد الصحابة، بل ينبغي لك أن تكون حريصاً على التفتيش عن أحوالهم وأعمالهم، فإن أعلم الناس وأقربهم إلى الله تعالى أشبههم بهم، وأعرفهم بطريقهم، إذ منهم أخذ الدين، وهم أصول في نقل الشريعة عن صاحب الشرع، وقد جاء في الحديث «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم» والمراد به لزوم الحق وأتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً. والمخالف له كثير، إلا أن الحق ما كان عليه الجماعة الأولى وهم الصحابة، ولا عبرة بالنظر إلى كثرة الباطل بعدهم، وقد قال الفضيل بن عياض ما معناه: الزم طريق الهدى، ولا يغرك قلة السالكين، وإياك وطرق الضلالة، ولا تغتر بكثرة الهالكين. وقال بعض السلف: إذا وافقت الشريعة، ولا حضت الحقيقة فلا تبال وإن خالفتْ رأيك جميعُ الخليقة.

وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى في «إغاثة اللهفان»: فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق، ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً، منفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق طلبه.

ولقد سئل إسحاق بن راهويه عن مسألة، فأجاب عنها، فقيل له: إن أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل قولك، فقال: ما ظننت أن أحداً أن يوافقني عليها، ولم يستوحش بعد ظهور النور له من عدم الموافق، فإن الحق إذا لاح وتبين لم يحتج إلى شاهد يشهد به، والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمسَ، فكيف يحتاج إلى شاهد يشهد بطلوعها ويوافقه عليه.

وما أحسن ما قال أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل في كتاب «الحوادث والبدع» حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك به قليلاً، والمخالف له كثيراً، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه، ولا ينظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم.

قال عمرو بن ميمون الأزدي، صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله على الجماعة. ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة. فقلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدّثونا! قال: وما ذاك. قلت: تأمرني بالجماعة، وتحضني عليها، ثم تقول: صل

الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصلِ مع الجماعة وهي النافلة؟ قال: يا عمرو بن ميمون قد كنتَ أظنك من أفقه أهل هذه القرية، تدري ما الجماعة؟ قلت: قال إن جمهور الناس الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

قال نعيم بن حماد يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذ.

وعن الحسن قال: السنة والذي لا إله إلا هو بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في أترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله تعالى فكونوا.

وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتفق على إمامته مِنْ أتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال: ما بلغتني سنة عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك، وسأل بعض أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذين جاء فيهم الحديث «إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم». من السواد الأعظم؟ قال محمد بن أسلم الطوسي: هو السواد الأعظم انتهى.

وليعلم هنا أن محل وجوب السواد الأعظم الذي أريد منه

جماعة الصحابة هو ما اختلف فيه الصحابة فذهب عامتهم وأكثرهم إلى أمر، والبعض الآخر إلى خلافه، بدليل لفظ الاختلاف، فإذا اختلفوا فالصحيح أن الحق مع من كان الخلفاء الأربعة فيهم، فإن اختلفوا وكان أبو بكر وعمر مع طائفة فالحق معهم، وكذلك إذا كان أحد الخلفاء في طائفة ولم يكن أبو بكر وعمر معهم فمن كان عثمان أو علي معه فهم أولى من غيرهم.

وأما ما أجمع عليه الصحابة فوجوب اتباعهم يعلم بفحوى الخطاب، وأما ما اختلفوا فيه ولا يعلم كثرتهم في جانب فالحديث لا يدل على وجوب اتباعهم فيه، وهذا كله فيما إذا لم يعارضه آية أو حديث مرفوع صحيح أو حسن لم يثبت نسخهما، وأما إذا عارضته آية أو حديث فالحجة الكتاب والسنة، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

والمقصود أن السواد الأعظم من هذه الأمة من كانوا على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في كل ما ينتحلونه ويفعلونه ويقولونه، وقد علمت أنهم رضي الله عنهم ما كان أحد منهم يستغيث برسول الله ﷺ بعد وفاته، ولا يدعونه، ولا يلجؤون إليه فيما ينوبهم، ولا كان أحد منهم يأتي إلى قبره عليه الصلاة والسلام فيتوسل به، ويدعو هناك، أو يستغيث به، وقد كان أعلم الناس بمثل هذه الأمور مالك إمام دار الهجرة، فإنه

مقيم بالمدينة يرى ما يفعله التابعون وتابعوهم، ويسمع ما ينقلون عن الصحابة وأكابر التابعين، وهو ينهى عن الوقوف عند القبر للدعاء، ويذكر أنه لم يفعله السلف.

**والمقصود** أن ما نقله هذا الملحد من جواز التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين من الأحاديث أنه إما كذب موضوع، وإما ضعيف لا يقوم به حجة ولا تثبت به الأحكام الشرعية، وكذلك ما نقله عن العلماء فهو من هذا النمط، فما سلكه هذا الملحد مخالف لما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول، واتبع سبيل من خالفهم ممن ابتدع في الدين، واتبع غير سبيل المؤمنين، وهؤلاء الأكثرون كما قال تعالى: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الأنعام - ١١٦] وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [ يوسف - ١٠٣ ] وقال تعالى: ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [ الأعراف: - ١٠٢ ] فهؤلاء وإن كانوا هم الأكثرين فليسوا بالسواد الأعظم، والجماعة المذكورين في الأحاديث النبوية، بل السواد الأعظم والجماعة من كان على مثل ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ كالتابعين رضي الله عنهم، والأئمة المهتدين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وإن كانوا قليلاً كما تقدم بيانه مفصلاً موضحاً والله سبحانه وتعالى أعلم.

# فصــل

ولنختم الجواب بالفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، ليعلم الناظر في هذه الأوراق أن هؤلاء الغلاة الجهال ما عرفوا من معنى (لا إله إلا الله) ما عرفه جهال الكفار الذين بعث الله فيهم رسوله محمداً ﷺ، فإن هؤلاء الغلاة يزعمون أن من قال: لا إله إلا الله، وأقر أن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الأمور، أنهم لا يقصدون ممن يدعونه ويستغيثون به ويلجأون إليه من الأنبياء والأولياء والصالحين بذلك تأثير شيء منهم بإيجاد نفع أو دفع ضر، ولا يعتقدون ذلك البتة، بل يعتقدون أن الله هو المنفرد بالإيجاد والإعدام والنفع والضر، وأنه لا مشارك له في ذلك، وهذا هو اعتقاد جهال الكفار الذين بعث الله إليهم رسوله محمداً ﷺ، فإنهم كانوا يدعون الأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين، ويلتجئون إليهم، ويسألونهم على وجه التوسل بجاههم وشفاعتهم ليقربوهم إلى الله زلفى، كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه كما سنبينه إن شاء الله تعالى.

إذا عرفت ما قدمت لك فاعلم أن التوحيد نوعان: ـ توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات. وتوحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الإلهية والعبادة كما قال شمس الدين ابن القيم رحمه الله تعالى: ـ

وأما التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت به الكتب فهو نوعان: توحيد في المعرفة والإثبات، وتوحيد في الطلب والقصد، فالأول هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه، وتكليمه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه وقدره وحكمته، وقد أفصح القرآن عن هذا النوع حق الإفصاح كما قال في أول الحديد، وسورة طه، وآخر الحشر، وأول تنزيل السجدة، وأول آل عمران، وسورة الإخلاص بكمالها وغير ذلك. انتهى كلامه رحمه الله.

فإذا عرفت هذا تبين لك أن توحيد الربوبية هو توحيد العبد ربَّه سبحانه وتعالى بأفعاله الصادرة منه، كالخلق والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر وإنبات النبات والنفع والضر وتدبير جميع الأمور إلى غير ذلك من أفعال الرب سبحانه وتعالى، وهذا هو اعتقاد جاهلية العرب فإنهم كانوا مقرين ومعترفين أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنه لا مشارك له في إيجاد شيء وإعدامه، وأن النفع والضر بيده، وأنه هو رب كل شيء مليكه، كما كانوا يقولون في تلبيتهم: «لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك»، ولا

يعتقدون أن آلهتهم التي يدعونها من دون الله من الأنبياء والأولياء الصالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السماوات والأرض، أو استقلوا بشيء من التدبير والتأثير والإيجاد، ولو في خلق ذرة من الذرات، كما حكى الله ذلك عنهم في مواضع من كتابه قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١] ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر - ٣٨] وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ الآية [يونس - ١٨] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر - ٣] وقال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [الإحقاف - ٢٨] وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا

تَذَكَّرُونَ ﴾ [ النحل - ١٧ ] وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٤٣] وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ [ الفرقان - ٣ ] الآية وحكي عن أهل النار أنهم يقولون لآلهتهم التي عبدوها مع الله ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۞ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [ الشعراء - ٩٧ ] ومعلوم أنهم ما سووهم به في الخلق والتدبير والتأثير، وإنما كانت التسوية في الحب والخضوع والتعظيم والدعاء ونحو ذلك من العبادات.

فإذا عرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بهم هو الذي أحل دماءهم وأموالهم، عرفت أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون هو توحيد الألوهية والعبادة كما قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۞ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [ الصافات - ٣٥ ] وقال تعالى عن كفار قريش: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ ص - ٥ ] وهذه الآية نزلت حين اجتمعت سراة قريش عند أبي طالب قائلين: اقض بيننا وبين ابن أخيك بأن يرفض ذكر آلهتنا ونذره وإلهه. فأجاب عليه الصلاة والسلام بعد ما جاء وأخبره عمه عنهم: يا عم أفلا

أدعوهم إلى كلمة واحدة يدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم؟ فقال من بين القوم أبو جهل: ما هي؟ لنعطينّكها وعشر أمثالها. فقال: قولوا «لا إله إلا الله» فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وذلك قوله: ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ ص - ٦ ].

فإذا تمهد هذا واتضح لك، علمت أنه لا ينجي من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله إلا القيام بما دعت إليه الرسل، وأنزلت به الكتب من هذا النوع الآتي بيانه، وهو توحيد الله تعالى بأفعال العبد الصادرة منه، لأن الإله هو الذي تأله القلوب محبة وإجلالاً وتعظيماً وخوفاً ورجاء، وخضوعاً وخشوعاً وإنابة وتوكلاً واستعانة واستغاثة ودعاء، فهو الذي يأله كل شيء، ويعبده كل خلق.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: النوع الثاني: ما تضمنته سورة ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون - ١] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ [ آل عمران - ٦٣ ] الآية، وأول سورة تنزيل الكتاب وآخرها، وأول سورة المؤمن ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وجملة سورة الأنعام، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن إما

خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته وأمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم، انتهى.

فإذا عرفت أن توحيد الربوبية هو الإقرار والإعتراف بأن الله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت النافع الضار المدبر لجميع الأمور، وعرفت أن جهال الكفار الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ مقرون بهذا معترفون به، ولم ينازع أحد منهم في ذلك، بل يعتقدون أن الله هو الفاعل لهذه الأشياء، وأنه لا ينفع ولا يضر إلا الله، وأنه المنفرد بالإيجاد والإعدام والتدبير والتأثير، وأنه لا مشارك له ولو في خلق ذرة من الذرات، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، بل قاتلهم رسول الله ﷺ إلى أن يكون الدين كله لله، بأن يخلصوا العبادة ولا يشركوا معه في عبادته أحد سواه، فإن من دعا الله ودعا معه غيره فهو مشرك، فالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والإنابة والخشوع والخضوع والإستغاثة والإستعاذة والذبح والنذر والإلتجاء وغير ذلك من أنواع العبادة التي اختص الله بها دون من سواه هي له سبحانه وتعالى، فمن صرف من هذه

العبادة شيئاً لغير الله كان مشركاً سواء اعتقد التأثير ممن يدعوه ويرجوه أو لم يعتقد ذلك فيه.

قال شيخ الإسلام قدس الله روحه: التوحيد الذي جاء به الرسول إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد ألا إله إلا الله لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [النحل - ٥١] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون - ١١٧] وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف - ٤٥]. وأخبر عن كل نبي من الأنبياء أنهم دعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة - ٤] وقال تعالى عن المشركين ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات - ٣٥] وهذا في القرآن كثير.

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف، ويظن هؤلاء، أنهم إذا أثبتوا ذلك بالدليل فقد أثبتوا غاية التوحيد، وأنهم إذا شهدوا هذا وفنوا في غاية التوحيد، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب من الصفات، ونزّهه عن كل ما ينزه عنه، وأقر بأنه وحده خالق كل شيء لم يكن موحداً حتى يشهد أن لا إله إلا الله، فيقر بأن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة، ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له، وأنه هو المألوه المعبود الذي يستحق العبادة، وليس هو الإله بمعنى القادر على الإختراع، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الإختراع، واعتقد أن هذا المعنى هو أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية، وهو الذي يقولونه عن أبي الحسن وأتباعه، لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله. وهم مع هذا يعبدون غيره قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله ﴿فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٥].

فليس كل من أقر بأن الله تعالى رب كل شيء وخالقه يكون عابداً له دون ما سواه، راجياً له خائفاً منه دون ما سواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويسمع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهى عما نهى عنه، وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كل شيء، وأثبتوا الشفعاء الذين يشركونهم به، وجعلوا له أنداداً قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۞ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [ الزمر - ٤٣ ] وقال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ إلى قوله سبحانه وتعالى: ﴿ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [ يونس - ١٨ ] قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [ الأنعام - ٩٤ ] وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [ البقرة - ١٦٥ ] ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعونها، ويصوم وينسك لها، ويتقرب إليها ثم يقول: إن هذا ليس بشرك، إنما الشرك إذا اعتقدت أنها المدبرة، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً، ومن المعلوم بالإضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك، انتهى كلامه.

وقال أيضاً على قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ-٢٢] الآيات، نفى الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه، أو يكون عوناً لله، فلم يبق إلا الشفاعة، فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة، كما نفاها القرآن، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً، ثم يقال: ارفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع. وقال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه، وينال المقام المحمود، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص. انتهى.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى في الكلام على هذه الآيات: وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع،

والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع إما مالكاً لما يريده عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان معيناً له وظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً كان شفيعاً عنده، فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً متنقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك، والشركة، والمظاهرة، والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه، فكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها، والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها، ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخول الواقع تحته وتضمنه له، ويظنه في نوع وقوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً، وهذا هو الذي حال بين القلب وبين فهم القرآن، ولعمر الله إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم أو شر منهم أو دونهم، فتناول القرآن لهم كتناوله لأولئك. انتهى كلامه رحمه الله.

**فإذا تبين لك الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الالوهية عرفت أن مشركي أهل زماننا لا يعرفون ما عرفه كفار العرب، فإن كفار العرب يعلمون أنهم إذا قالوا: لا إله إلا الله، فقد نفوا** جميع المعبودات من دون الله، وأثبتوا العبادة لله وحده لا شريك له دون سواه، فأبوا عن النطق بلا إله إلا الله، وعتوا عتواً كبيراً، وأبى الظالمون إلا كفوراً، فجحدوا لا إله إلا الله

لفظاً ومعنى ولذلك لما قال لهم رسول الله ﷺ: «قولوا لا إله إلا الله» قالوا: ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴾ [ ص ـ ٥ ] وقال تعالى حاكياً عنهم ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۢ ﴾ [ الصافات ـ ٣٥ ] وهذا بخلاف ما عليه هؤلاء الغلاة الجهال فإنهم يقولونها وهم مع ذلك يعبدون مع الله غيره ، من يشركونه في عبادته بالدعاء والخوف والحب والرجاء والتوكل والإستغاثة والإستعانة والذبح والنذور والإلتجاء وطلب الشفاعة منهم إلى غير ذلك من أنواع العبادة، فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة فقد عبد ذلك الغير، واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، سواء اعتقد التأثير والتدبير والإيجاد والإعدام والنفع والضرر ممن يدعوه أو يرجوه، أولم يعتقد، وإن فرّ من تسمية فعلة ذلك تألهاً وعبادة وشركاً.

ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغير أسمائها فلا تزول هذه المفاسد بتغير أسمائها كتسمية عبّاد القبور عبادة غير الله توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً، فالاعتبار بحقائق الأمور لا بالأسماء والإصطلاحات، والحكم يدور مع الحقيقة لا مع الأسماء، فإذا تحققت ما قدمت لك فلا بدّ من ذكر شيء يسير من كلام العلماء في معنى لا إله إلا الله.

قال الوزير أبو المظفر في (الإفصاح) قوله: شهادة أن لا إله إلا الله، يقتضى أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [ محمد: آية ١٩ ] قال واسم الله مرتفع بعد إلا من حيث أنه الواجب له الإلهية، فلا يستحقها غيره سبحانه. قال: وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الآلهية، وأثبت الإيجاب لله سبحانه كنت ممن كفر بالطاغوت، وآمن بالله.

وقال في «البدائع» رداً لقول من قال: إن المستثني مخرج من النفي، قال: بل هو مخرج من المنفي وحكمه، فلا يكون داخلاً في النفي إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقول لا إله إلا الله، لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى، وهذه أعظم كلمة تضمنت نفي الإلهة عما سوى الله، وإثباتها له تعالى بوصف الإختصاص، فدلالتها على إثبات إلهيته أعظم من دلالة قولنا: الله إله، ولا يستريب أحد في هذه البتة انتهى بمعناه.

وقال أبو عبد الله القرطبي في تفسيره «لا إله إلا الله»: أي لا معبود إلا هو.

وقال الزمخشري: الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل، ثم غلب على المعبود بحق.

قال شيخ الإسلام: الإله هو المعبود المطاع، فإن الإله هو المألوه، والمألوه هو الذي يستحق أن يعبد، وكونه يستحق أن يعبد هو بما اتصف به من الصفات التي تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب، المخضوع له غاية الخضوع. قال: فإن الإله هو المحبوب المعبود الذي تألهه القلوب بحبها، وتخضع له، وتذل له، وتخافه، وترجوه، وتلجأ إليه، وتطمئن بذكره، وتسكن إلى حبه، وليس إلا الله وحده، ولهذا كانت لا إله إلا الله أصدق الكلام، وكان أهلها أهل الله وحزبه، والمنكرون لها أعداؤه وأهل غضبه ونقمته، فإذا صحت صح بها كل مسألة وحال وذوق، وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له في علومه وأعماله.

وقال ابن القيم رحمه الله: الإله الذي تألهه القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً.

وقال ابن رجب رحمه الله: الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاء وتوكلا عليه، وسواء لأمته، ودعاء له، ولا يصلح ذلك كله إلا الله عزَّ وجلَّ فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول «لا إله إلا الله» وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك.

وقال البقاعي: لا إله إلا الله أي انتفاء عظيما أن يكون

معبوداً بحق غير الملك الأعظم، فإن هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه، وإلا فهو جهل صرف.

وقال الطيبي: الإله فعال بمعنى مفعول، كالكتاب بمعنى المكتوب من أله إلَهة أي عبد عبادة.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: وهذا كثير في كلام العلماء، وإجماع منهم، فدلت لا إله إلا الله على نفي الإلهية عن كل ما سوى الله تعالى كائناً من كان، وإثبات الإلهية لله وحده دون كل ما سواه، وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل، ودل عليه القرآن من أوله إلى آخره كما قال تعالى عن الجن ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [ الجن ـ ١ ] فلا إله إلا الله لا تنفع إلا من عرف مدلولها نفياً وإثباتاً، واعتقد ذلك وقبله وعمل به. وأما من قالها من غير علم واعتقاد وعمل فقد تقدم في كلام العلماء أن هذا جهل صرف، فهي حجة عليه بلا ريب، فقوله في الحديث «وحده لا شريك له» تأكيد وبيان لمضمون معناها، وقد أوضح الله ذلك وبينه في قصص الأنبياء والمرسلين في كتابه المبين، فما أجهل عباد القبور بحالهم، وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص «لا إله إلا الله»، فإن مشركي

العرب ونحوهم جحدوا لا إله إلا الله لفظاً ومعنى، وهؤلاء المشركون أقروا بها لفظاً وجحدوها معنى، فتجد أحدهم يقولها لفظاً وهو يأله غير الله بأنواع العبادة، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والتوكل وغير ذلك من أنواع العبادة، بل زاد شركهم على شرك العرب بمراتب، فإن أحدهم إذا وقع في شدة أخلص الدعاء لغير الله تعالى، ويعتقد أنه أسرع فرجاً لهم من الله، بخلاف حال المشركين الأولين فإنهم يشركون في الرخاء، وأما في الشدة فإنما يخلصون لله وحده كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت - ٦٥] الآية فبهذا تبين أن مشركي أهل هذه الأزمان أجهل بالله وبتوحيده من مشركي العرب ومن قبلهم. انتهى.

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بأبي بطين في معنى الإله قال: وأما الإله فهو الذي تألهه القلوب بالمحبة والخشوع والخوف والرجاء وتوابع ذلك من الرغبة والرهبة والتوكل والإستغاثة والدعاء والذبح والنذور والسجود وجميع أنواع العبادة الظاهرة والباطنة، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وأجمع أهل اللغة أن هذا معنى الإله قال الجوهري: أله بالفتح إلهة أي عبد عبادة، قال ومنه قولنا «الله» وأصله لاه على فعال بمعنى مفعول، لأنه مألوه بمعنى معبود، كقولنا «إمام» فعال بمعنى مفعول، لأنه مؤتم به، قال والتأليه:

التعبيد، والتأله: التنسك والتعبد، قال رؤبة سجن واسترجعن من تأله. انتهى.

وقال في (القاموس): أله إلّهة وألوهة عبد عبادة، ومنه لفظ الجلالة، واختلف فيه على عشرين قولاً - يعني في لفظ الجلالة - قال: وأصله إلآه بمعنى مألوه، وكلما اتخذ معبوداً له عند متخذه قال: والتأله والتنسك والتعبد، انتهى.

وجميع العلماء من المفسرين وشراح الحديث والفقه وغيرهم يفسرون الإله بأنه المعبود، وإنما غلط في ذلك بعض أئمة المتكلمين فظن أن الإله هو القادر على الإختراع، وهذه ذلّة عظيمة، وغلط فاحش، إذا تصوره العامي العاقل تبين له بطلانه، وكأن هذا القائل لم يستحضر ما حكاه الله عن المشركين في مواضع من كتابه، ولم يعلم أن مشركي العرب وغيرهم يقرون بأن الله هو القادر على الإختراع، وهم مع ذلك مشركون، ومن أبعد الأشياء أن عاقلاً يمتنع من التلفظ بكلمة يقرُّ بمعناها، ويعترف به ليلاً ونهاراً وإسراراً وجهاراً، هذا ما لا يفعله من له أدنى مسكة من عقل.

قال أبو العباس رحمه الله تعالى: وليس المراد بالإله هو القادر على الإختراع، كما ظنه من ظنه من أئمة المتكلمين حيث ظن أن الألوهية هي القدرة على الإختراع، وأن من أقر بأن الله هو القادر على الإختراع دون غيره فقد شهد أن لا إله إلا الله، فإن المشركين كانوا يقرون بهذا التوحيد، كما قال

تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٥] الآيات، وقال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف - ١٠٦] الآيات، وقال ابن عباس: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره. وهذا التوحيد من التوحيد الواجب لكن لا يحصل به الواجب، ولا يخلص بمجرده عن الإشراك الذي هو أكبر الكبائر الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن يخلص لله الدين فلا يعبد إلا إياه فيكون دينه لله، والإله هو المألوه الذي تألهه القلوب فهو إله بمعنى مألوه لا بمعنى إله انتهى.

وقد دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه هو المعبود كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ * وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ [الزخرف - ٢٦] قال المفسرون: هي كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» باقية في عقبه أي ذريته. قال قتادة: - لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده، والمعنى جعل هذه الموالاة والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية إبراهيم يتوارثها الأنبياء وأتباعهم بعضهم عن بعض، وهي كلمة «لا إله إلا الله» فتبين أن موالاة الله بعبادته، والبراءة من كل معبود سواه هو معنى «لا إله إلا الله».

إذا تبين ذلك فمن صرف لغير الله شيئاً من أنواع العبادة المتقدم تعريفها، كالحب والتعظيم والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والذبح والنذر وغير ذلك فقد عبد ذلك الغير، واتخذه إلهاً، وأشركه مع الله في خالص حقه، وإن فرَّ من تسمية فعله ذلك: تألهاً وعبادة وشركاء، ومعلوم عند كل عاقل أن حقائق الأشياء لا تتغير بتغيير أسمائها، فلو سمي الزنا والربا، والخمر بغير أسمائها لم يخرجها تغيير الإسم عن كونها زنا وربا وخمراً ونحو ذلك، فمن المعلوم أن الشرك إنما حرم لقبحه في نفسه، وكونه متضمناً مسبة الرب، وتنقصه، وتشبيهه بالمخلوقين، فلا تزول هذه المفاسد بتغيير أسمائها، كتسميته توسلاً وتشفعاً وتعظيماً للصالحين وتوقيراً لهم ونحو ذلك، فالمشرك مشرك شاء أم أبى، وقد أخبر النبي ﷺ أن طائفة من أمته يستحلون الربا باسم البيع، ويستحلون الخمر باسم آخر غير أسمها، وذمهم على ذلك، فلو كان الحكم دائراً مع الإسم لا مع العلة لم يستحق الذم، وهذا من أعظم مكائد الشيطان لبني آدم قديماً وحديثاً، أخرج لهم الشرك في قالب تعظيم الصالحين وتوقيرهم، وغَيَّر اسمه بتسميته إياه توسلاً، وتشفعاً، ونحو ذلك، والله الهادي إلى سواء السبيل انتهى.

فلا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من أن يكون المتكلم بها عارفاً لمعناها، عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً، ولا بد من العلم واليقين بمدلولها كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا

اللَّهُ ﴾ [ محمد - ١٩ ] وقوله: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أما النطق بها من غير معرفة بمعناها، ولا يقين، ولا عمل بما تقتضيه من نفي الشرك وإخلاص القول والعمل قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح فغير نافع بالإجماع.

قال في «المفهم على صحيح مسلم»، باب لا يكفي مجرد اللفظ بالشهادتين، بل لا بد من استيقان القلب، هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فساده، بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنه يلزم من تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح، وهو باطل قطعاً انتهى.

ومعنى «لا إله إلا الله» أي لا معبود حق إلا الله، وهو في غير موضع من القرآن قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [ البقرة - ١٦٣ ] وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [ الأنبياء - ٢٥ ] وقال: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ﴾ [ هود - ٥٠ ] فأجابوا رداً عليه بقولهم ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [ الأعراف - ٧٠ ] وقال تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [ الحج - ٦٢ ] الآية.

فتضمن ذلك نفي الإلهية عما سوى الله، وهي العبادة، وإثباتها لله وحده لا شريك له، والقرآن من أوله إلى آخره يبين هذا، ويقرره، ويرشد إليه، فالعبادة بجميع أنواعها إنما تصدر عن تألّه القلب بالحب والخضوع والتذلل رغباً ورهباً، وهذا كله لا يستحقه إلا الله تعالى، فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله فقد جعله لله نداً، فلا ينفعه مع ذلك قول ولا عمل، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلّى الله وسلّم على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

تم بحمــد الله

قال محققه عفا الله عنه: تم تصحيح هذا الكتاب والتعليق على بعض أحاديثه في اليوم السابع من شهر جمادي الثانية من شهور سنة ثمانٍ وأربعمائة بعد الألف من هجرة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد السلام آل عبد الكريم

# الفهارس

